

لعبة بلا قواعد

أوليغ روي

♦ المؤلف: أوليغ روي

♦ العنوان: لعبة بلا قواعد

♦ ترجمة: أحمد عبد الكريم حميد

♦ الطبعة: الأولى 2021

♦ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي

♦ مستشار النشر: سوسن بشير

♦ المدير العام: مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:

٢٠٢١ / ٥٤٥٨

الترقيم الدولي: ISBN

978 - 977-765 - 290 - 2

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb

CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787

E-mail: afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة - من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ / ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ / ٠٠٢٠٢ - موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

أوليغ روي
لعبة بلا قواعد
رواية

ترجمها عن اللغة الروسية
أحمد عبد الكريم حميد

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

روي، أوليغ
لعبة بلا قواعد - أوليغ روي
ترجمها عن الروسية: أحمد عبد الكريم حميد
ط 1 القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - 2021
376 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 5458 / 2021
الترقيم الدولي 2 - 290 - 765 - 977 - 978
1 - روايات
2 - العنوان

أهدي هذا العمل
لذكرى ابني جينيتشكا

الفصل الأول

أحوال الأيام المنصرمة منذ مدة طويلة

بصرفِ النظر عن أن هذه القصة قد حدثت في أيامنا، منذ أشهر عديدة بالضبط، ينبغي الشروع علناً في الحديث دون التطرق مباشرةً لصلب الموضوع. على أقل تقدير منذ طفولة البطلين الرئيسيين - أندريه كوليكون وديما^(١) سلاب. أو حتى منذ طفولة أمهاتهما، ليديا وغالينا كوشيليف، هما أقرباء، وليس من الصعب أن نخمن، هما شقيقتان. ومن الأفضل الحديث مبكراً عن والدي غال^(٢) وليدا^(٣)، وبما أنه ليس من النادر أن تأثير شخصيات ومصير الأجداد والجندات على شخصيتنا ومصيرنا ليس بالشيء القليل، وفي أحيان كثيرة يكون التأثير أكبر حتى من الأم والأب، لكننا عادةً لا نفكر بهذه الأشياء لسبب ما.

(١) ديما، ديمون، ديمكا، ديماتشكا - تصغير وتحبيب اسم دميتري. (المترجم).

(٢) غال، غاليا، غالاتشكا - تصغير وتحبيب اسم غالينا. (المترجم).

(٣) ليذا، ليداتشكا - تصغير وتحبيب اسم ليديا. (المترجم).

إذن، كان يا مكان في قديم الزمان صبيتان، ليدا و غالبا. هما بفخر لَقَبَا أنفسهما بساكنات موسكو الأصليات وامتلكا لأجل هذا كُل المسوغات. والدهما غيورغي أندريفيتش، الذي سَمَّاهُ الجميع جورا، وُلِدَ وترعرعَ في زاموسكفوريثيا، في منزل خشبي يتألف من طابقين، الذي بناه جد والده، الذي كان يدير دكانًا لبيع اللحوم في حي أوخوتني رباد. بعد الثورة صادروا دكانه، وكان هذا شيئًا طبيعيًا، بينما المنزل، أو كما كان يطلق عليه وقتئذٍ، فقد عبَّأوه بأشخاص آخرين^(٤)، وأبقوا لمالكه السابق غُرفتين فقط في الطابق العلوي. ولكن بما أن جورا قد فَقَدَ والديه في وقت مُبكر، فاعتبر في تلك الأوقات محظوظًا يمتلك ما يُحسد عليه، ما دام أنه يمتلك مساحة للعيش خاصته. في ذلك الوقت، بالنسبة للكثير من الناس كانت الغرفة المُنفصلة أكثر ما يمكن أن يحلم به المرء. اضطر الزوجان الشابان أن يسكنا في مكان واحد حَتَّى الشيوخوخة مع الوالدين أو أفراد الأسرة الآخرين، عازلين زاوية من العش العائلي الخاصّ بخزانات الملابس والستائر المُتحركة. وأما الآن - هما يمتلكان غُرفتين كاملتين! وإذا أضفنا إلى هذا، أن جورا كان طويل القامة، ذا شعر مُجعَّد، وظريفًا، وأفضل من في الحي بلعبة الكُرَّة الطائرة ولعبة الغارادكي^(٥) ولم يترك فرصة أبدًا لإظهار ابتسامته البهية وأسنانه ناصعة البياض للعيان، فليس من الصعب تصوّر النجاح، الذي كان يتمتع به لدى الجنس الناعم. كانت الدهشة حاضرة بقوة لدى

(٤) بعيد الثورة البلشفية قُسمت المباني والمنازل بين الأغنياء والفقراء. (المُترجم).

(٥) الغارادكي - لعبة روسيّة يُرمى فيها العصا لضرب القطع الخشبية. (المُترجم).

جاراته النمامات، حين عرفنَ، مع أي فتاة قررَ أخيراً جوراً الذهاب إلى دائرة الأحوال المدنية للزواج. لا يجوز أن ينعتوا محبوبته ليوليا بالجميلة مُطلقاً - لا تمتلك ما تتميز به، وليست طويلة القامة، وليست رشيقة في الحركة، ولا تمتلك نظرة الازدراء تلك، التي تنظر بها السيدات ذوات المظهر المؤثر عادةً بعجرفة إلى مَنْ حولهن. ولكن بالمقابل تَلَأَلَتْ في أعين ليوليا الرّمادية بقع الفرح، وتَلَوَّت خصلات شعرها الأشقر الداكن بشعر مُجَعَّد نابض بالحياة، وهكذا تدوي بحماس ضحكها الرنانة. أحبّت ليوليا الضحك في مرحلة الشباب للغاية، فهي كما يقولون، ليس مُهمّاً بالنسبة لها الطعام، الأهم لديها أن تضحك. هكذا عاش الزوجان حديثا الزواج - بالمزاح والضحك، بصورة مرحة وبوئام، تمكنا معاً من التغلب بسهولة على جميع صعوبات الحياة، دون شجار وإساءة مُتبادلة، مُتلافين أي مُشاجرات عائلية. جوراً، كما قالوا آنذاك، عملَ رساماً في مكتب التصميم، وعملت ليوليا في حسابات مصنع «البروليتاري الأحمر»^(٦)، في المصنع ذاته، حيث عملَ فيه والدها دميتري ستيبانوفيتش، المهندس الموهوب، الذي انحدر من عائلة فقيرة وبسيطة، لكنه استطاع الحصول على تعليمه وبلغَ مستوى مهنيّاً عالياً بصورة استثنائية بفضل كفاءته. فيما بعد، ظهرَ على أحفاده، تحدّثت الجدة ليوليا مراراً، ملامح طباعه مثلما انتقلت أسماء الأجداد إلى الصبيان - ديما، من التكوين التحليلي لعقله، ظهر شغفه الدؤوب والواضح بالمعارف، كان يشبه والده كُل الشبه، عمليّ وهُمام، لكن

(٦) الأحمر يقصد به الشيوعي. (المُترجم).

أندريه المُهمَل بشكل واضح شابه قريبه التاجر غيورغي. إلا أننا لن نعدو بعيداً هكذا إلى الأمام.

أقلّ من عشرة أشهر على الزواج وُلِدْتُ لدى جورا وليوليا بنت، التي سمياها ليديا. في أيار/ مايو عام ١٩٤١ بلغ سنّ ليداتشكا خمسة أعوام، وفي حزيران/ يونيو بدأت الحرب. وجورا في عِداد آلاف الشباب الموسكوفيين أمثاله الذين بدأت الحياة لديهم للتو، وسرعان ما تمّ استدعاؤه للجيش. ليداتشكا وليوليا، اللتان انتظرتا في هذا الوقت الطفل الثاني، تمّ إجلاؤهما إلى آسيا الوسطى. وُلِدْتُ غالاً بصعوبة بالغة، حين تسلمتُ أمها برقية وفاة عسكري - سقطَ جورا كوشيليف شجاعاً في معركة بضواحي موسكو، مُدافعاً عن مدينته من الأعداء.

منذ ذلك الوقت وُضِعَ على كاهل ليولا^(٧) الاهتمام بالأطفال، وعلى كاهل ليديا - الاهتمام بالأخت الصغرى. كانت ليولا مع النساء الأخريات منذ ساعات الصباح الباكر إلى الليل المتأخر تعمل على ماكينة في المصنع الذي تم إبعاده عن الجبهة وكان يُصنع به المُعدات الحربية والقذائف، وذلك تحت شعار «كُل شيء من أجل الجبهة، كُل شيء من أجل النّصر!» وفي الليل كانت تطبخ، وتنظف، وتغسل وترقع الملابس التي تم شراؤها قبيل الحرب، والتي تهترئ بسرعة فائقة - ولم يكن مُمكنًا شراء أخرى جديدة من أيّ مكان. لم يبقَ لديها وقت تقريباً للاعتناء بالأطفال. أما ليديا، التي اشتد عودها في لمح البصر، ففهمتُ هذا كله وكانت تُساعد أمها بما استطاعت. حين عادت العائلة بعد عامين

(٧) ليولا تصغير وتحبيب اسم ليوليا. (المُترجم).

إلى موسكو وسَجّلوا ليدا في الصف الأول، أخذت الصبية على نفسها الجزء الكبير من الأعمال المنزلية. من الصباح كانت توصل غالاً بنفسها إلى دار الحضانة، بعد ذلك تركض مُسرعةً إلى المدرسة، بينما تعود على عجل لعمل الواجبات المدرسية، وتذهب لتأخذ أختها وتقضي المساء كله مع غالاً، لأن الأم تأتي من العمل في وقت مُتأخر. ليس من المُدهش، أن الكلمة الأولى لغالاتشكا لم تكن «ماما»، التي كانت وقتئذ قد رأتها قليلاً للغاية، بل كانت كلمة «ديدا»، يعني ليدا. افتخرت ليداتشكا بهذا للغاية، وما دام أن الروح تولعت بالأخت الصغرى، فقد اعتنت بها باهتمام ودلتها - بقدر ما كان هذا مُمكنًا في تلك الأوقات الصعبة.

سينتهي كل شيء في هذا العالم في وقت ما، ليس الشيء الجيد فحسب، لكن لحسن الحظ، والشيء السيئ أيضًا. حتى الحرب المُرعبة، التي أخذت بمقدار ما من حياتهم وبمقدار ما من مصائرهم المُشوهة، في يوم من أيام شهر أيار/ مايو الرائع كانت قد وصلت إلى نهايتها بالفعل. حياة السلام بدأت بالعودة تدريجيًا، والحياة في عائلة كوشيليف شيئًا فشيئًا عادت إلى ما كانت عليه أيضًا. كبرت الصبيتان، الكبرى استمرت في عشقها للأخت الصغرى واعتنت بها، وأجزلت لها العطاء. تعلمت الخياطة - تعلمتها خصبًا كي تلبس غالاتشكا بشكل أجمل قدر الإمكان، أضافت إلى شعرها شرائط ناصعة ولم تكِل من الصباح إلى الليل في جعلها فتاة جميلة. عندما ذهبت غالاً إلى المدرسة، كادت ليدا أن تلحق الضرر بتعليمها، فقد كانت تُدرّس لغالا،

وَعَالِبًا تَعْمَلُ لَهَا وَاجِبَاتِهَا الْمَدْرَسِيَّةَ لَكِي لَا تَتْعَبُ الطِّفْلَةَ وَلَا تَشْقَى .
وَإِذَا وُجِدَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ مَا لَذِيذٌ، حَلَوِي أَوْ تَفَاحٌ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ،
فَبِالطَّبْعِ، كُلُّ شَيْءٍ سَيُؤَوَّلُ إِلَى غَالَاتَشْكََا فَقَطْ . لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ الْأَمَّ
فَقَطْ، وَلَكِنْ الْأَخْتُ الْكُبْرَى أَيْضًا تَرْفُضُ بِنَفْسِهَا الْحَلَوِيَّ لَكِي تُفْرِحَ
مَحْبُوبَتِهَا . يَجِبُ أَنْ نَنْدَهْشَ، بِأَنْ تَرْبِيَّةَ كَهْذِهِ جَعَلَتْ غَالِيَا تَنْشَأُ مُتَقَلِّبَةً
وَمُدَلِّلَةً، وَاتِّكَالِيَّةً، وَتَظُنُّ أَنْ أَفْضَلَ مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْحَيَاةِ سَيُؤَوَّلُ إِلَيْهَا،
بَيْنَمَا كُلُّ رَغْبَاتِهَا يَجِبُ أَنْ تُنْفَذَ بِسُرْعَةٍ . أحيانًا ثَمَّةُ حَالَاتٍ، تَكُونُ زِيَادَةُ
الْحُبِّ لَدَى الشَّابِّ شَأْنَهَا شَأْنُ نَقْصِهِ تَمَامًا، مَعَ أَنَّ الْحَالَةَ الثَّانِيَةَ قَلِيلَةٌ
الْحَدُوثِ جَدًّا .

لَمْ تَخْطِئْ لِيدَا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِمَظْهَرِ غَالِيْنَا، فِي الْحَقِيقَةِ كَانَتْ الصَّبِيَّةُ
حَسَنَةً لِلْغَايَةِ . هِيَ، كَمَا يُقَالُ، أَخَذَتْ الْأَفْضَلَ مِنْ كِلَا وَالِدَيْهَا . طَوِيلَةُ
الْقَامَةِ، وَمَمْشُوقَةُ الْقَوَامِ وَرِیَاضِيَّةٌ مِثْلُ وَالِدِهَا . وَرَثَتْ غَالِيَا مِنْ وَالِدَتِهَا
شَعْرًا أَشْقَرَ دَاكِنًا رَائِعًا وَأَعْيُنَ كَبِيرَةً مُعْبِرَةً . خِلَافًا لِلْأَخْتِ، الْمَوْهُوبَةِ
وَالْمُخْلِصَةِ، دَرَسَتْ غَالِيَا بِشَكْلِ مُتَوَسِّطٍ لِلْغَايَةِ، لَمْ تَكُنْ ذَاتَ نَفْعٍ،
لَكِنْ مِنْ وَجْهَةٍ أُخْرَى كَانَتْ بِكُلِّ هَذِهِ الثَّقَةِ وَالْجَرَأَةِ فِي الْمَجْتَمَعِ بِفَضْلِ
جَهْدِهَا أَخْتِهَا، الَّتِي جَلَسَتْ لِسَاعَاتٍ خَلْفَ مَاكِينَةِ الْخِيَاطَةِ؛ لَكِي تُخَيِّطَ
مِنْ الثَّوْبِ الَّذِي حَصَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ جَارَتِهَا أَوْ قِطْعَةٍ قِمَاشٍ قَطَنِيٍّ مَطْبُوعٍ
عَلَيْهِ زَهَوْرٌ صَغِيرَةٌ سَنَحَتِ الْفُرْصَةَ أَنْ تَقْتَنِيَهُ لِتَخَيِّطَ مِنْهُ تَحْفَةً أُخْرَى،
كَانَتْ غَالِيَا تَرْتَدِي دَائِمًا بِصُورَةٍ جَيِّدَةٍ وَلِذَلِكَ لَفَتَتْ الْأَنْظَارَ بِشَكْلِ
أَكْبَرٍ . فِي سَنِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةِ أَصْبَحَتْ تَهْتَمُّ بِمَظْهَرِهَا، تَتَمَايَلُ أَمَامَ الْمَرَاةِ
لَوْ قَدْ طَوِيلَ، وَتُغَيِّرُ مَرَارًا تَسْرِیْحَاتِ الشَّعْرِ، مُقْلِدَةً تِلْكَ أَوْ غَيْرَهَا مِنْ

نجمات السينما، وكذلك بعيدًا عن أعين الكبار، كانت تصبغ حواجبها ورموشها، التي لم تكن، برأيها، سوداء بما فيه الكفاية.

بعد المدرسة، التي تخرجت فيها، في الحقيقة من دون تفوق، ومن دون درجة ضعيفة واحدة أيضًا، انتسبت ليدا في معهد موسكو للكيماويات التقنية الذي يحمل اسم مينديليف^(٨). في ذلك الوقت لم تكن عبارة لومونوسوف^(٩) عن مدى توغل الكيماويات في أمور البشرية تُخيف أحدًا بعد، على العكس، كان يُعدّ إدخال الكيماويات بشكل كبير في الصناعة الخفيفة والغذائية إنجازًا علميًا عظيمًا. كانت الطالبة، ليدا، مثل الكثيرين من زملائها، قد حلمت بأن تكون ليفة اصطناعية، وقماشًا اصطناعيًا، ولحمًا اصطناعيًا، وحليًا، وفواكه وخضراوات. بعد حصولها على الشهادة، اشتغلت في واحد من معاهد البحوث العلمية الذي أُفتُح منذ مُدّة وجيزة، حيث باشرت العمل بحماس، وكما مازحتها غالبًا، لتدفع بالتقدم العلمي التقني. وقد شغلته الأبحاث إلى درجة أن المرأة الشابة

(٨) دميتري ايفانافيتش مينديليف - وُلِدَ ٢٧ كانون الثاني / يناير [٨ شباط / فبراير] ١٨٣٤ في مدينة تابلوسك (التابعة لمقاطعة تومين) وتوفي ٢٠ كانون الثاني [٢ شباط / فبراير] ١٩٠٧ في سانت بيتربورغ. عالم روسي في مجالات: الكيماويات، الفيزياء، علم القياس، الاقتصاد، التكنولوجيا، الجغرافيا، النفط، الملاحة الجوية، التدريس. اكتشف: الاتجاهات الدورية، العنصر الكيميائي وغيرهما من الاكتشافات. (المُترجم).

(٩) ميخائيل فاسيليفيتش لومونوسوف - وُلِدَ ٨ [١٩] تشرين الثاني / نوفمبر ١٧١١ في قرية ميشانينسكايا (التي تحمل اسمه الآن) التابعة لروسيا القيصرية وتوفي ٤ [١٥] نيسان / أبريل ١٧٦٥ في مدينة سانت بيتربورغ - أوّل عالم طبيعيات روسي، موسوعي، فيزيائي، كيميائي، أوّل من أدخل في العلم الكيماويات الفيزيائية، مؤسس الملاحة البحرية، عالم بمجالات: اللغة، الجغرافيا، المعادن، التاريخ، الفلك، الأنساب. مؤسس جامعة موسكو. وأيضًا: شاعر، فنان. (المُترجم).

قد نسيْتُ كُلَّ الأمور الأُخرى، من ضمنها حياتها الشخصية أو هكذا عَلَى الأقلَّ كان يبدو ظاهريًّا. في الحقيقة، لم يكن السبب طبعًا في العلم فقط وَإِنَّمَا كان يعود أيضًا إلى أختها الصغرى، التي كانت ليدا تَكْرُس نفسها بشكل كامل للاهتمام بها، قد شَبَّتْ فجأةً وَلَمْ تعد في حاجة إلى رعايتها. أما إِنْجَاب أطفال فلم تكن ليدا تُفكر بهذا الأمر. لم تمتلك لا مظهرًا مؤثّرًا، وَلَا الثقة في النفس، اللتين اشتهرت بهما غالًا، كانت ليديا شديدة الحياء دائميًا، وَصُورَة خاصّة عند الحديث مع الجنس الآخر، تصرفتْ بارتباك، لم تستطع أَنْ تُقدِّم نفسها وَحاولتْ أَنْ تتحاشى تلك السهرات، وَالرقص وَغيرها مِنَ التجمعات الصاخبة، حيث الفتيات عادةً يتعارفن مع الشباب. لم تكن محظوظة مع الخُطَّاب، وَبَتَقَدَّم السنّ رضختْ ليدا لهذا على ما يبدو وَحوَلتْ جل اهتمامها إلى العلم.

غالبًا، عَلَى العكس منها، منذ مرحلة الشباب المُبكرة امتلكتْ نجاحًا كبيرًا لدى الجنس القويّ وَبِنشاط انتفعتْ بهذا. مع ذلك اهتمَّ بها فقط الرجال الميسورون. إذا لم تكن لدى أَحَد مُعجبِها سيارَة، بيت ريفي، شقّة، منصب مُربح، أو لم تكن لديه آفاق جيّدة في المُستقبل، فإنه لن يحظى باهتمام غالبًا. مِنْ جهة أُخرى، مَنْ يستطيع أَنْ يهديها خاتمًا ذهبيًّا أو بلوزة مُستوردة، أو يدعوها لتناول أَكل لذيّذ نادر: لحم مُقدّد مُدخن دسم أو مُعلبات السلطعون، أو يصطحبها إلى حفل مُغنٍّ مشهور، يمكنه بهذه الأشياء أَنْ يأمل في كسب عطفها تمامًا.

في الحال بعد إنْهاء معهد التجارة تزوّجتْ غالًا -للمرّة الأولى-

من موظف التموين المُسنّ. غير أنها سرعان ما أيقنت بعد الزواج، أن زوجها مُمل، وقليل الأهمية، وغيور، وأن أكثر ما يزعجها فيه أنه جشع على نحو لا يُطاق. مع تلك الخصلة الأخيرة لم تستطع المرأة الشابة أن تتقبل الحياة معه بأيّ حال من الأحوال. طلبت الطلاق وسرعان ما أقامت حفل زفاف من جديد. في هذه المرّة وقع اختيارها على كوليا^(١٠) كوليكوف، المُمثل الساطع والمفضل للشباب آنذاك، ابن مدير أحد أكبر متاجر الأغراض المُستعملة. كوليا في الثلاثينيات من عمره فقد بعضًا من شعره الفاخر وامتلك كرشًا بارزًا، لكن رغم ذلك كان لا يزال جذابًا (وهذا طبيعي بالنسبة لما يتمتع به) وكان لا يزال يُعتبر أفضل عريس في العاصمة. هكذا كانت غالبا واثقة في أنها محظوظة للغاية. وخاصّةً أن الزواج الثاني كان أكثر توفيقًا من الأوّل. عمل الزوجان حديثًا الزواج في متجر كوليكوف الأب وبجهود مُشتركة كانا يعمران بيتهما. طبعًا، كانت تحدث بينهما مشاجرات وفضائح، لكن في أي عائلة لا تجري مثل هذه الأمور؟ وبوجود رفاهية كهذه وإمكانات، كما لدى والد الزوج، وافقت غالبا على أن تغض الطرف عن الكثير من عيوب ابنه. إذا ما وضعنا على كفة ميزان الملابس المُكتظة في خزانة الثياب ذات المرايا، وصندوق صغير مملوء بحُلّي ذهبية كاملة، ومأكولات فاخرة في ثلاجة فنلندية، ووجود سيارتين لدى العائلة، ومنزل كبير للاصطياف في ضواحي موسكو القريبة واستحمام سنوي في القرم، ووضعنا في الكفة الأخرى - بعض التوق بالنسبة للزوج «لترفيه عن نفسه» قليلًا،

(١٠) كوليا - تصغير وتحبيب اسم نيكالاي. (المُترجم).

فليس من الصعب الحزر، أيّ كفة سترجح.

وفجأة، بصورة غير مُتوقعة، تزوّجت ليدا مما أثار دهشة خارقة للعادة لدى الأقرباء والمعارف. كانت قد تجاوزت الحادية والثلاثين، حينما تعرّفت في مركز تجميع الخضار بعالم الفيزياء النووية باريّس وسرعان ما أعلنت عن حفل زفاف قريب. لكن إذا كانت الأم قد فرحت لهذا الخبر، فإن غاليا كانت منزعجة بذلك. تعودت خلال هذه السنوات أن تحسب أختها امرأة ليست كسائر النساء، عانس وفاشلة، تخرج جر حظها العاثر على أجر زهيد لباحثة صغيرة دون درجة علمية - باختصار، كانت تشكل الأخت بالنسبة لها تلك الخلفية الرمادية، التي برزت فيها هي بصورة جذابة وموفقة. وهُنا - يا له من خبر: قد تزوجت! لم يكن بوريا^(١١) سلاب خطيباً يُحسد عليه حتّى - لم يمتلك جمالاً، أو أموالاً، أو منصباً، ولا علاقات ولا آفاقاً مُهمّة، - لكن حقيقة زواج الأخت ذاته كانت معجزة بالنسبة لغاليا. ثم وكان الأمر نكاية بها على وجه الدقة، بعد عام من الزواج ولدت ليدا ابنها ديما. لم تكن غاليا تفكر بالأطفال قبل ذلك، مُتدركة بأن الوقت مُبكر، وهي وزوجها لا يزالان شابين، ويجب أن يعيشا لنفسيهما بعض الوقت. نتيجة لذلك، لم ترغب في ذرية على الإطلاق، تتلف جسدها، وتتعب نفسها في غسل القماط وتلقي على كاهلها الأعباء طوال حياتها. ولكن بعد ولادة ديما، بدا على كل عائلة كوليکوف وكأن الأمور قد خرجت من السيطرة، فتنافسوا بعضهم بعضاً في الحديث عن الوريث، وفطنت غاليا، كونها امرأة عملية، بأنها

(١١) بوريا - تصغير وتحبيب اسم باريّس (بوريس). (المُترجم).

قد تجد نفسها في وضع غير مُريح بعد وقت. طبعًا، هي لا ترغب في الولادة كليًا، لكن إذا لم تفعل هذا الآن، فالزوج يستطيع أن يُغادرها إلى امرأة أُخرى، على نحو آخر إلى امرأة ترغب في أطفال... كلا، لم ترغب غالًا في تطوّر كهذا للأحداث. وهي، على مضض، عزمت على ولادة طفل. بكل روحها أملت، أن تكون لديها صبية تسميها ليناتشكا^(١٢)، جميلة مثل لوحة. غير أن أندريه قد ظهر - بعد عامين، وشهر وأحد عشر يومًا من ولادة ديمًا.

بالرغم من أنها قد ولدت صبيًا وليس صبية، فقد تكدرت غاليا صحيانًا. عزمت على شراء لعبة صغيرة للبنات وملابس جميلة - وهُنا فجأة وُلد الصبي، الذي لم تفهم كيف سترّبه... لم تستطع بهذا الشكل أن تُنظم حياتها، غالًا للوهلة الأولى تصرفت مع الطفل مثل دمية حيّة، ألبست الابن، مثل الدمية، ورفضت رفضًا قاطعًا أن يقصّوا خصل شعره الأشقر الطويل، الذي كان أندريه فيه يشبه الفتاة.

تنتقل حاجيات الطفل الأكبر إلى الطفل الأصغر عادةً، عندما يوجد طفلان في العائلة باختلاف ليس كبيرًا بالسنّ، لكن هنا كل شيء حدث بصورة مُغايرة - ناظرة إلى حزمة قمصان، وسراويل محلية الصنع كالحة ومُتغير لونها جراء الغسل وصغرت، والتي أعطتها الأخت لها، غضنت غالًا أنفها بازدراء ورفضت حاجيات ديمًا بصورة قاطعة. ولم هي بحاجة إليها؟ منذ الأيام الأولى لوجود وريث عائلة كوليكونوف كان لديه كل ما يحتاجه - كانت لديه ملابس مُستوردة، وأنواع مُتنوعة من

(١٢) ليناتشكا - تصغير وتحبيب اسم لينّا. (المُترجم).

طعام الرضع (رغم النقص الكبير في ذلك الوقت!)، وأفضل الألعاب، ولم يكن بحاجة إلى حاجيات ديما، بل أحياناً ديما هي من يحتاج إليها، وتنازلاً من غالبا كان يُعطى لديما شيء ما من الحاجيات. كُل عائلة كوليكوف لم تستطع أن تملأ عين وريثها، سمحوا له بكل شيء، نفذوا جميع رغباته. أجزلوا العطاء لأندريوشينكا^(١٣)، أذنوا له بفعل كل شيء في الدنيا - وكما هو طبيعي، منذ الأعوام الأولى للحياة دلوله أكثر مما دلت ليدا أختها في ذلك الوقت.

تربية ديما كانت بشكل مُغاير كلياً. لم تكن في عائلته طقوس للطفل، لكن لم تكن أيضاً الفضائح، والتصنع والرياء في العلاقات. كان الدخل لدى سلاب أقل من المتوسط، ولم تكن لديهم إمكانية شراء المأكولات الفاخرة، وارتداء الملابس المُستوردة والذهاب بالطفل إلى المستوصف في سيارة «الفلوغا» خاصته. غير أن كلا الوالدين أحبا ابنهما بصدق وبجد، بكل سُرور، عملاً على تطويره وتربيته. وأفعالهما لم تذهب سدى - كان مُمكنًا أن يسموا ديما دون مبالغة بالكلمة العصرية في ذلك الوقت «الطفل المُعجزة». في سنّ الثالثة عرف كُل الحروف والأرقام، في سنّ الرابعة استطاع القراءة والحساب، بينما في سنّ الخامسة استوعب دون صعوبة كل الحالات الحسابية الأربع. وإذا كانت كلمة «لا يجوز» لا تنطق في عائلة كوليكوف بالنسبة لأندريه من حيث المبدأ، فإن ديما، بالنتيجة، لم يكن بحاجة إليها - يكفيه مرّة

(١٣) أندريوشينكا، أندريوشكا، أندريوشا، أندريوخا، أندريوخ، أندريوش - تصغير وتحبيب اسم أندريه. (المُترجم).

واحدة أن يُشرح له بوضوح، لماذا لا يجب أن يفعل تلك أو غيرها من الأشياء، لكي يفهم كل شيء. فباريس، الذي لم يكن يعلم تمامًا، إلا أنه كان لديه تصوّر دقيق لطريقة تربية غالا، فلم يرغب إطلاقًا، أن تتكرر الحالة مع ديماء. على أي حال، ليدا منذ ذلك الوقت أصبحت أكثر ذكاءً، كالمعتاد، تتنازل لزوجها، حين يدور الكلام عن الابن. هي مثل باريس، أرادت أن ينمو ديماء رجلًا حقيقيًا، وليس مُتقلب المزاج وابن الأم الجشع.

كما يحدث هذا غالبًا، قضى ابنا الخالتين الكثير من وقت طفولتهما معًا، ما دام أن كليهما قد جاؤوا بهما إلى الجدة ليولا مرارًا. كل عائلة كوليكوف الكبيرة، كما يُقال، عملت في متجر الأشياء المُستعملة، لم تتكاسل عائلة سالاب أيضًا، فضلًا عن ذلك، فخلال بضعة أعوام بعد ولادة الابن بدأت ليدا بكتابة الأطروحة. بينما الجدة ليولا كانت قد تقاعدت - ها هُما ذا الصبيان قد ذهبا إليها، حين لم يكن لديهما أحد يبقيان لديه.

راق لهما البقاء لدى الجدة، حتّى إن أندرية ليس من المُستغرب، وهذا أمر ليس بمستغرب، أراد أن يقضي هُنا الوقت مُتناسيًا تقلب الأطوار وحالته الهيسيرية. أن يرمي نفسه ويضرب الأرض بيديه وقدميه صارخًا، عندما لا يسمحون له بفعل شيء ما، هُنا لم تنفع هذه التصرفات - الجدة ليولا في وضع كهذا كانت ببساطة تنهض، وتأخذ ديماء معها وتخرج من الغرفة. ولم يكن أحد يغمره بلطفه ويفرح لما يقوله - والجدة، وابن الخالة يتعاملان مع أندرية ذي الثلاثة - الأربعة

- الخمسة أعوام كما يتعاملان مع الشخص الذي يمتلك رؤيته الخاصة ونظرتة للأشياء، الذي يمكن التحدث معه، وأن تنصت لرأيه وتتقبله بصورة جدية - وليس كدُمية حيّة، التي يجب أن تكون في البيت. ويجب القول، إن أندريه المُحتال في تلك الأعوام قد فهم أفضلية كلتا الحالتين واستطاع بسهولة أن يتأقلم مع كل حالة. في البيت هو يمثل من تلقاء نفسه وبدأب الطفل المُثير للمشاعر، الأمير الصغير، الفاتن في طبيعته الطفولية، لكن في أثناء ذلك لن ينسى لدقيقة أو يترك شيئاً آخر ينسيه، أنه - شخص مُتغطرس. بينما يكون عند الجدة مُطيعاً وقلما يعبث، لأن مقابل المزاح يُعاقبونه هنا بعدم الاهتمام، وهذا بالنسبة لأندريوشكا الصغير يُخيفه أكثر من كل شيء.

بعد ولادة الأحفاد سرعان ما تسلمت الجدة ليولا شقة في المبنى الجديد في كولومينسكي. في تلك الأحياء، في سنوات السبعينيات التي تُعيد إلى الأذهان بلدة أشبه بقرية كبيرة أكثر من حي في العاصمة، ومَرَّ جزء مُهم لطفولة ابني الخاليتين. كانت أكثر الأشياء مُتعةً لذكرياتهما، طبعاً، مُرتبطة بنهر موسكو ومُتنزه كولومينسكي، وجداوله، وتلاله ووديانه وينابيعه - لكن لم يذهب الصبيان إلى هناك في الحال. قبيل سن السادسة - السابعة لم تسمح الجدة ليولا لهما بالذهاب وحدهما عبر الطريق، لذا تنزها فقط في فناء المباني، حيث، لم يكن التنزه سيئاً أيضاً رغم ذلك. وهكذا حدث، بأن كان أطفال كثيرون يسكنون في مبنى على شكل برج سكني يتألف من اثني عشر طابقاً، بدا الجميع إما أكبر من أحفاد الجدة ليولا وإما أصغر، ومن جراء ذلك كان لدى ابني الخاليتين

صديق واحد فقط بالألعاب، أو بالأحرى، صديقة - بعمر أندريه اسمها دينا تيولينا، شقراء ذكية ذات خيال واسع. طوال أيام كاملة لعبَ الثلاثة في الفناء، وفي وقت مُتأخر في المُتنزه أو على ضفاف النهر، كان يلعبون في ألعاب مُختلفة شَيقة، التي يبتكرها ديما في الأساس. كلما كبر الولدان زادت أعمالهما تشويقًا. أَحَبَّ ديما القراءة منذ وقت مُبكر، وولعَ بكتب الخيال العلمي والمغامرات، واستطاع أن يأتي بفكرة من كل كتاب قد قرأه للعبة التالية المُذهلة. يوم أمس قلدوا أبطال فينيمور كوبيير^(١٤) الذين تحوّلوا إلى هنود حمر، اليوم حاولوا بتجربة ذاتية أن ينجزوا ابتكارًا ما، من كتاب جول فيرن^(١٥)، بينما يوم غد، تطلعوا للذهاب إلى الفضاء وصنع مركبة ما في مكان ما بين الكواكب المُقفرة.

في الطفولة حاولَ أندريه بأقصى طاقته أن يُقلد ديما. لكنه حاولَ فقط ولم يُقلده؛ لأنه إذا كان مُمكنًا أن يُكرّر كلمات ينطقها ابن خالته الأكبر منه سنًا، ويُقلد نبرة صوته، وحركات وجهه وأساليه (لم تكن في ذلك صعوبة) - ولكن أن يعيش اهتماماته بصفته شخصًا آخر، فإنه حقًا أمر مُختلف تمامًا. تَدَرَّبَ ديما في مجموعة الملاكمة - طلبَ أندريه، أن يُسجّلوه أيضًا في الدروس، لكنه لم يصمد وهرب، صُدم بالصعوبات الأولى. انهمك ديما في مُطالعة الكتب العلمية المشهورة، ككتب

(١٤) جيمس فينيمور كوبيير (١٥ ايلول/ سبتمبر ١٧٨٩ - ١٤ ايلول/ سبتمبر ١٨٥١) - كاتب وروائي أميركي. (المُترجم).

(١٥) جول غابرييل فيرن (٨ شباط/ فبراير ١٨٢٨ - ٢٤ آذار/ مارس ١٩٠٥) - روائي، شاعر، كاتب مسرحي فرنسي اشتهر بروايات المُغامرة وله الأثر العميق في أدب الخيال العلمي. (المُترجم).

بيريلمان^(١٦)، التي نشرتها مجلات «العلم والحياة»، و«التكنولوجيا - الشباب» و«الكيمياء والحياة» - جرّب أندريه أن يقرأ كل هذا، لكن، كما يبدو، قد بدأ بالضجر في وقت مُبكر للغاية، وترك القراءة. وكان ديمًا جيّدًا في الدراسة، مُتَحَصِّلًا بِصُورَةٍ رَئِيسَةٍ عَلَى درجَاتٍ عَالِيَةٍ «مُمْتَاز» و«جَيِّد»، أما أندريه فكانت درجاته جيّدة أيضًا في المرحلة الابتدائية، لكنها في المدرسة الإعدادية هبطتْ درجاته إلى «مقبول». ليسَ هذا بسببِ البَلاهة أو ضعف القدرات، كلاً مُطْلَقًا، كان رأسه يعمل بِصُورَةٍ مُمتازة. وَإِنَّمَا كان الكسل يُصيبه أَثناء أداء الواجب المنزلي في الوقت الذي تَزخر الدنيا بِالْعابِ مُتنوعة شَيِّقَةٍ أُخْرَى. والداه، طَبْعًا، تأثرا بسبب هذا، بأنّ التعليم بالنسبة لابنهما لم يعد مُهِمًّا، لكنهما حلا هذه المُشكلة، ليسَ بتدريسه، بل بِمُساعدة الهدايا التي منحوها للمُعلمين.

درسَ أندريه كوليُكوف، مِن الطَّبِيعِي، في مدرسة مُتَخَصِّصَةٍ وَنُمُوذجِيَّة بتعليم اللغة الإنكليزية بِصُورَةٍ مُكثِّفَةٍ. المدرسة هذه، ذات المسيح الخاصّ وَأُمُور أُخْرَى للتباهي، عُدَّتْ واحدة مِن أَفْضَل المدارس في موسكو، يُصَوِّرون فيها باستمرار أفلام الأطفال، كما يبدو، لكي يتكوّن انطباع لدى المُشاهدين، بأنّ جميع المدارس السوفييتية تظهر دائمًا بهذه الصُّورة. سَجَلُوا ديمًا بالبدا في مدرسة متوسطة عادية في الحي، التي تقع في الفناء المُجاور، حيث دَرَسَ أَعوامه الستة الأولى. لكن مِن الصف السابع، اتَّبَعَ والداه نصائح المُربين وَاسْتَمَعُوا

(١٦) غريغوري ياكفليفيتش بيريلمان (وُلِدَ ١٣ حزيران/ يونيو ١٩٦٦ في لينينغراد مِن عائلة يهودية) - عالم رياضيات روسيّ حل المسألة الرياضية بوانكاريه المُعقدة. حاصل على الميدالية الذهبية لأولمبياد الرياضيات. (المُترجم).

لطلب الابن المُثابر، ونقلوه إلى مدرسة الرياضيات التخصصية. كان لدى ديما بوضوح طبيعة تحليلية للعقل، في ذلك الوقت لم يكن طالباً ذا أفق مُحدد، «خبير لا تتعدى إمكاناته حدود مجاله»، كما يُقال لدى كازمآ بروتكوف^(١٧). اهتمَّ الفتى بأمور مُتنوعة كلياً، من ضمنها اللغات الأجنبية. كان برنامج اللغة الإنكليزية في المدرسة بالنسبة له قليلاً، وفي وقت الفراغ هُوَ بنفسه، دُون أيّ توجيهٍ مِنَ والديه، قرأ الكتب باللغة الإنكليزية، بدأ بالكتب المبسطة، وبعد ذلك الكتب الأصلية.

كلما كبر ابنا الخالة، يكون الاختلاف بينهما أكثر وضوحاً. نما أندريه مزهواً بنفسه، وكثير الحركة، ومُستهتراً، وكان أظهر صفاته البحث عن المخاطر العويصة، ظهر فيها باستمرار في مواقف لم تكن سهلة. ولم تكن معظم ألعابه بريئة. وحسبنا أن نذكر موقفاً واحداً مع لعبة الصور الموضوعة مع قطعة اللبان! في ذلك الوقت كانت هذه لعبة أوراق مغلف اللبان المُستوردة هي اللعبة المفضلة وسط التلاميذ الصغار، وليس الصغار فحسب. جمعوا هذه الأوراق ذات الألوان الساطعة، قايضوها فيما بينهم وَحَتَّى أعادوا بيعها، لكن كانوا بصورة أساسية وعلى الرغم من كل شيء يعتبرونها لعبة. في وقت الفُسحة تجمعت مجموعات من التلاميذ من مُختلف الأعمار عند النافذة وبدأوا المُسابقة، التي تلخص بضرب رَف النافذة لقلب أكبر عدد من مُغلفات اللبان. شارك أندريه أحياناً في هذه المُسابقات، لكنه كان يراقبهم باهتمام شديد، مدرّكاً أنهم يخفون هُنا أمراً ما يمكنه أن يصبح غنياً من خلاله.

(١٧) كازمآ بيتروفيتش بروتكوف (١١ نيسان/ ابريل ١٨٠٣ - ١٣ كانون الثاني/ يناير ١٨٦٣) - شاعر، كاتب مسرحي روسي. (المُترجم).

في أحد الأيام، حين كان في الصف السادس خطرت برأسه فكرة، والتي نفذها في الحال. بعد دوام المدرسة تربص ببعض من تلاميذ الصف الثالث، وبصورة قاسية أخذ منهم كل ما يملكونه من مُغلّفات اللبان، وَخلال أيام معدودة أدخلت هذه المجموعة للهاوي شديد الولع مبلغًا طائلاً جدًا - خمسة روبلات^(١٨). غير أن سرّ هذه القِصة لم يلبث طويلاً. أحد الأطفال الصغار اشتكى لوالديه، اللذين تذكرا، وَذهبا إلى المدرسة لتقديم الشكوى، وَسرعان ما عرفوا شريكه المنحوس وَكشفوا أمره. حزنت غالبا بعد استدعائها إلى المدرسة، وَبختُ ابنها، وَجاءت بالدليل الرئيس: «أندريوشا، لم فعلت هذا؟ ألم يكفك مصروف الجيب؟ كان يجب أن نخبرنا وَأبوك سيعطيك ما يلزمك!» الأب - هنا لم يبد منه أي رد فعل إلا أنه ضحك ضحكة ساخرة، بل إنه حين تحدّثوا له عما جرى، اهتمَّ بحجم المكسب من الصفقة وَقَالَ بفخر: «أحسنّت، يا فتى، لن تهلك في الحياة، يا مدرستي!» بالتالي، من المُمكن، لم يكن لأندريه أن يستخلص العبرة لولا ابن خالته. فبعد أن علم ديما بما حدث، أخذ أندريه وَكَتَفَه بمسكة مؤلمة وَأَمْسَكَ به حَتَّى لا يصرخ:

- يكفي، اتركني! هذا ليس عدلاً، أَنْتَ أقوى!

- وَأَنْتَ أقوى من الأطفال الصغار، - أَجابَ ديما طالب الصف الثامن، الأكبر سنًا بعامين كما يتذكر القارئ، من ابن خالته، وَأَطول، وَأَضخم. - وَلَكِنْ هذا لم يوقفك. من المحتمل، الآن أن تفهم أنه لا يجوز أن تقهر الضُّعفاء.

(١٨) الروبل - العملة النقدية الروسية. (المُترجم).

أثرت كلمات وَأفعال ابن الخالة الأكبر، المؤثر السابق دائماً بالنسبة للأصغر، تأثيراً كبيراً. أعطت الصفقة مجرى عكسياً، إذ أعاد أندريه النقود، ووزع مُغلّفات اللبان عَلَى الضحايا. لم يرغب أن يفعل هذا، لكن لم يكن لديه طريق آخر - الحفاظ على احترام ابن خالته ظهر أكثر أهميةً.

كان ديما في تلك السنوات شخصاً آخر كلياً. إذا لم يعرف أندريه باستمرار إلى أين يقود نفسه وماذا يفعل، فلم يكن لدى ابن خالته وقت للفراغ بشكل عام. علاوة عَلَى ذلك كثرة الاهتمامات الواسعة، التي تحدّثنا عنها، امتلك في حياته شيئين مُهمين، ولعه الأساسي - السري والواضح. السري كانت جارتة دينا، تلك الفتاة ذاتها، التي عاشت في الشقة المُجاورة لجدهم ليوليا. دينا في عامها الثالث عشر، قد نمّت بصورة غير مُتوقعة، ومُفاجئة، وتحوّلت من فتاة غير مُنتظمة شقراء ضعيفة إلى فتاة شابة جميلة وتتبع الموضة، ومنذ ذلك الوقت، لم يعرف قلب ديما السكينة لسنوات كثيرة. إلى ذلك الوقت أصبحت ألعاب الطفولة مع الفتيان بالنسبة لدينا من الماضي، هي لم تعد تذهب مع ابني الخاليتين إلى المُتنزه والفناء خلال مُدّة الأيام الصحوّة كلها، ولم تتقاسم مع ديمكا تخيلاتهما البسيطة وأسرار الطفولة الساذجة، وعاشت حياة الصبا، التي أظهرت لكل فتى في تلك السنوات شيئاً ما مُبهماً، المُخصص للهالة الغرامية الخاصّة. كانت مُحادثاتهما نادرة جداً وأحياناً تشبه كلام البالغين كلياً. عندما لم تكن لديها أعمال أخرى، كانت دينا توافق عَلَى الجلوس مع ابني الخاليتين للحديث في تعريشة

الفناء. هُم، كما كانوا في السابق، يثرثرون، ويمزحون ويضحكون، لكن لم يعثوا، ولم يلهوا، وكانت الأحاديث مُختلفة تمامًا، ليست كما كانت سابقًا. بتقدم السنّ تغيرت اهتمامات دينا كثيرًا، الآن هي تتحدّث بصورة أساسية عن الشباب، وعن الأموال، وعن المطاعم، وعن الحاجيات، تقاسمتُ مع أصدقاء الطفولة أحلامهم بشأن الحياة الجميلة، كيف يمكن أن تجد عشيقًا غنيًا بسهولة، ومن الأفضل أيضًا - «أن تغادر هذا البلد بأيّة حال من الأحوال». كانت دينا تحلم دائمًا بالولايات المُتحدة، هذه البلاد (هي بإصرار سمّتها أميركا) تراءتُ لها اللجنة الحقيقية على الأرض.

استمع ديمكا لكل هذا بصعوبة بالغة. أدرك، أنه غير قادر على أن يُحقق عُشر ما تتمناه دينا. ولكن، إذا نظر ديمكا نظرة واحدة إليها كانت تجعل قلبه يخفق بسُرعة، تندتُ راحتي يده بصورة مُقرفة، بينما الدم لسبب غير معروف قد صعد إلى الوجه، وبشيء بغيض إلى وجناته، وكانت تصبح لسبب ما قرمزية اللون. تحمل ديمكا هذه المعاناة لوقت طويل، لكن ذات مرّة على الرّغم من ذلك اعتزم على أن يلتقي دينا في مدخل المبنى، وأن يتحدّث معها ويدعوها غدًا إلى السينما. لكن دينا هزّت رأسها فقط ردًّا على طلبه، كأنها تقول دعها في المرّة المُقبلة، وغادرتُ لإنجاز أعمالها. وبقي في نفس ديمكا جرح لم يندمل، الذي ظل لسنوات عديدة بعد ذلك يتلذذ بلجمه. مثل أغلبية أقرانه، كان ديمكا سلاب حساسًا للغاية، ويغضب، ومُحبًّا لذاته بصورة مرضية. كتم مشاعره، وأخفى أوجاعه عن الجميع ولم يعرف أحد بها، عدا جدته

ليوليا، وَلَمْ يفه بكلمات عنها، حَتَّى لوالديه، اللذين كان لديه معهما طوال الحياة علاقات وديةً ومؤتمنة. لكن أباه وأمه لم يُحبا دينا تيولينا، ونظرا إليها على أنها سطحية وَضيقة الأفق. كان هذا الأمر يجعل ديمكا يضحك في قرارة نفسه، وَهُوَ يسمع ذلك. للأسف، حَتَّى والديه، وهما الأفضل لديه، أحيانًا لا يعون الأشياء البسيطة للغاية.

كانت التقنية الحاسوبية الوله الواضح الآخر بالنسبة لديما. ففي تلك الأعوام - في مطلع الثمانينيات وَحَتَّى مُتصفها - لم تكن لدى أغلبية مواطنينا إلا فكرة غامضة عن هذه التقنية، فقط تحدث عنها كتاب رائج مِنْ تأليف الأخوين ستروغاتسكي^(١٩) «يوم الإثنين يبدأ السبت» وأيضًا العبارة المأثورة مِنْ الفيلم الشعبي المحبوب «قصة غرام في مكتب العمل» كانت تقول: «جيد جدًا، بأن في سويسرا توجد كومبيوترات». إن الوعي بواقع هذا الاختراع الجديد للبشرية «كان بالكاد موجودًا لدى الجماهير الواسعة» فكان يبدو بعيدًا وَغير واقعي وَغير ملزم للحياة اليومية كليًا. هكذا، اللعبة التالية للعلماء وَالمُهندسين - الْمُتخصصين. بيد أن ديماسالاب ينتمي إلى تلك الأقلية، فقد كانت لديه الفكرة. حدث ذات يوم، حين أخذه والده إلى العمل، أن نظرَ الصبي إلى مركز الحاسبات - وَمِنذ ذلك الوقت بالضبط عشق الكومبيوترات. وَكان يُثقل جعبة موظفي مركز الحاسبات بأسئلته، حيث لم كان ينتهز

(١٩) الأخوان ستروغاتسكي - أركادي ناتانافيتش (ولد ٢٨ اب/ أغسطس ١٩٢٥ بمدينة باتومي وتوفي ١٢ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩١ بموسكو) وَباريس ناتانافيتش (وُلد ١٥ نيسان/ أبريل في لينينغراد وَتوفي ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢ بسانت بيتربورغ) - كاتبان روسيان، مؤلفان مُشتركان، كاتبَا سيناريو، كلاسيكي الخيال العلمي والاجتماعي المعاصر. (المُترجم).

الفرصة ليمكث هناك، كما انكبَّ على مُطالعة الكتب المُتخصصة، وهو يسعى بشتى الطرق المُمكنة للحصول على الكتب والمجلات التقنية الأجنبية، التي استطاع قراءتها بطلاقة من دون قاموس. في سنّ الخامسة عشرة تعامل بسهولة فحسب مع ظهور الكومبيوترات الشخصية، كمُستخدم ذي خبرة، بينما في سنّ السادسة عشرة كتب برنامجهُ الأوّل. كلما عرف أكثر، كانت ثقته أكثر دقّةً، وأدرك أن المُستقبل بالتحديد خلف هذه الماكينات الذكية المُذهلة، التي تعطي الإنسان الآن إمكانيّة هائلة، وفي المُستقبل كل هذا سيكون بِسرعة لا تُصدق، وستزداد ويزداد الإقبال عليها.

لمرات عديدة تقاسم أفكاره مع ابن خالته أندريه، الذي لم يستوعب كل هذا «الخيال العلمي» بِصورة جدية. لحاجة ما يعتقد أن وقتًا ما سيحين، ليكن حتّى في المُستقبل القريب. يجب أن نعيش بأيّ حال من الأحوال إلى ذلك الوقت، ويجب أن ننتقل من تلك الإمكانيات الموجودة في الوقت الحالي. بينما هذه الإمكانيّة مُرتبطة مُباشرةً بمفهوم واسع كهذا، حيث الحاجة إلى الأموال. عند هذه النقطة حاولَ أندريه أن يسخر من ديمكا. في الحقيقة، حدث هذا بِصورة غير موفقة تمامًا. لم يغضب ابن الخالة الأكبر من الأصغر، لكنه حزن للغاية. في سنّ المراهقة غيرت علاقة أندريه تجاه ابن خالته كثيرًا. أصبح لا ينظر إلى ديمكا الآن من الأسفل إلى الأعلى، كما كان سابقًا، على العكس، بحث عن أيّ دافع للنظر له من الأعلى وبرهنَ للعالم برمته، بأنه ليس الأسوأ، بل حتّى أفضل من ديمكا. وكان، يستغل كل فرصة ومناسبة تسنح له

للنكاية به. ولكن لم تنفع محاولات استدعاء حسد ديمكا بالتباهي بالحاجيات («انظر، ماذا يوجد لديّ، ولا يوجد لديك!»)، كما كان ديمكا عديم الاكتراث تمامًا بالملابس المُستوردة النادرة وكان ينعته بازدياء بالملابس الفاقدة لقيمتها. كانت قصّة ذات دلالات مُرتبطة بتسجيلات «سموكي»- وهي فرقة «Smokie» الإنكليزية المشهورة بصورة غير عادية في تلك الأعوام. كان أندريه يعرف أن ابن خالته تُعجبه موسيقاهم (لا سيما أغنية «Living Next Door To Alice»)، التي أحبّها ديمكا لأنها تذكره بديننا)، وعندما وصلت أندريه أغانيهم الجديدة، أوّل شيء قام به هو الاتصال بابن خالته وأخبره بهذا.

- مُمتاز، - رد ديمكا فرحًا- أعطني إياها لأسمعها؟

- كلا، - أجاب أندريه بصورة شامتة، وكان قد أعد لهذا الحديث وقتًا طويلاً. - لن أعطيك إياها.

- لماذا؟ - اندهش ديمكا بصورة حقيقية.

- بسبب سوء الطالع. «ها أنا ذا البراز»- اقتبس أندريه نكتة مدرسية محبوبة.

- آه، حسنًا، كما تعرف- أجاب ديمكا بهدوء. هُنا غيّر الحديث إلى موضوع آخر ولم يتذكر بشكل أكبر «سموكي». سخط أندريوखा عليه. طوال هذه الأيام العديدة، لم يتمالك نفسه إلى لحظة اللقاء تلك، وذهب في المرّة التالية ضيفًا على جدته، مُستصحبًا معه مجموعة الأغاني...

في الصفوف الدراسية المُتقدمة افترقت اهتمامات ابنا الخاليتين كليًا، كل واحد أصبح يدور في فلكه. في مجموعة أصدقاء ديمكا وزملاء الدراسة أحبوا الغناء على الغيتار ولحنوا من كلماتهم أغاني «غامضة» طويلة (كما اعتبرها أندريه) تجادلوا بشأن الكتب، ومعنى الحياة، ومستقبل البشرية، وأشياء مُشابهة أخرى. لم تُجري مجموعة أندريه أحاديث فكرية، كانت هناك اهتمامات أخرى تمامًا - ديسكو، والبارات، والفتيات، والملابس. في عالمهم كان كل شيء يُقاس بالمال. لاقى من كان يمتلك المال احترامًا كليًا، بغض النظر من أين وكيف حصل عليه، بينما استحققوا من لم يمتلكه. ولأن عائلة كوليكوف تنتمي إلى أصحاب الأملاك الكثيرة، كان أندريوخا في بيئته دائمًا في الصفوف الأولى. ارتدى دائمًا بصورة جيّدة، وهو نشيط، وفرح (صاحب نكتة، كما يُسمّى لديهم)، ويمتلك مظهرًا جذابًا، كان فتى أنيقًا على الدوام. كانت الفتيات يتطلعن إليه منذ وقت مُبكر، وقد راق لأندريه هذا جدًّا. بضمنها، لأنه أخيرًا ظهر مجال في حياته، حيث شعر بأفضليته على ابن خالته. جذب أندريه الشاب المُنغمس في الملذات بصورة خارقة للعادة، قصص الغرام السريعة والكثيرة مع العديد من الصديقات في آن واحد، وكان هذا بالنسبة له بمثابة رياضة. تحدّث بسرور عن انتصاراته يمينًا وشمالًا، وأثار هذا الأمر استياء ديمكا كثيرًا.

- كيف يمكنك فعل هذا، يا أندريوخا؟ - زم شفتيه، سامعًا قصّة أخرى عن حبيبة سابقة لابن خالته التي لا يمكن أن تتقبل ما فعله معها، بأن هجرها، وتحاول مرارًا الاتصال عليه، وتبعث له الكثير من الرسائل

وَتَقِفْ طَوَالَ الْمَسَاءِ كُلِّهِ تَحْتَ نَوَافِذِ شَقَّتِهِ مُنْتَظِرَةً إِيَّاهُ. - هَذَا فِعْلٌ قَبِيحٌ،
وَلَيْسَ مِنَ الرَّجُولَةِ! لَا يَجُوزُ أَنْ تَتَصَرَّفَ هَكَذَا مَعَ الْفَتَيَاتِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ
تُثَرِّثَ بِهَذَا مُطْلَقًا.

- لَا دَاعِيَ لِلْقَلْقِ، يَا شَيْخَ، - قَالَ أُنْدَرِيه وَهُوَ يَضْجُ بِالضَّحْكِ. -
أَنْتَ بَبْسَاطَةٌ تَحْسُدُ خَبْرَتِي. قَرِيبًا سَيَكُونُ عَمْرُكَ ثَمَانِيَةَ عَشْرَةٍ، وَلَيْسَ
لَدَيْكَ أَيُّ عِلَاقَةٍ جَنْسِيَّةٍ، أَنْتَ لَمْ تُقَبَّلْ فَتَاةً وَاحِدَةً!

احْمَرَّ وَجْهُ دِيمَا وَأَشَاحَ بِنَظَرِهِ. نَكَأَتْ كَلِمَاتُ أُنْدَرِيهِ الْجُرْحَ. لَمْ
تَكُنْ لَدَيْهِ فَتَاةٌ إِلَى هَذِهِ اللَّحْظَةِ، مَا دَامَ أَنَّ دِينَا تُسَيِّطِرُ عَلَى كُلِّ قَلْبِهِ.
وَلَكِنْ دِيمَا لَمْ يَقْرَرِ الْاقْتِرَابَ مِنْهَا مَرَّةً أُخْرَى بِطَلْبِ اللَّقَاءِ بِهَا، خَائِفًا مِنَ
الرَّفْضِ الْمُتَكَرِّرِ. فِي الْمُقَابَلِ أُنْدَرِيهِ يَفْلَحُ بِكُلِّ شَيْءٍ.



الفصل الثاني

فكرة عظيمة

قُبيل إنهاء المدرسة بقليل أقام أندريه علاقة غرامية مع دينا. وكما نعرف (لم يكن التعارف بينهما صعبًا، وَكِلَا «العاشقين» لم يخفيا علاقتهما، بل العكس تمامًا، جهرا بها أمام الناس، كما لو تعمدا إظهارها)، اعتقد ديمكا في الحال، أن ابن خالته قد أغرى، كما يُعبر، جارة جدتهما عمدًا، نكاية به لا أكثر. خَمَّنَ بصورة ما مشاعره تجاه دينا، وفي النهاية، المشاعر - فعل كهذا، لا يمكن إخفاء ما يتم كشفه، ها هُوَ ذا قد قرر أن يُري ابن خالته، مَنْ منهما أكثر تميزًا (وقتئذ، في الحقيقة، هذه الكلمة لم تصبح دارجةً بعد، لكن جوهرها لم يتغير).

سواء كان ديمكا مُحَقَّقًا في شكوكه أم لم يكن مُحَقَّقًا، لم يفلح هكذا بالتعرف، عَلَى كل حال، في وقتها. لكن، مهما كان الأمر، التقى أندريو خا ودينا لبضعة أشهر. وَمَا إن بدا كل شيء للتو، حتى حاولَ أندريه في الحال أن يقص عَلَى ابن خالته التفاصيل، رَدِّ ديمّا عليه بكلمات قاسية غير معهودة وَطَلَب منه أن يصمت. انتهى الأمر بعراك ليس كبيرًا، الأمر الذي لم يحدث بين ابني الخاليتين منذ سنوات عديدة. منذ ذلك الوقت

لزم أندريو خالصاً، ولكن في كل الأحوال حدوث أمر كهذا وبهذه الصورة، فإن هذه الحالة الغرامية قد شغلت ديمًا باستمرار - فتارة يتصل ابن خالته على دينا في أثناء حضوره، وتارة هي تُعرج على أندريه، حين يكون كلاهما عند جدتهما، وتارة أخرى يأتي الاثنان مُتعانقين كأنهما يلتقيان ديمًا صدفةً في الشارع.

وبعد فترة هجر أندريه دينا بكل بساطة، كما كان يتصرف عادةً مع جميع حبيباته. وقتئذٍ تعيّن على ديمًا لبعض الوقت أن يواسيها، ويُسلي الفتاة المهانة والمحزونة. شعر عند ذلك بالحزن والأسف على نفسه. تأسف على حال دينا، لكن ليس أقلّ أسفًا على نفسه. كم مرّة أراد أن يقول لدينا بأنه يُحبها منذ مُدة طويلة، وكان بالكاد يتمالك نفسه من الاعتراف بحبه لها... لكن لم تكن لدى ديمًا الإرادة، كان يخشى أن يضع حبيبته في موقف مُحرج. بدا له بأن هذا سيظهر بصورة غير جميلة للغاية - أحد ابني الخاليتين كان قد هجرها، بينما ابن الخالة الآخر بات مُستعدًا أن يحل محل الأول. ورغم ذلك، أدرك بصورة واضحة تمامًا، أن حظوظه إزاء رضى دينا كانت قليلة. لم يكن لدى ديمًا إمكانية أن يأخذها إلى الحانات بسيارة الأجرة وأن يُقدّم لها شيكولاتة مُستوردة، كما كان يفعل أندريو خا. وهكذا انتهى كل شيء. بكّت دينا بكاءً عاليًا مرات عديدة على كتفه، وكفّت عن الاتصال بديمًا وسرعان ما اختفت من حياته.

إلى ذلك الوقت، حين حدثت هذه القصة، كان ديمًا طالب كلية الرياضيات الحاسوبية وعلم السيرنيتك في جامعة موسكو الحكومية.

انتسبَ هُناكَ برغبته، مِن دُون واسطة كبيرة وَمِن دُون دفع الرشى، وحتى مِن دُون مُدرس خصوصي يُجهزه لدخول الجامعة. في الحقيقة، انتسبَ بعد المُحاولة الثانية. المُحاولة الأولى، كانت بعد المدرسة مُباشرةً، مِن أجل القبول كان بحاجة إلى درجة واحدة. أدى ديما الامتحانات الخاصة بالاختصاص بصورة جيّدة جدًّا، حتّى استحقَّ المَدح مِن مُدرس الرياضيات، ولكنه ارتكبَ خطأين بسيطين في الإنشاء، فحصل على درجة مُتدنية. طبعًا، ولكي نكون منصفين، كانت هذه جامعة موسكو بشروطها الصارمة.

كان الإخفاق قد أحزنَ ديما كثيرًا، وكثيرًا ما أصاب إحساسه بافتخاره بنفسه بالألم. فقد كان يعد نفسه في عِداد الأوائل، والأفضل، حتّى ضمن طلاب مرحلته، وتلاميذ المدرسة الخاصة، حيث يقبلون فقط الفتيان الموهوبين. وفجأة، بصورة عجيبة، انتسبَ الجميع - بينما هوَ قد أخفق. يا لحُسن الحظ، يوجد مِن باب الاحتياط عام على الالتحاق بالجيش، سيبلغ سنّ الثامنة عشرة في تشرين الأوّل/ أكتوبر المُقبل.

في هذا الوضع ساندَه والداه بصورة مُمتازة. وباريس، وليدا حاولا بكل قوّتهما أن يفهما ابنهما، بأن ما حدث - مأساة غير مُفرحة، وعليه أن يُفكر بالسبب فحسب ويستنتج. ساعدته امتحانات القبول على إظهار مكمّن الضعف في نظام الإِعداد - بأن يجب أن يجمع المعلومات ويبدأ العمل في هذا الاتجاه، إذا أراد أن يُحقق الهدف الموضوع. وقد وافقهما ديمكا الرأي. كانت ناتاليا فيكتارافنا مُحقة، في أنها مُعدة مُمتازة

وَمُدْرسة اللغة الروسية وَالْأدب، - من دُون مادتها لن ينتسب أحد في أيِّ مكان، وَلن تختار أنت أيَّ اختصاص. قررَ ديمكا بحزم، أن ينتفع مِنَ العام المُقبل، لكي يرفع مُستوى اللغة الروسية، وَأَن يلتحق لستة أيام في دروس دورة الإعداد.

وَلكن دورات التقوية من الممكن أَن يعوّضها بأخرى، فبالنسبة له أَن يكون عالة عَلَى والديه كان أمراً غير مُريح. كما يبدو هو لم يعد تلميذاً، أصبحَ تقريباً شخصاً بالغاً. اتخذ قراره بنفسه، وذهبَ ديمكا إلى مركز الحاسبات التابع لمعهد البحث العلمي، حيث يعرفونه هناك جيّداً منذ مُدّة طويلة، واهتمَّ بأن يجد لديهم وظيفة شاغرة كموظف مُختبر. حصل عَلَى الوظيفة - مسؤول القسم لم يفلت الفرصة وَأخذ الموظف الشاب للعمل بحماس كامل، فقد كان يعرف عمله وَلم يكن بحاجة إلى أيِّ شيء، كان يعرفَ الكثير، والشيء الجديد كان يفهمه في الحال. هكذا أصبحَ ديمكا سالاِب «دُون سنّ السابعة عشرة» يكسب نقوده الأولى - سبعين روبلاً كاملة في الشهر، أربعون منها يعطيها بانتظام لأُمه للأُمور المنزلية.

لم يكن هذا العام سهلاً على ديمكا. منذ الصباح يذهب إلى العمل عبر موسكو برمتها، بعد ذلك، مساءً، يذهب لدروس التقوية في حي لينينسكيه غوري^(٢٠) ويقضي في الطريق ليسَ أَقلَّ من ثلاث ساعات يومياً؛ لأن عائلة سالاِب تسكن في حي نافاغيرييفا^(٢١)، بينما مركز

(٢٠) حي يقع في غرب موسكو وحالياً يُسمّى فارابوفا غوري - (جبال العصفير). (المُترجم).

(٢١) حي يقع في شرق موسكو. (المُترجم).

البحث العلمي يقع في برابراجينكا. يوم العطلة الوحيد في الأسبوع- هو يوم الأحد- يبدو أنه أيضًا يمتلئ إلى نهايته، لم يمكنه أن ينام نومًا قليلًا حتَّى، وتتكبد الأعمال كثيرًا جدًّا، والتي من الضروري أن يكملها. لكن مع ذلك، حدث كل شيء بالضبط بهذا الشكل، وليس بصورة أخرى، ولم يشتك ديمكا على الإطلاق. منح هذا العام لديمكا أمورًا كثيرة جدًّا، من ناحية تكوين الشخصية، ومن ناحية الخبرة المهنية. إلى لحظة امتحانات القبول المُقبلة لم يعد ذلك الشاب الغرّ منذ أيام الدراسة، مثل حال الكثير من المُتقدمين للانتساب إلى الجامعة، رفاقه ومُنافسيه في آن واحد، بل السنّ ذاته للشخص الذي يعمل والخبير تقريبًا وليس كما يتخيل مهنة المُستقبل في الجانب النظري فقط، بالكتب، ولكن مُطّلع بالجانب العملي. وقد ساعدته الدروس في هذه المَرّة وكتب الإنشاء على الاجتياز دون خطأ واحد. حصلَ ديمكا سالا ب من دُون جهد خارق على درجة القبول في الجامعة وفي آب/ أغسطس رأى بفرح اسمه في قائمة الطلاب المقبولين في المرحلة الأولى.

لا يجوز القول إن الدراسة في الجامعة كانت سهلة للغاية بالنسبة له. لا سيما السنوات الأولى. هذا فيما بعد، في الصفوف المُتقدمة، حين أصبحوا يدرسون المواد الأساسية المُتعلقة بالاختصاص، والتخصص ذاته، الذي أحبه ديمكا منذ الطفولة، لم تكن الدراسة أسهل، لكن على أي حال، كانت أكثر مُتعة. في البداية، وجب عليه أن يبذل الكثير من الجهد من أجل الدروس الثانوية، والمُقررات الدراسيّة العامة، التي اعتبرها ديمكا ليست كلها ضرورية ومُفيدة. مثل العلوم الاجتماعية، وتاريخ

الحزب الشيوعي السوفييتي عَلَى سبيل المثال. لكنه على كل حال من الأحوال قد أداها. كان درس رأسمالية السياسة الاقتصادية شيقاً لديمكا عن بقية الدروس الأيدولوجية الإجبارية. مع ذلك، فرح الطلاب، في ذلك الوقت بالضبط، حين عدلت جامعة موسكو الحكومية الدروس تدريجياً إلى أن ألغتها، مع العلم أن مرحلة دراسة ديما كانت في مرحلة التغيرات الشاملة في نهاية الثمانينيات ومطلع التسعينيات. لكن ديما، خلافاً لأغلبية الطلاب الآخرين، اهتم قليلاً بالسياسة آنذاك - فلم يكن لديه وقت كاف لها. كان مشغولاً للغاية - بالدراسة، طبعاً، ولكن قبل كل شيء بالعمل العلمي. رسمياً لم يبق ديمكا ضمن موظفي معهد البحث العلمي لمُدّة أكبر، لكن، حسب الذاكرة القديمة، يذهب إلى هُناك باستمرار، ماکثاً هُناك لبضع ليالٍ بطولها في مركز الحاسبات. تغير الزمن وسادت حقبة الكومبيوترات الشخصية بعد أن كانت الحاسبات الإلكترونية الكبيرة هي السائدة، تلك الحقبة التي جاءت بالتحديد في ذلك الوقت، ونالت اهتماماً أكبر مع تبدل العصر الاشتراكي إلى شيء ما غير مفهوم، الذي يُسمّى البيريسترويكا^(٢٢).

في أثناء انشغاله هذا لم تمنح من ذاكرته الصورة المُشرقة لدينا، التي لم تنجح فتاة واحدة مثلها في الوصول إلى حياته الشخصية بصورة ما. حتّى بغض الطرف عن أنهما لم يريا بعضهما منذ سنوات عديدة، منذ ذلك الوقت في ١٩٨٩ حين توفيت الجدة ليوليا بسبب انسداد الأوعية الإكليلية في القلب.

(٢٢) البيريسترويكا تعني إعادة الهيكلة الذي اعتمدها غاربتشوف في نهاية الثمانينيات. (المُترجم).

غالينا العملية كانت قد سجّلت منذ مُدّة طويلة إقامة أندريه مع جدته، وما إن توفيت أمها، حتى تحركت سريعاً في الوقت ذاته وأفلحت في إقناع الجارة الأرملة بمُقايضة مسكنها، وأقنعتها بأن المرأة المُسنّة الوحيدة ستعيش بصورة أفضل في مساحة أصغر بالقرب من مُتنزه كولومينسكي، من العيش في «المركز الملوّث بالغازات، في شقّة كبيرة، التي لا تمتلك القوّة بكل حال من الأحوال لتنظيفها». بهذا الشكل ضاعفت عائلة كوليكوف مكان سكنهم الصغير نوعاً ما بضعفه تقريباً، وفقدَ ديمكا إمكانية رؤية حُبّه الأوّل.

في أحد الأيام، كان هذا في مطلع التسعينيات، تجرأ في صباح الأحد بالاتصال برقم معروف.

- ديتشكا^(٢٣) غير موجودة، - أجابت أمها - يوم أمس الأوّل قد سافرت مرّة أخرى إلى خارج البلاد.

«سافرت مرّة أخرى إلى خارج البلد!» حدث، أن نجحت دينا بتحقيق أحلامها. مع ذلك، هنا لا يوجد ما يُدهش، الآن الجميع يسافرون إلى مكان ما، بينما الكثيرون يُغادرون إلى الأبد.

- و... كيف أحوالها بشكل عام، يا ناديچدا سيميونافنا؟ - نطقَ ديمّا بصعوبة.

- جيّد. بل حتّى جيّد جدّاً. تنوي الزواج من أجنبي، من أميركي! - دَوّت الجُملة بفرح في سماعة الهاتف.

(٢٣) ديتشكا، دينكا - تصغير وتحييب اسم دينا. (المُترجم).

- إذن... قولوا لها، بأني أتمنى لها السعادة.

بعد هذه الأخبار امتلك ديمًا زمام نفسه وبجهد جهيد أجبر نفسه على نسيان دينا. وقد أفلح بهذا إلى حدٍّ ما. ظهرت في حياته فتيات أخريات، فقد كسبَ بعض الخبرة من الحديث مع الجنس الناعم، لكن كل هذا لم يحدث بهذا الشكل، بل بصورة ما تافهة للغاية. ليس لأن ديمًا لم يهتم بالجنس الناعم. اهتمَّ، بالطبع، لكن أقلَّ بكثير من اهتمامه بالكومبيوترات. ونتيجة لذلك السبب حتَّى في أثناء الموعد الغرامي كان مُنشغلًا بالتوصل لحل مسألة ما في رأسه تخص البرمجة، التي كان يعمل عليها في الآونة الأخيرة. وقتند نسي ديمًا كل شيء، استهواه الكومبيوتر بشدة. ولكي يؤكد صحة هذا القرار، كان يتصرف برعونة في مواعيده الغرامية ويودع الفتاة المُهانة للغاية بسلوك كهذا كأنه مُعجب بها وينصرف سريعًا من هناك.

لم يرَ ديمكا أندريه في تلك المرحلة تقريبًا، كانت تجري مُحادثاتهما فقط باللقاءات التقليدية «الخاصة بالأقرباء» لبضع مرات في السنة، بصورة رئيسة بالأعياد، هذا قد أَرْضَى ابني الخاليتين كليهما. «نحنُ شخصان مُختلفان كُلِّيًّا»، - أسر ديمًا لنفسه. ومن جراء ذلك كان مُندهشًا كثيرًا، حين اتصل ابن الخالة فجأةً به وحددَ اللقاء.

مرَّت حياة أندريه أيضًا بدورها، وَحَتَّى قبيل ذلك الوقت بصورة ناجحة كُلِّيًّا. فخلافاً لابن خالته لم تكن لديه أي صعوبات بالانتساب إلى المؤسسات التعليمية - اختارَ والداه له معهد بليخانوفسكي^(٢٤)

(٢٤) الجامعة الروسية للاقتصاد التي تحمل اسم غيورغي فالينتينافيتش بليخانوف. (المُترجم).

وَحَلَا بِأَنْفُسَهُمَا كُلَّ الْمَسَائِلِ، لَمْ يَعْلَمْ أُنْدَرِيه حَتَّى بِكُلِّ هَذَا، كَيْفَ
بِالتَّحْدِيدِ، بِبَسَاطَةِ اتِّبَاعِ إِرْشَادَاتِ وَالِدِهِ بِدَقَّةٍ: «تَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ، سَتَجِدُ
فَلَانًا، قُلْ لَهُ إِنَّكَ ابْنُ نِيكَالَايِ مِيخَايِلُوفِيْتَشْ». فَهَمَّ الْأَمْرَ اللَّازِمَ، فَمَا أَنْ
سَمِعَ اسْمَهُ فِي امْتِحَانِ الْقَبُولِ، حَتَّى هَمَسَتْ رَئِيسَةُ اللُّجْنَةِ لِرُزْمَلَانِهَا: «هَا
هُوَ ذَا بَذَاتِهِ»، وَقَدْ سَأَلُوهُ لَيْسَ كَمَا يَسْأَلُونَ بَقِيَّةَ الْمُتَقَدِّمِينَ لِلانْتِسَابِ،
وَلَمْ يَسْأَلُوهُ أَسْئَلَةً إِضَافِيَّةً، بَلْ حَتَّى انْتَشَلُوهُ بِشَتَّى الطَّرُقِ، حِينَ ارْتَبَكَ
فِي الْإِجَابَةِ.

رَاقَ الْمَعْهَدَ لِأُنْدَرِيهِ، وَعَلَى أَيِّ حَالٍ، هُنَاكَ كَانَ أَفْضَلَ بِكَثِيرٍ مِنَ
الْمَدْرَسَةِ. فِي الْمَدْرَسَةِ كَمَا يَبْدُو لَا أَحَدٌ يَحْمِلُكَ عَلَى مَحْمَلِ الْجَدِّ،
الْجَمِيعُ يَتَعَامَلُونَ مَعَكَ كَطِفْلٍ، الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يَفْعَلَ لَا هَذَا وَلَا تِلْكَ
مِنَ الْأَشْيَاءِ - أَلَا يَدْخُنْ عِنْدَ وَجُودِ الْبَالِغِينَ، وَلَا يَذْهَبُ فِي الْمَسَاءِ إِلَى
الْحَانَةِ إِلَّا وَسُئِلَ عَنْ عَمَرِهِ، وَأَنْ يَقْضِيَ الْوَقْتَ بِصَحْبَةِ فَتَاةٍ «مُزَّة» مِنْ دُونِ
مُجَازَفَةِ أَنْ يَرَاهُ الْوَالِدَانِ. لَكِنْ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، الطَّالِبُ فِي هَذَا الْمَعْهَدِ -
شَخْصٌ بَالِغٌ، كُلُّ شَيْءٍ مُتَاحٍ لَهُ. مِنْ ضَمْنِهَا أَنْ يَمْتَلِكَ رُخْصَةَ الْقِيَادَةِ وَأَنْ
يَحْصُلَ عَلَى هَدِيَّةِ سَيَّارَةٍ خَاصَّةٍ مِنَ وَالِدِهِ فِي سَنِّ الثَّامِنَةِ عَشْرَةِ.

اهْتَمَّ أُنْدَرِيهِ قَلِيلًا بِالدراسةِ، كَانَ فِي حَيَاتِهِ الْكَثِيرَ جَدًّا مِنَ الْأَعْمَالِ
الْأُخْرَى، أَكْثَرُ أَهْمِيَّةٍ. عَرَفَ، أَنْ لَا ضَرُورَةَ مِنَ الْخَوْفِ عَلَى الْامْتِحَانَاتِ
- الْأَبُ سَيَتَدَارَكُ كُلَّ شَيْءٍ سَرِيعًا. الْأَجْدَادُ، طَبْعًا، نَاكِدُوهُ، وَمِنْ دُونِ
هَذَا، كَمَا زَعَمُوا، أَنْكَ تَفَكَّرُ بِشَيْءٍ مَا، فَقَطْ لِأَنَّكَ طَائَشُ الْعَقْلِ، وَمَاذَا
سَيَكُونُ مِنْكَ، وَهَلْمْ جَرَا. لَكِنْهُمْ أَعْطَوْهُ النُّقُودَ بِكُلِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ،
بَيْنَمَا الْأُمُورَ الْأُخْرَى لَمْ تَكُنْ مُهِمَّةً بِهَذَا الشَّكْلِ. لَمْ يُحَاوِلْ أُنْدَرِيهِ

التفكير بالمُستقبل، ولم يفكر في هذا، وما يحدث حوله أمر غير مفهوم وغير معروف، وكل شيء يتغير إلى شكل آخر. في وقت سابق تخيل نفسه إلى حدٍّ معين، كيف ستكون حياته - ينهي تعليمه، ويحصل على الشهادة، والأقرباء سيجدون له مكانًا ما مُربحًا، حيث سيكسب أموالًا جيّدة ولن يقضي وقته في شيء خاص. غير أن الحياة بدأت تتغير تمامًا، وقرّر أندريوخا، أن يدع كل شيء يكون مثلما يكون. الآن، على أقل تقدير، كل شيء مُمتاز - كم من المطاعم التعاونية قد أُفتُحت، وكم من الملابس المُستوردة قد ظهرت، وقد ظهرت فرص كهذه من لا شيء! عليّ أن أنتفع بكلّ مسرات الحياة هذه، والأهم أن يكون المال في جيبي. واستمرّ بحياة «الفتى المُدلل» واستمتع بها كُليًا، ما دامت الأموال كانت تسمح له بذلك، كما أن أوضاع والديه كانت لا تزال ميسرة بعض الشيء. سكنَ في الشقّة الجديدة، التي أبدلتها أمه لأجله (بأيّ حال من الأحوال، تلامس حائط مسكن والديه، بالإضافة إلى أنها ملكه!)، انغمس في اللهو والملذات، تعكر مزاجه مع الفتيات. أبدل الفتيات الواحدة تلو الأُخرى - وفجأة كل شيء انتهى بلمح البصر. فقد ظهرت في حياته فجأة. سفيتا^(٢٥).

يتوجّب القول، إن الاسم لا ينطبق عليها. لا يتناسب معها إطلاقًا. سفيتلانا، كما يبدو هي يجب أن تكون - شقراء ممشوقة، وحسنة روسيّة. ذات عينين زرقاوين، كالسما، العينان جميلتان والخدان أحمران، كما قالوا في غابر الزمان، تكاد العافية تثب من وجهها. بينما

(٢٥) سفيتا، سفيتكا، سفيت - تصغير وتحبيب اسم سفيتلانا. (المُترجم).

هذه سفيتلانا ذات شعر أسود، ونحيفة، وسمراء، وذات عينين بنيتين في نصف وجهها، والشعر الأسود يتجدد بحلقات خشنة. تشبه لحدّ ما فتاة أرمينية، أو فتاة غجرية، أو إسبانية - الله يعلم من هي!

لكن لا بأس بها. هي جيّدة، عندما رآها للوهلة الأولى لدى صديقه في تجمع الأصدقاء، ركزَ أندريوخا في الحال عليها، وهُنا جرّ صديقه من كفه، كان يريد الحديث معه على جنب حديثاً مُهمّاً.

- مَنْ هذه؟ - سأل في الحال.

- هذه سفيتكا، جارتِي، تعيش هُناك. - أشارَ صديقه إلى الجانب، مُشيرًا بذقنه إلى السياج عبر الشارع (كان يقصد به المنزل الريفي). وأضافَ: - لا تغرنك الأماني. هي ليست سهلة، وليست رخيصة. لن تجرّها هكذا ببساطة إلى السرير. حاول جميع شبابنا الاقتراب منها، لكنها استعصتُ عليهم.

- لعلكم غير ملائمين لها، - ضحك أندريه بسخرية.

عبر الصديق عن سخطه:

- أعتقد، سيحدث لديك شيء ما؟ لا تأمل.

- حسنًا، سنرى هذا. - عدل أندريوخا بحركة مُعتادة شعره وانتقل إلى الأرجوحة، حيث جلستَ سفيتلانا مع صديقتين لوحدهن.

بدا الصديق مُحقّقاً في الكثير من الأمور - لن تستطيع اقتحام هذه القلعة بالوقاحة. كل الوسائل المُجرّبة لأندريه، التي اعتادَ أن يصطاد بها فتياتهِ المعروفات (للإنصاف يجب القول، بأن الفتيات كُنَّ مُتشابهات)،

لم تنجح عروض التنزه معها في سيارته أو الذهاب بها إلى الحانة. ردًّا على عرضه هزّت سفيتلانا كتفيها فحسب دلالة على الرفض، وقالت، بأنها مشغولة للغاية، وحتى رفضت إعطاءه رقم هاتفها. لكن أندريوخا لم ينو الاستسلام هكذا بسهولة. باختصار حاول أن يلتقي صديقه وتردد مرارًا عليه في المنزل الريفي بهدف واحد موحد - أن يرى سفيتا. أن يعتني بها مثل النبتة، كما عبر بنفسه، طوال صيف كامل، وتدريبًا بدأت الحسنة الصعبة المنال تبدل الغضب إلى عطف.

أكان شعور أندريه تجاه سفيتلانا حُبًّا لها؟ ليس من المؤكد. الأمر ببساطة أنه أصبح هو شخصيًا لأول مرة موضعًا لعدم الاكتراث، وهذا نال منه بصورة كبيرة. قبل سفيتلانا كان يختار هو بنفسه وبصورة لا شعورية صديقة من فتيات طبقة مُحددة - أولئك، اللاتي قبل كل شيء يسعين في الحياة إلى التسلية، لا يُعقدن عيشتهن بمقدرات ما أخرى، بتأملات وخطط، التي تمتد إلى ما بعد مساء السبت. بينما سفيتلانا ظهرت بشكل مُغاير تمامًا. هي لم تُفكر جديدًا بمُستقبلها فحسب، بل تدريبًا قد بنته بيديها.

- أريد أن أعيش حياة اعتيادية كاملة القيمة، - قالت هي. - لا أود أن أعيش حياة التقشف، كما فعل والدي، وأن أعيش بصورة لائقة. أن أمتلك بيتًا خاصًا، وسيارة جيّدة، أن أسافر للسياحة، وأن ألبس حسب الموضة... لكن في بلدنا هذا غير مُمكن، على كل حال، لم يحن هذا الوقت بعد.

- أنتِ تنوين الهجرة؟ - افترض أندريه.

- أنا لا أستثني هذه الفرصة.

- طبعًا، الآن الكثيرون يُسافرون...

- نعم، لكن الأغلبية منهم يُسافرون إلى حيث المجهول. يرتضون بأعمال ما غير ماهرة، فقط من أجل أن يتشبثوا هناك، ويأملوا، بأن مع الوقت سيتحقق كل شيء... لكنني لا أريد أن أكنس الشوارع أو أحمل أواني قضاء الحاجة للعجزة، بغض النظر عن أن هذا الأمر لا يمتد لوقت طويل. أنا أرى لنفسي طريقين - إما أن أتزوج رجلًا ميسور الحال، وإما أن أحصل على وظيفة، التي تلقى قيمة في الغرب وتسمح لي أن أتقاضى أجرًا جيدًا. لذا أنا أدرس الطب. الأطباء الجيّدون يحتاجونهم دائمًا في كل مكان. على أقل تقدير سأجتاز دورة التدريب. واللغة الإنكليزية أجيدها بطلاقة.

- يعني، أنتِ قررتِ بحزم، أن تُسافري؟ - سأل أندريه، لم يخفِ الحزن في صوته.

- كلا، لمَ أسافر؟ ليس ضروريًا إطلاقًا. أنا مُتفائلة، أوّمن أن في بلدنا الحياة يمكن أن تتبدل نحو الأفضل. لا سيما الآن، حيث لدينا الديمقراطية...

ألهمت هذه الكلمات أندريه الذي باشر بإقناع سفيثا، بأنه - بالتحديد ذاك الرجل الذي تحتاج إليه. لديه عائلة ميسورة كُليًا، تمتلك علاقات واسعة - ويعني، هو بإمكانه أن يضمن لها تلك الحياة التي ترغب بها. سمعته سفيثانا بالبداية بارتياح، لكن بعد ذلك أصبحت تسمعه بانتباه أكبر وأكبر. رأى بأن الأمر ينصب في صالحه، أندريه

ضاعفَ جهوده مرتين وثلاث، أصبح يغدق على سفيتا بالورود والهدايا وفي النهاية حقق ما أراده.

في تشرين الثاني / نوفمبر قدّم هو وسفيتلانا طلباً في دائرة الأحوال المدنية للزواج، وتمّ تحديد موعد حفل الزفاف في ١٤ شباط / فبراير، وقتئذ كان الاحتفال بيوم القديس فالنتين^(٢٦) للتو - للتو قد دخل ضمن عادات الناس. شعر أندريه أنه أسعد إنسان على الأرض - إلى قبيل حلول العام الجديد، حيث أخبرته سفيتا فجأة، بأن حفل الزفاف لن يُقام. وكيف هذا - لن يُقام؟ هكذا. هي غيرت رأيها. وستتزوج شخصاً آخر. من هو، هذا المنافس السعيد؟ هو، حسب معلومة أندريه، رجل ثري جداً، مالك شركة وعمل تجاري خاص - هذا الشيء الأكثر شأناً والأجدر بالاعتبار، من أموال وعلاقات والديه، أليس صحيحاً؟

لم يستطع أندريه الساخط لوقت طويل أن يرتضي بهذا التحوّل للأحداث. ظهر في طريقه لحسن الحظ المنافس المتحوّل في سيارة «مارسيدس» في سترة قرمزية، يضع سلسلة ذهبية ثقيلة حول الرقبة ويمتلك مكتباً في شارع اربات، بالضبط عكس سير حياته المعتادة. اشتاط غضباً، أزعج سفيتلانا بالمكالمات الهاتفية المتكررة، حاول أن يتربص لها ويستوضح العلاقات ولم يكن ليهدأ إلا عندما توعده سائق العريس الجديد، وهو رجل ضخم قوي البدن وطويل بقفا حليق، توعده بالضرب.

في هذه اللحظة بالتحديد، من الألم والإساءة، خطرت في رأس

(٢٦) عيد القديس فالنتين يقصد به عيد الحب في روسيا وبقية دول العالم. (المترجم).

أندريه فكرة للمرة الأولى بأن يبدأ العمل التجاري الخاص...

قُبيل هذا كانَ واثقًا، بأن لدى أبيه وَجده، وَلديه، وَضع، كما يُسمَّى، بالتحديد أفضل مِن غيره. وَدُون شكٍّ - توجد الأموال لدى مُدير أكبر متجر للأشياء المُستعملة في موسكو، وَعلاقات في جميع المدن. لكن هذا كان في السابق، في الحقبة السوفيتية. أما الآن، الزمن قد تغير. وَفي أثناء مرحلة التغير، أتى أناس آخرون يزاولون الأعمال الاشتراكية الخفية وَتُجار السوق السوداء - أمثال «الروس الجُدد»^(٢٧) الذين يرتدون سترةً قمرزية اللون. وَمَا العمل الآن - أيسمح لهم بأن يكونوا مالكي الحياة، وَلَمْ لا يعمل بنفسه بهدوء في مجالهم؟ وَلَمْ لا! لم يقفوا بوجهه. هُوَ، أندريه، ليسَ أسوأ منهم عَلَى الإطلاق. لا شيء يُعيقه مِن مُمارسة عمله التجاري. وَسنرى، عند مَنْ سيحدث أفضل - عند هؤلاء المُتلاعبين ذوي الرأس الحليق أم عنده، هُوَ حفيد ميخائيل كوليوكوف نفسه. وَإِذَا تذكرنا أيضًا، أن أحد أجداده مِن جهة أمه كان تاجرًا، كان يدير كشك في حي أخوتني ريباد...

هكذا تمَّ اتخاذ القرار، وَبقي الشيء القليل عَلَى بدء العمل - تحديد مجال العمل المُستقبلي. مِن المفهوم، بأن الكلام يدور عن التجارة، لم ينظر أندريه وَقتند أي احتمالات أُخرى. لكن بماذا سيُتاجر؟ كل سلع الاستهلاك الواسع مثل السجائر، وَبناطيل الجينز التركية أو «أرجل بوش»، كما أسموها آنذاك أرجل الدجاج الجاهزة للشواء،

(٢٧) الروس الجدد - مُصطلح شاع بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في تسعينيات القرن العشرين وتمثل الناس الذين اتبعوا نمط حياة جديدة. (المُترجم).

التي أغرقت السوق الروسي، لأن الأميركيين ذاتهم رفضوا تناولها، اعتبر أندريه السلعة غير مُستحقة. كان يجب أن يختار شيئاً ما أكثر قيمةً. يمكن، التحف القديمة؟ ما دام أن الجد على قيد الحياة، ويوجد مَنْ ينصحه وَيَنْتَفِع مِنْ خبرة أحدهم... كلا، ربّما، لا تناسبه التجارة بالتحف القديمة. هُنا ينبغي أن يكون خبيراً مُمتازاً، لكي يستطيع أن يُميز البضاعة الأصلية مِنَ المُزيفة. يجب أن يُتاجر بشيء ما بسهولة وفي وقت واحد أكثر شعبية، ويُباع باستمرار، وليس فقط عرضه لِمُتذوقي الأشياء الجميلة - مُحبي الأشياء العتيقة. نقول، أدوات كهربائية منزلية. ثلاجات، غسالات، أجهزة تلفاز، أجهزة تشغيل أشرطة الفيديو... أو الكمبيوترات؟ وماذا - ليست هذه بالفكرة السيئة. ديمكا في وقت ما قد قرع أذنيه بهذا، واثقاً، أن المُستقبل يقف خلف التقنية الإلكترونية. وَهُوَ، مثلاً، هذا ما موجود. الآن في جميع المكاتب المُحترمة يسعون لوضع كومبيوترات شخصية. يعني ديمون، مِنَ المُحتمل، مُحقّق - مُمكن، في الحقيقة ذلك اليوم ليس بعيداً، عندها سيكون الكمبيوتر الشخصي في كُل بيت...

نعم، الفكرة ظهرت مُغرية للغاية. وَخَاصَّةً أنها أعجبت أندريه، وبات قاب قوسين من أن يجد مُختصّاً واثقاً مِنْ نفسه في هذه الكمبيوترات ذاتها. بكفاءة ديمكا وَروح الريادة لأندريه هُما يستطيعان تحقيق المُعجزات! على العموم، يجب ألا يتوانى بِمُباشرة العمل، وإلا سيكون هذا مُتأخراً. في الحقيقة، مؤخراً هُوَ وَديمكا افترقا لوقت ليس بالقليل، يتحدّثان بِصورة نادرة. لكن لا يوجد شيء، هذا الأمر يمكن

إصلاحه. من الممكن استئناف العلاقات بسهولة، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ
هما ابنا خالتين. اتصل بديمكا ودعاه إليه - للحديث، وَمُشَاهِدَةً فِيْلَمْ
جديد، لكن عَلَى العموم لم يَرِ بعضهما البعض منذ مُدَّة طويْلَةٍ...

أصغى ديمكا له، وَلَمْ يُقَاطِعْهُ، لكن، حين أنهى ابن الخالة الحديث
المُتَحَمِّس، فقط هزَّ رأسه:

- فكرة مُجَازَفَةٍ لِلْغَايَةِ. و«لكن» والكثير جَدًّا مِنْ «لكن». تَأْسِيسُ
الشركة، وَاسْتِئْجَارُ مَكْتَبٍ، وَشِرَاءُ الْمَوَادِّ - لِأَجْلِ هَذَا كُلِّهِ نَحْتَاجُ
الْأَمْوَالَ، وَلَيْسَتْ أَمْوَالًا قَلِيلَةً. مِنْ أَيْنَ سَنَأْخُذُهَا؟

- سَنَجِدُهَا فِي مَكَانٍ مَا!- أَجَابَ أُنْدَرِيوخَا فِي اطمئننا - سَنَعْمَلُ،
وَنَبِيعُ شَيْئًا مَا، عَلَى الْعُمُومِ، سَنَفَكِّرُ بِشَيْءٍ مَا! حَالَمَا نَعْرِفُ، مِنْ أَيْنَ
نَأْخُذُ هَذِهِ الْكُومْبِيُوتَرَاتِ...

- لكن هذا أمر واضح. الأفضل، رُبَّمَا، مِنْ أَلْمَانِيَا. بِالصِّينِ وَتَايَوَانَ
أَكْثَرَ سَهُولَةً، لكن كَمَا تَسَمَّى «التَّجْمِيعُ الْأَصْفَرُ»، يَعْنِي تَجْمِيعُ أُسْيُوي،
يُعَدُّ أَسْوَأَ مِنْ «الْأَبْيَضِ» - الْأُورُوبِيِّ... عَدَا الْيَابَانِيِّ، طَبْعًا، التَّقْنِيَّةُ
الْيَابَانِيَّةُ، بِالتَّأَكِيدِ، خَارِجُ الْمُنَافَسَةِ، وَلَكِنْ لَا تَبْتَاعُهَا؛ لِأَنَّهَا بَاهِظَةٌ الثَّمَنِ
لِلْغَايَةِ.

- أَيْمَكُنْ، أَلْمَانِيَا؟ لِمَ لَا، دَعُوهَا تَكُنْ أَلْمَانِيَا. السِّلْعَةُ يُمْكِنُ أَنْ نَنْقُلَهَا
عَبْرَ بُولَنْدَا... - أُنْدَرِيَه كَانَ جَاهِزًا لَوْضَعِ الْخُطُوطِ.

- إِذَنْ، حَسَنًا، - أَشَارَ دِيمَا. - نَفْتَرِضُ، أَنَّنَا حَصَلْنَا فِي الْمَرَحَلَةِ
الْأُولَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. نُسَجِّلُ الشَّرْكَةَ، وَنَحْصِلُ عَلَى النُّقُودِ، وَنَشْتَرِي

التقنية، ونأتي بها إلى هنا... وتخيّل لو لم يشتروها؟ ماذا سنفعل وقتها؟ حينئذ سنفلس تمامًا. وليس هذا فقط وإنما لن يبقى حجر على حجر. وسنكون فقراء ومُسَخِّمين. ومن أيّ شيء سنُسَدِّد الديون؟ كلا، يا أندريوخا، أنت بدأتَ عملاً غير مضمون. إنه مُخيف للغاية.

- حسنًا، يا ديمون، سنعود إلى هذا الأمر فيما بعد، - أشار أندريه، مُدرِّكًا، أن ابن خالته يحتاج إلى الوقت، لكي يتدبر كل شيء. - دعنا نشرب البيرة، لديّ بالضبط بضع قناني تشيكية. ونشاهد شريط الفيديو.

الفيلم الجديد، الذي أغرى به ديمون للحضور إليه، بجوهره، لم يكن جديدًا البتّة، قد صوّره قبل ستة أعوام من حديثهما. لكن لأن السينما الهوليدوية في ذلك الوقت تغلّغت إلينا ببطء وبصعوبة، فنشريط هذا الفيلم ظهر لدى أندريه منذ مُدّة وجيزة. من التعليق التعريفي هوَ عرفَ أن محتوى فيلم «Jumpin' Jack Flash» بطريقة ما مُرتبط بالكومبيوترات، وفهم، أن ديمكا حتمًا يجب أن يهتم به. وهذا ما حدث. الحكاية عن فتاة ذات بشرة سوداء، المصنعة لآلة حاسبة إلكترونية، تتصل صدفَةً بشبكة الكومبيوترات الدولية للمصارف مع عميل نُزعت عنه الصفة السريّة للمُخابرات البريطانية، شدت القِصّة انتباه ديمكا للغاية. ونالت اهتمام ابن خالته بقدر ليس قليلًا. لأن ديمكا، الذي كان يقرأ باستمرار المجلات الأجنبية وكان عارفًا بجميع المُنجزات العلمية، مفهوم «الإنترنت» وقتئذ كان معروفًا بصورة جيّدة، بينما أندريه عرفَ بهذا المُنجز التقني لأول مرّة. وجبَ على ديمكا أن يلقي على ابن خالته مُحاضرة صغيرة بشأن شبكة الإنترنت العالمية، وتطورها السريع في

الغرب، الإمكانات والآفاق، بعد ذلك هتف أندريه:

- ها هو ذا! ها هو ذا الهدف، الذي نطمح إليه. التجارة
بالكمبيوترات - هذه، المرحلة الفاصلة، الخطوة الأولى في طريق
النجاح. ومهمتنا الأساسية - تدشين أول شركة إنترنت في روسيا.
أنت تقول، لا يوجد لدينا بعد شيء من هذا القبيل؟ لكن كما أنه يبدو
سيكون؟

- إذا أردنا أن نثق بهذا، - باعد ديما بيديه. - للأسف، في مجالات
التقنية المتقدمة نحن متأخرون عن كل العالم المتحضر على أقل تقدير
بعشر سنين، لكن...

-... لكن على الرغم من ذلك بمرور الوقت ستلج روسيا إلى
الشبكة العالمية! - أنهى أندريه.

- بوجه عام، الخطوات الأولى في هذا المجال قد فُعلت. يوجد
لدينا من يستعمل الإنترنت، بعض المعاهد العلمية... حسناً، وأجهزة
المُخابرات، طبعاً.

- هذه لا تُحسب! - أشار أندريه بيده. - أنا أُنحدث عن الانتشار
الواسع للإنترنت. الآن، عندما يكون لدينا الشفافية في كل شيء كهذا،
روسيا من كل بد ستتوسع وسيلة الاتصال هذه. وسيحدث هذا
بفضلنا أنا وأنت!

- أنت واثق من هذا؟ - ضحك ديمكا بسخرية. لكن أندريه لم
يكن في شك:

- واثق للغاية!

- سكب ديمكا لنفسه ما تبقى في القنينة من البيرة في الكأس، شرب، غير ملاحظ المذاق، نهض من الأريكة، سارَ بالعُرْفَة. وماذا يمكن أن نقول، فكرة ابن الخالة ظهرت مُغرية جداً... منذ ذلك الوقت كما في مجلات التكنولوجيا مرّت بسرعة مقالة عن الإنترنت (وفي العام الأخير هُم، كما يُسمّون، فقط قد كتبوا عن هذا)، اهتمّ ديمكا كثيراً أيضاً بهذا الابتداع، درسه، ونسخ لنفسه من الكتب الضرورية...

- كلا، هذه مُغامرة، المُغامرة بعينها، - تحدث هُوَ مُتأملاً، لكن في الصوت لم يكن الاقتناع السابق.

- يا ديمكا، قل لي، - وهُنا كان أندريه المُحتال، يعرف على أيّ وتر من أوتار ابن خالته كان يمكن العزف، - هل بإمكانك وضع البرامج اللازمة للإنترنت؟ بالطبع، تستطيع! أأنتَ أسوأ من الخبراء البرجوازيين؟

بدأ دميتري يتردد:

- لكن من حيث المبدأ، إذا هُم قد وجدوه، فلا يجب أن يُكتب مرّة أخرى، الأفضل أن نشتره. هكذا في كل العالم يفعلون. لكي تعمل على شيء ما، بالطبع، يتوجّب، مع أخذ ميزانيتنا في الحسبان.

- إذن هيا اعمل. أتعمل؟

- حسناً... في الحقيقة، لا أعرف... - ماطل ديمكا.

على العموم كان المغزى في شكوكه، ليس صغيراً: لم تكن لديهم

فحسب أي خبرة في إنشاء أشياء مُشابهة، بل، رُبّما، لم تكن لدى أيّ أحد في البلاد برمتها. كان التنبؤ في الحقيقة غير مُمكن.

- إذن افهم، هذا عمل تجاري، بينما في العمل التجاري دائماً توجد مُجازفة! - أفنع أندريه. - مَنْ لا يُجازف، لن يشرب الشمبانيا. في المُقابل نحنُ سنكون أوّل المؤسسين. طبعاً، أوّل المؤسسين دائماً يُجازفون. لكن في حال النجاح سيؤول إلينا كل شيء بشكل أفضل. حسب حقوق الأوائل، المجازفون، الناجحون. نحنُ معاً سنؤسس لثروة حقيقية! التي ستبشر بمكسب خيالي!

ضحك ديمكا ضحكة ساخرة فحسب. يُفترض، بالضبط لقاء هذه «المكاسب الخيالية»، التي كان يجب أن تملأ جيوبهم عملياً من لا شيء، وأندريه المُجازف يتمسك بها. الأكبر منه لا يهتم بشيء في هذا الأمر. عرفَ ديمّا جيّداً ابن خالته ورأى كُل النقائص المُمكنة للتحالف المُستقبلي، إذا كان هذا التحالف على الرّغم من كُل ذلك سيقام. أندريوخا مُتحمس للغاية، وخفيف العقل جدّاً، ويطمح كُلّياً باستمرار أن يصبح واثقاً من نفسه وقدراته... لكن لدى أندريه - ولم يكن ديمّا يعرف بهذا - فضائل لا تقبل الجدل. تلك، مثل الجانب العملي، الفراسة، المهارة العملية، الجرأة، الشطارة والخداع. بالتحديد تلك المميزات، التي تكون ضرورية للعمل التجاري والتي لم تكن كافية لدى ديمّا نفسه. وحده، طبعاً، أبداً في حياته لن يصمم على تنظيم عمل تجاري، بينما هنا ثمة فرصة حقيقية لبدء عمله الخاص. وأيُّ عمل! ذاك المُرتبط بالكومبيوترات، حتّى أكبر من ذلك، بالإنترنت. دميتري

سالاب - مؤسس الشبكة الإلكترونية الروسية. كيف تلفظ، يا للدهشة،
كيف تلفظ!

- طيّب، أنا سأفكر، - قال أخيرًا. وَأندريه حزرَ في الحال، أن
كلمات كهذه، وَالأمر الأساسي، وَالتنغيم الصوتي، لكلمات ابن خالته
تعني كلها الموافقة.

مِن الطبيعي، الإعداد النظري، وَفي الوقت نفسه الإعداد العملي
للمشروع والذي كان عَلَى عاتق ديمَا كَلِيًّا، والذي عملَ عليه بحرص
مهووس. أُنْدرِيه بنفسه عملَ الشيء ذاته، الذي كان يفعله بامتياز منذ
الطفولة، - إضافة الأموال. بِالْحِسَابِ الأوَّلِي، للمشروع، أَوْ خُطَّة
العمل، كما يُسمِّيها أُنْدرِيه بِصُورَة مُهمَّة الحِسَابات الدقيقة للغاية
(قد يكون أَفْلَح بانتقاء كلمات كهذه فحسب مِن مكان ما)، المُتعلّقة
بالتأسيس وَحملة الدعاية الأوَّلِيَة للشركة، وَاستئجار المكان، وَشراء
وَإِصال الدفعة الأولى مِن السلعة إِلَى روسيا. وَكانت الدفعة الأولى
للسلعة وَكل ما تبقى تُتطلب قُرابة عشرين ألف دولار. لكن في حال
نجاح خُطَّة العمل هذه فستبشر بِمكسب مُمتاز للغاية. بقي فقط أَن
يتسلموها.

* * * *

الفصل الثالث

**أنت تذكر، كيف بدأ كل شيء،
كل شيء كان مفاجئاً وجديداً . . .**

من السهل القول - عشرون ألف دولار. لكن من أين يمكننا أن
نأخذها، هذه العشرين ألف المشؤومة؟

كانت هذه الأموال في ذلك الوقت ضخمةً. وهذا يعني أن الحصول
عليها لم يبدُ بهذا الشكل وبسهولة، كما تصوّر أندريه في بداية الأمر. هو
كان يُمني النفس بمساعدة أقربائه - وقد أخطأ التقدير. ليس لأن عائلة
كوليكون رفضت طلب محبوبها، لكن حدث هكذا، بأن في لحظة
تأسيس الشركة لم تكن الأموال متوافرة في العائلة فعلياً، قبيل هذا بقليل
توجست العائلة خيفة من الأقاويل بشأن التضخم المالي الآتي (الذي
في الواقع قد حدث)، وقد ادخرت جميع المقدرات المختلفة بمثابة
الذهب والتحف العتيقة. بيع كل شيء مرّة أخرى في تلك الأيام كان
بمثابة خسارة كبيرة، هكذا على أعلى تقدير. استطاع أندريوخا الحصول
على الأموال من والديه وجده، كان المبلغ أربعة آلاف وخمسمائة

دولار. وَكَانَ قَدْ أَفْلَحَ بِالْحَصُولِ عَلَى الْقَلِيلِ مِنَ الْأَمْوَالِ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ
وَالْمَعَارِفِ، وَأَضَافَ دِيمَا مَبْلَغًا لَا بِأَسْ بِهِ، حَيْثُ بَاعَ سَيَّارَتَهُ «جِيغُولِي»
الْمُهْتَرئةَ الَّتِي آلتَ إِلَيْهِ مِنَ وَالِدِهِ.

كَانَ أُنْدَرِيهَ يَعْمَلُ دُونَ كُلِّ أَوْ مَلَلٍ. حَاوَلَ أَنْ يَبِيعَ شَيْئًا مَا، أَقْرَضَ
الْمَالُ بِالْفَائِدَةِ، تَوَرَّطَ فِي صَفَقَاتٍ مَشْبُوهُةٍ، الَّتِي تُبَشِّرُ بِرَبْحٍ كَبِيرٍ وَسَرِيعٍ.
لَمْ يَعْلَمْ دِيمَا بِكُلِّ هَذَا - بِأَنَّ ابْنَ خَالَتِهِ فَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ، لَكِي يُجْنِبَ الْعَقْلَ
الْمُدِيرَ لَشَرِكَةِ الْمُسْتَقْبَلِ الْمَشَاكِلَ الْمَالِيَةَ الْمُخْتَلِفَةَ. حَتَّى عِنْدَمَا ضَرَبُوا
أُنْدَرِيهَ «شُرَكَاءَ» مَا مَشْكُوكٍ فِيهِمْ، الَّذِينَ ارْتَبَطَ بِهِمْ دُونُ احْتِرَاسٍ وَبِمِغَامَرَةٍ
حَقِيقِيَّةٍ رَاسِخَةٍ، كَانَ دِيمَكَا وَاثِقًا، أَنَّ ابْنَ خَالَتِهِ بِبَسَاطَةٍ قَدْ وَقَعَ فِي خَطَرٍ
مُتَّالٍ بِسَبَبِ فِتَاةٍ - وَأَنَّ أُنْدَرِيهَ لَمْ يَخْبِرْهُ، كَيْفَ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْوَاقِعِ.

فِي النِّهَايَةِ، نَتِيجَةُ لِكُلِّ الْجُهُودِ الْمَبْذُولَةِ، جُمِعَ مَبْلَغٌ مُعْتَبَرٌ بِمَا فِيهِ
الْكِفَايَةُ، لَكِنِ الْوُصُولُ إِلَى الْعِشْرِينَ أَلْفَ الْمَنْشُودَةِ كَانَ لَا يَزَالُ هَدَفًا
بَعِيدًا جَدًّا وَجَدًّا.

وَمَا هُوَ ذَا أُنْدَرِيهَ آنَذَاكَ قَدْ قَرَّرَ إِيدَاعَ الْأَمْوَالِ فِي مَصْرَفٍ «تَشَارَا» (٢٨)
الْمُفْتَتَحَ حَدِيثًا.

وَمَرَّةً أُخْرَى احْتَدَمَ جَدَالٌ حَادٌّ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْخَالَتَيْنِ.

- اسْمَعْ، أَلَا يَحْتَالُونَ عَلَيْنَا؟ - قَالَ دِيمَا بِصُورَةٍ مُعْتَادَةٍ بِالنِّسْبَةِ لِدَوْرِ
الْمُشْكِكِ. - يَأْخُذُونَ الْأَمْوَالِ، وَيَعْطُونَا عَقْدًا مُزَيَّفًا، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَتَوَارَوْنَ
عَنِ الْأَنْظَارِ، إِلَى مَكَانٍ مَا خَارِجَ الْبَلَدِ.

(٢٨) تَشَارَا تَعْنِي كَأْسَ شَرْبِ الْخَمْرِ. (الْمُتَرَجِم).

- لن يحتالوا علينا! - كان دور المؤسس الأوّل المُجازف لأندرية كما هُوَ مُعتاد عليه. شعر بنفسه فيه أفضل للغاية، مِن دور المُتردّد، والشخص العملي المُفكر مليّاً بكل شيء. - هل تعلم أيّ أناس يودعون أموالهم هناك؟ بوغاتشيوف^(٢٩)، وَنيكيتا ميخالكوف^(٣٠)، وَأخمدولين^(٣١)، وَفريدمان^(٣٢)... كل أطيف ثقافتنا. إذن هذا يدل على أن العمل حقيقي. وأيّ فائدة! وَيعطونها يوماً بيوم. ما سنودعه، سنكسبه مُضاعفاً - وَبسرعة نطلق العنانَ لساقينا.

- «تشارا»... - استمر ديمًا بالدمدمة وَالاستياء. - اسم احتيالي. أَلَا يشربون هُم هُنَاكَ بكأس الخمر هذه أموالنا، أَلَا يسلبون عقول المُغفلين. لا أَثق أَنَا فيهم. دكان غير جدير بالثقة وَمشكوك فيه.

- وَعبئاً لا تثق. أَنْتَ انظر فحسب، كم حولهم الآن مِن هذه «الدكاكين»، كما تُسميها أَنْتَ، قد أَفتُتحت! «تيت»، وَ«خوبير-انفيس»، وَ«يوبيتير - الفا»، وَ«سفيتلانا»، وَ«غيرميس»... كل هذه - مصارف حديثة، وَليسَ ذلك مصرف سبيربنك الفاسد وَالْمُطابق

(٢٩) آلَا بوغاتشيوف - (وُلدت في ١٥ نيسان/أبريل ١٩٤٩ في موسكو) - مُغنية سوفيتية روسية استعراضية، وَمُلحن غنائي، غنّت أَكثَر مِن ٥٠٠ أغنية. (المُترجم).

(٣٠) نيكيتا سيرغييفيتش ميخالكوف - (وُلد ٢١ تشرين الأوّل/أكتوبر ١٩٤٥ في موسكو) - مُخرج سينمائي، وَمُمثّل، وَسيناريسْت وَمُنْتَج سوفيتي روسي. (المُترجم).

(٣١) بيلا (إيزابيلا) أَخَاتَانَا أَخمدولين - (وُلدت ١٠ نيسان/أبريل ١٩٣٧ بموسكو وَتوفيت ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٠). شاعرة، وَكاتبة، وَمُترجمة روسية تُعدّ واحدة مِن كبريات الشاعرات الروسيات في الشعر الوجداني للنصف الثاني مِن القرن العشرين. (المُترجم).

(٣٢) ميخائيل مارآنافيتش فريدمان - (وُلد ٢١ نيسان/أبريل ١٩٦٤) - رجل أعمال روسي وَملياردير. مالك مشترك لشركة «الفا - غروب». (المُترجم).

للأيدولوجية السوفييتية. يعطي فوائد تافهة، وأماكنه بائسة، وموظفوه عابسون... مُحترَك كل شيء. ها أنتَ ترى، بأنه لن يحتمل المنافسة. كما يبدو الآن يجب أن نعمل! فقط بهذه الصورة، بالطريقة العصرية. زمن كهذا، الآن إن لم تكسب - فستعُض أناملك ندمًا. كما يبدو سيأتي هذا الوقت. وسيفوتك - والآخرون سيستولون على كل شيء، وسيستولون على أفضل العروض. وما سيكون هناك... انظر، كما أن مصرف «إم إم إم» نال الشهرة، أطلقوا إعلانًا رائعًا، كما يقودون العمل بمهارة...

- حسنًا، «إم إم إم»، مِنَ المُحتمل - وافقَ ديمَا على مضض - في الحقيقة هم يعملون هذا بمهارة. الإعلان، والاسم، والشعار... والإقبال يتزايد بثقة.

- ها أنتَ ترى، - بانتصار نظرَ أندريه إليه، - التغيرات، يا بن الخالة، هناك إصلاحات كهذه تستدعي دائمًا عدم الثقة. لكن كل شيء سيتضح في المُستقبل! طريق المجد مليء بالأشواك! هذا مصير المؤسسين الأوائل! - أنهى كلامه بحماس. - ماذا تقول؟ أنجأزف؟

- أنجأزف... - على مضض وافقَ ديمَا. - أودُّ، كما يبدو لي، أن مِنَ الأفضل على الرَّغمِ مِنْ كل ذلك أن نودع أموالنا في «إم إم إم»...

في اليوم التالي جمعًا كل ما يملكان، شيئًا ما قُرابة ثمانية آلاف بما يقابله بالدولار، حملا أموالهما إلى «تشارا»، الذي كان يقع في شارع تفيرسكايا - يامسكايا الثاني الهادئ، ليس بعيدًا عن محطة مترو «مايكوفسكي».

أذهل عدد الناس ابني الخالتين، الذين تجمّعوا في الفناء الأخضر الظليل. بفضل الإعلان، الذي كان يُذاع في ذلك الزمن من حين إلى حين في التلفاز، هُما تخيلا، بأنهما سيأتيان إلى مكتب فارغ من الناس ومُريح، حيث تستقبلهما الفتيات اللطيفات بحفاوة وترحاب، ويجلسان بارتياح، ويقترحون عليهما اختيار القهوة أو الشاي... أيُّ شاي هناك، وأيُّ قهوة، وأيُّ مكتب فارغ! في الفناء كان يتدافع ليس أقل من ألف شخص!

بعد العديد من الأسئلة اتضح أن هنا يوجد طابوران. وقف في الطابور الأوّل أصحاب الودائع السعداء ذوو الخبرة، الذين تسلموا الفوائد من رأس المال المودع، بينما في الطابور الآخر، الذي كان أطول من الأوّل بعشر مرات، تأذى الناس، المُتعطشون لإيداع أموالهم تحت الفوائد المنشودة ذاتها. من وقت لوقت كان العاملون النشيطون ينظمون تسجيل أسماء الحاضرين وبقساوة شطبوا من القائمة أسماء أولئك، الذين لم يُجيبوا. لم يقر أحد هنا بأن أحدا ما قد قال له «أنا سأذهب لدقيقة، قولوا لمن يود الوقوف، بأنني أقف خلفكم في الطابور».

- هذا يستمر لوقت طويل، - قيّم أندريه الوضع في الحال. - طيّب، أنت اذهب لمزاولة عملك، بينما أنا سأقف وأفتح حسابًا.

- حذار، كيف تقف وحيدًا مع أموال كهذه؟ - قلّق ديمّا.

- هنا الجميع يمتلكون الأموال. وثق فيّ، لديهم أموال أكثر مما لدينا. يا شباب، أنتم آخر من يقف في الطابور؟ - سأل فتى قصيرًا ملتحيًا، الذي كان يتحدّث مع شخص آخر طويل إلى حد ما، والذي كان

يرتدي حسب الموضة ووسيمًا، مثل وجه ترويجي من مجلة مُستوردة.

- نحنُ آخر من يقف في الطابور، أليس كذلك، يا نيكيتا؟ .. -
استفهم الوسيم، ناظرًا إلى مُحدثه.

- أنتم قفوا خلفنا، ويجب أن تُسجل اسمك بعد تلك المرأة... -
أوصى المُلتحي، - هناك الطابور صارم.
في المساء اتصل أندريه على ديمَا.

- كل شيء على ما يرام، نحنُ مُتمتعان بكامل حقوق المودعين في
«تشارا». بعد شهر يمكننا أن نتسلم الفائدة. بالمُناسبة، أنا تحدّثت مع
الشابين، اللذين وقفْتُ خلفهما. أحدهما يُدعى ماتفي والآخر نيكيتا،
هُما قد تخرجا للتو في كلية الجغرافيا التابعة لجامعة موسكو الحكومية.
شباب مُمتعون وأذكىاء للغاية. هكذا، بأن كانا قد أودعا الأموال تقريبًا
في كل المصارف والشركات. بكميات صغيرة، طبعًا، ولكن بثقة. هُما
نصحا بـ «إم إم إم». نيكيتا حمل كل مدخرات أمه إلى هناك، وهي، كما
فهمت، امرأة ليست فقيرة... لعلمك، الجيولوجيون رغم بلادتهم -
عندما يتوجّب الأمر - يستطيعون التفكير وقت الحاجة.

استمع ديمَا له دون انتباه، دارت أفكاره حول خوارزمية البرنامج،
الذي كان يعمل عليه بالضبط، - صفحة المُستقبل في الإنترنت. صفحته
الخاصة مع أندريه في الشبكة العنكبوتية الدولية!

في الحقيقة كان مصرف «تشارا» يدفع الفوائد الشهرية في الوقت
المُحدّد، وأندريه، فرك يديه لدرجة ما، حينما كان يحوّل الروبل المُستلم

إلى دولار. الآن تحويل الأموال أسهل، مما كان عليه قبل سنوات عديدة ما. اكتظت موسكو ببساطة بمراكز تبادل العملات، وهو الآن قد عرف بصورة مُمتازة، في أيّ منها تكون الفائدة أكثر لإتمام عملية التبدّل. بلا تأخير أضافَ الدولار المُشترى إلى الإيداع الرئيس.

- الهناء يزداد، وكأنه موضوع في خميرة، - قال بسرور - حتّى من المؤسف أن نسحبها. يمكن، أن نُدير الأموال كما ينبغي؟ الأموال في ازدياد - والتوفيق في الختام.

- وماذا بشأن شركتنا؟ شركتنا «إم كا اي» - «عالم الكمبيوترات والإنترنت»؟ - سأل ديما بصورة منطقية.

- نعم، نعم... - ساهياً أجاب أندريه. - طيّب، تبقى الشيء القليل - وسنبداً.

استمرّ ديما بالعمل على البرامج، أندريه انشغل جدياً بزيادة رأس المال. كشفَ عن خطوات مُحتملة مُختلفة، تعلم بمهارة توقيع ما يُسمّى صفقات آجلة، يعني كان يشتري دولارات في يوم سعر الصرف وَيبيِعها بعد شهر، عندما تصبح أعلى إلى حدّ كبير. هو حتّى لم يتذمر من الوقوف لساعات طوال في الطابور بفناء مصرف «تشارا»، التقى هناك، عدا الجغرافيين ماتفيّ وَنيكيّتا، بالكثير من المعارف الجُدد. تبادلوا في ما بينهم الوقوف في الطابور، تقاسموا المعلومات المُفيدة المُتنوعة وَالأمر الأساسي، كانوا يتبادلون كل الإمكانات الجديدة وَالأمور الجديدة للإثراء السهل وَالسريع.

باختصار، وجدَ أندريه نفسه كلياً في عالم هائج للشركات المالية التي كانت تتزايد بسرعة مثل الفطر، مشاكل ارتفاع وهبوط سعر صرف العملات (رغم هذا، رُبّما، كان عملاً ليسَ احتياليّاً للغاية، لأنّه كان نموّاً واحداً فقط للصرف - الدولار، بينما اليورو آنذاك لم يكن له أثر بعد)، بمراكز تبديل العملات المُربحة للصفقات الآجلة والاحتياطية الأُخرى. على هذا النحو كان يُريد الاستمرار بالدوران في هذا الفلك الجذاب والمُغري، لولا ديما، الذي كان يُذكره باستمرار يُحسد عليه بفكرتهما الوليدة.

- يكفيك مُمارسة الربا هذا، - همهمَ هوَ على ابن خالته. - كما يبدو قد جُمعَ المبلغ المطلوب، حان الوقت لمُزاولة العمل الحقيقي. «ام كا اي» لا تنتظر، - أضافَ هوَ معنى ذا مغزى. - ها أنت ترى - نؤجل نوعاً ما، وأحد ما سيعمل على هذا المجال ذي الآفاق.

- على مهلك، لا يزال الوقت مُبكراً على سحب الوديعة. من الجيّد هكذا أن تدور كل الأموال! ونَحْنُ قد اغتنينا بصورة جيّدة. وسأشتري لكَ الكمبيوتر، وسأعطيك للإنفاقات الحالية. سأعطي تمويلاً إضافيّاً، كما في لعبة تاماغوتشي^(٣٣) ما. لن أهتم - إن قضيت أنتَ نجبك، - ضحك أندريه. - من الأفضل أن نوَفّر بصورة أكبر، ووقتئذ سيكون بمقدورنا شراء كومبيوترات بشكل أضخم، ونستأجر مكتباً مُعتبراً. وجه الشركة - ضمان النجاح - وأنهى حججه بقول ماثور مُعاصر.

(٣٣) تاماغوتشي - لعبة صغيرة بيضوية الشكل مصنوعة من البلاستيك وفيها شاشة تحوي ثلاثة مفاتيح (c.b.a) للخصائص المُختلفة صممتها اليابانية مايتا آكي عام ١٩٩٦. (المُترجم).

إن فكرة أن يستولي أحد ما على مجال عملهما، ويغتنم فرصتهما الذهبية، ويحصل على تلك الثروة عوضاً عنهما أطارَت النوم عن أعين أندريه. هُوَ كان يعي، بأن في حال نجاح الحملة الدعائية لشركة الإنترنت فالمدخولات التي كانت تأتيهما من مصرف «تشارا»، ستفقد قوتها إزاء تلك الأرباح المُستقبلية. وإن هذا السبب الأخير، هُوَ في حقيقة الأمر، قد رجح كفة الميزان لصالحه أمام الأسباب الأخرى. فحسم أندريه قراره. بطريقة ما ظهر في بيت ديما، وبصورة احتيالية ابتسم له قائلاً: يكفي تحديقاً في شاشة الكومبيوتر - نظرك سيضعف. دعنا نذهب - سأريك شيئاً ما...

- ما هُوَ، - اضطرب ديما - إلى أين سنذهب؟ لديّ اليوم عمل كثير...

- ستلحق بإكمالهِ، - ردَّ أندريه دون تكلف، - أنا وجدتُ مقرضين، كلياً عاديين، الذين يقرضون الناس. على كل حال، لن يأخذوا ثمنًا باهظًا. أطلعت أرنولد، مُديرهم المالي، على خطة عملنا. هُوَ رجل ذكي، أنا أعرفه، نحنُ التقينا في الساونا لمرات عديدة... حسنًا، في ما يخص الشركة... بوجه عام، قد أعجبته. عشرة آلاف دولار أميركي، لم يتوانوا، وأعطونا إياها. لم تذهب معاناتنا سُدى في هذه الخطة!

صمتَ ديما، إذا أردنا قول الحقيقة، كان يُعاني عملياً لوحده على خطة العمل، أندريه كان يعطي توجيهًا قيمًا كاملاً فحسب ويفعل تصحيحات ما. ولو كنا نعتقد، فالعبء غير السهل للإنفاقات المالية الحالية قد وضعَ بالتحديد على كاهل أندريه، هُوَ فعلياً كان مُنشغلاً بها.

وَكَمَا قَالَ هُوَ بِنَفْسِهِ: أَعْمَل لَيْلَ نَهَارٍ...

فَجَاءَ أُنْدَرِيه دَبَت الْحَيَاة فِيهِ:

- أَرْنُولْد قَالَ نَكْتة فِي الْمَوْضُوع: يَقِف «رُوسِي جَدِيد» فِي شَرْفَةِ مَنْزِلِهِ الْخَاصِّ وَالْفَاخِر، كَانَ مُرْتَدِّيًا مَلَابِسَ لِلتَّبَاهِي، فِي الْأَصَابِعِ «خَوَاتِم»، وَحَوْلِ الرِّقْبَةِ «ذَهَب» سَمِيكَ كَالِيد، وَفِي الْفَنَاءِ تَقِف سَيَّارَةٌ «سِتْمَائَة» «حَصَان»^(٣٤) فَاخْرَةٌ. وَبِالْجَانِبِ يَسِيرُ عَامِلٌ بَسِيطٌ وَيَقُولُ «او-او-او، أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ الْمُشَوُّومُونَ. سَرَقْتُمْ كُلَّ هَذَا مِنَ الشَّعْبِ!» وَ«الرُّوسِي الْجَدِيد» يَقُولُ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ: «مَا هَذَا الْهَرَاءُ الَّذِي تَقُولُهُ، يَا رَجُلَ، وَمِنْ أَيْنَ لِلشَّعْبِ هَذَا الْكَمُ مِنَ الْأَمْوَالِ؟»

قَهَقَهُ أَرْنُولْد بِصُورَةٍ كَافِيَةٍ:

- أَتَفْهَمُ مَا أَقْصِدُ؟

وَبَعْدَ ذَلِكَ هُنَا أَصْبَحَ أَكْثَرَ جَدِيَّةً وَهَزَّ رَأْسَهُ:

- حَسَنًا، وَأَنْتَ، طَبْعًا، مُحَقِّقٌ، حَانَ الْوَقْتُ لِسَحْبِ الْأَمْوَالِ مِنْ مَصْرَفٍ «تَشَارَا». أَتَعْلَمُ، خَرَجْتَ شَائِعَاتٍ شَتَّى، الْأَفْضَلُ أَنْ نَبْتَعدَ عَنِ الْإِثْمِ. كُلَّمَا زَادَ الدُّوَلَارُ زَادَ الْخَيْرَ. وَمَاتَفِيَّ يَقُولُ، بِأَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ ل...

- وَمَنْ مَاتَفِيَّ هَذَا؟ - سَأَلَ دِيمَا تَلْقَائِيًّا، دَاخِلًا فِي الْمَصْعَدِ.

- لَقَدْ حَدَّثْتُكَ عَنْهُمَا... حَسَنًا، أُولَئِكَ الْجُغَرَفِيَّانِ... مَاتَفِيَّ وَنِيكِيَّتَا.

هُمَا فِي هَذَا الْعَمَلِ يَفْهَمَانِ. مَاتَفِيَّ قَدْ سَحَبَ أَمْوَالَ أُمِّهِ مِنْ مَصْرَفٍ «ام

(٣٤) يَقْصِدُ سَيَّارَةَ نَوْعِ مَرْسِيدَس طَرَّاز 600SE. (المُتَرْجِم).

ام ام». فقد كسبَ بصورة جيّدة، هي قد وضعتُ لنفسها أسنانًا، «ابتسامة هوليودية»، وسافرتُ إلى مصر أيضًا...

- أيُّ أسنان؟ أيُّ جغرافيان؟ أيُّ مصر؟ .. - غمغمَ ديما باضطراب، لم يفهم شيئًا. لكنهما ذهبا بالسيّارة الأجنبية الجديدة لأندرية إلى مكان ما بجانب مركز المدينة. في النوافذ تومض الشوارع الصاخبة، والأكشاك التعاونية الملونة بالبضائع الصينية والتركية، لافتات صفراء خاصّة بتبديل العملات ذات أرقام سوداء كبيرة تظهر سعر الصرف، وأسواق عشوائية، حيث يبيعون ما يتوافر لديهم من سلع «أديداس» مُقلدة وَحَتَّى كحول Royal، الذي يُحقق الربح منذ مُدّة وجيزة بجانب فودكا «راسبوتين» المشهورة بشكل واسع في الأوساط الجماهيرية الشعبية. ضجّت موسكو، واهتاجت، على الدوام، حيث تستعجل للذهاب إلى مكان ما، وعبرتِ الشارع راكضةً مُجتازة الإشارة الحمراء، وضربتُ موعدًا ولقاءات عملية، تأخرت، هدمتُ فجأة المباني القديمة وبَعْجلة شُيدت بنايات ما ذات مرايا زجاجية لا تصدق مصحوبة بأبراج، وضعتُ مقاييس جديدة، مقلدة مقاييس غربية، ومحت التماثيل القديمة باستحياء... جرت التغيرات، وصارتُ فتية، وانتعشتُ، أصبحتُ ضخمة وَمِن دُون ذلك تصاحب حياتها وتيرة لا هوادة فيها.

أخيرًا توقفا في أحد أزقة منطقة زاموسكفوريثشيا.

- انزل! - بطريقة جدّية أصدرَ أندرية إيعازًا وبإشارة مُهيبية أشار إلى مكان عتيق، رث بأعمدة مُقشرة لدرجة ما. - إذن، كيف يبدو لك؟

- لا بأس به، - قال ديما بصورة غير موثوقة، - أتتوي أنتَ شراءه؟
- حاول أن يمزح.

- رُبَّما، مع الوقت سأشتريه، - ببرود أعصاب أجاب أندريه.
- سأريك، كشريك مُتساوٍ بالحقوق، مكتبنا. لن أستاذجرك كل الجناح
الخاص بالعمل بالطبع، بل البعض منه. سنضع كل ما هو ضروري،
نفتتح متجرنا الأول، ونختار موظفي العمل. بالطبع، سيكون على
أقل تقدير. بوجه عام، انظر، وقرر - وبعدها نبدأ العمل. لكن تذكر،
بأن في هذا المبنى، كما في حقبة ظهر الجندي، تُوضع عصانا
المارشالية.

القول المأثور صدرَ لوقت طويل، لكن، على نحو مُماثل، أندريه
كان راضياً به.

ديما أيضاً أصبح راضياً بما رآه. الموقع كان ملائماً: غرفة واحدة
كبيرة تحت القاعة التجارية والغرف الباقية أصغر - تحت أمكنة العمل.
النوافذ ذات رفوف واسعة تطل على زقاق أخضر هادئ. لا تلهي بشيء
ولا تعيق التركيز. هنا، بالطبع، سيكون العمل أفضل بكثير، من العمل
في البيت، في شقة ذات غرفة واحدة، التي يتقاسمها ديما مع والديه.

- ملائم، - أوماً برأسه بحزم. - وأموالنا تكفي؟..

- كل شيء على ما يرام، - أكد له أندريه - أقول، سأسحب الوديعة
من مصرف «تشارا»، وهناك لدينا يا للعجب كم. بإضافة قرض العشرة
آلاف القديم، بالضبط سيكون لدينا المبلغ المطلوب.

أَجَالَ أَنْدَرِيه مَرَّةً أُخْرَى بِبَصَرِهِ الْمَكَانَ خَاصَّتَهُمَا.

- وَهُنَا سَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ جَيِّدًا بِالنِّسْبَةِ لَنَا. تَوْجَدُ هُنَا شَرَكَاتٌ عَدِيدَةٌ وَيَسْتَأْجِرُونَ الْمَكَاتِبَ. أَيُّ أَنْاسٍ!.. فِي سِتْرَاتٍ قَرْمِزِيَّةٍ، وَهِيَ هِيَ ذِي السَّلَاسِلِ الذَّهَبِيَّةِ تِلْكَ، وَيَسْتَقْلُونَ سِيَّارَاتٍ أَعْجَبِيَّةَ الصَّنْعِ... - ثُمَّ ضَيَّقَ عَيْنَيْهِ وَرَبَّتْ عَلَى كَتِفِ دِيمَا. - لَا بَأْسَ، قَرِيبًا نَحْنُ سَنُفْصِلُ سِتْرَاتٍ قَرْمِزِيَّةَ لِأَنْفُسِنَا - وَنَكُونُ حَيَاةَ قَرْمِزِيَّةٍ!

جَالًا مَرَّةً أُخْرَى بِالْغُرْفَةِ، وَخَمَّنَا كَيْفَ سِيرَتِ مَكْتَبَهُمَا عَلَى النُّحُو الْأَمْثَلِ، وَتَفَحَّصَا مَكَانَ الْقُبُو، الَّذِي مِنَ الْمَفْتَرَضِ إِقَامَةُ الْمَخْزَنِ فِيهِ. أَثَارَتْ فِكْرَةً أَنَّهُمَا أَصْبَحَا مَالِكِينَ لِمَكْتَبٍ خَاصٍّ كِلَيْهِمَا بِصُورَةٍ مَقْبُولَةٍ، إِنْ هَذِهِ سَتَكُونُ الْبَدَايَةُ فَحَسْبُ، وَمِنَ الْمُفْتَرَضِ، أَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ سَيَرْتَسِمُ لَهُمَا فِي أَلْوَانٍ زَاهِيَةٍ.

- بَوَاجِهَ عَامٍ، مِنَ الْمُمَكِّنِ غَدًا الذَّهَابَ لِتَسْجِيلِ الشَّرَكَةِ - نَزَلَ أَنْدَرِيه مِنْ عَلَوِ السَّحَابِ إِلَى الْأَرْضِ^(٣٥). - لِنَفْعَلْ هَكَذَا: خَمْسُونَ بِالْمِائَةِ سَتَكُونُ لَكَ، وَخَمْسُونَ بِالْمِائَةِ لِي. سَنَمْتَلِكُ هَذِهِ الشَّرَكَةَ بِحَقُوقِ مُتَسَاوِيَةٍ. مُوَافَقٌ؟ أَوْ لَا... رُبَّمَا، تَوْجَدُ فِكْرَةً أَفْضَلَ. دَعْنَا نَفْعَلْ هَكَذَا - لَكَ تِسْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ، وَلِي تِسْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ.

- وَلَمَنْ سَيَذْهَبُ الْاِثْنَانِ بِالْمِائَةِ الْمُتَبَقِيَّانِ؟ - لَمْ يَفْهَمْ دِيمَا.

- لَنْ تَذْهَبَ لِأَحَدٍ. هَذَا سَيَكُونُ الْاِحْتِيَاطُ الذَّهَبِيُّ. مِنْ بَابِ الْاِحْتِيَاطِ. يُمْكِنُ، الظُّرُوفُ تَتَعَقَّدُ بِصُورَةٍ مَا، بِأَنَّ نَحْتَاجَ إِلَيْهَا، لَكِي

(٣٥) صَحَابِ مِنْ أَحْلَامِهِ. (الْمُتَرْجِم).

الحصة المهيمنة من الأسهم تظهر في يد واحدة ما. أو نحن نقرر بيع هذه الأسهم لشخص ثالث ما... كيف أنت ترى هذا الخيار؟
- مُمكن أيضًا، - هزّ ديمّا كتفيه.

في الحقيقة، في تلك اللحظة لم يتصوّر أندريه، ولا ديمّا بعد بشكل واضح، ماذا تعني الحصة المهيمنة للأسهم. لكن راق لهما للغاية التفاخر بالمصطلحات المُمائلة والشعور بأنفسهم أشخاصًا مُهمين وذوي شأن، ومالكي رأس مال حقيقيين.

في اليوم الثاني ذهبَ أندريه إلى مصرف «تشارا». كان يومًا صحوًا خريفياً، ومن هُناك كان الفناء، حيث يقع المصرف، خلاّبًا بَصُورة ما خاصّة. عند المدخل لاحظَ أندريه ماتفيّ الجالس على صندوق عند الحائط، وعلى ركبتيه وضعَ حقيبة صغيرة مسطحة، في الخفاء وضب ماتفيّ بطريقة عمليّة رزم الدولارات. بجانبه كان العمال يرممون السلم المؤدي إلى القبو وباهتمام ظاهر نظروا إلى الوسيم الذي كان يرتدي ملابس أنيقة، الذي كان يراقب أمواله بَصُورة شاملة، التي لأجل أن يمتلك العمال مبلغًا كهذا كان يتوجّب عليهم أن يعملوا عملاً جهيدًا لسنوات عديدة. لكن هذه ليست الحقيقة، بأن يكسبوا...

- تحية لرجل الأعمال الغني ذي الأموال! - حيا أندريه بَصُورة وديّة. - ماذا، هل سحبتُم الأموال؟ - سأل هوَ بفضول، وأوماً برأسه نحو الدولارات.

- كلا بالطبع، لم نسحبها بعد، - ادعى ماتفيّ بَصُورة عابسة، - على الرّغم من أن الوقت قد حان، وننتظر تسلم زيادتنا المتوالية. نيكيّتا

سيُتأخّر لبعض الوقت لأمر ما يتعلق بالعقود المُستقبلية، بينما الدور في الطابور يقترب.

- ها هُوَ ذا، ابن الحلال... - أوْماً أُنْدرِيه برأسه تجاه مخرج الفناء، الذي يظهر فيه نيكيتا المُلتحي.

- احمل، احمل! - مِنْ بعيد صرَخ نيكيتا.

- أضعْتُ وقتي في مصرف «بيست - بنك»، - قال موضعاً، مادّاً يديه لأُنْدرِيه. - مرحباً! ها هي ذي النقود. أعطى الصديق بعض الأوراق ذات فئة المائة دولار.

- طيّب، أنا سأذهب - تحرّك ماتفيّ نحو الطابور المُتمايل.

- أنا سأسحب اليوم كل شيء - بأسف أخبرَ أُنْدرِيه نيكيتا. - بالرّغم مِنْ ذلك إنه أمر مؤسف. على كل حال ازدادت الوديعة بِصُورة جيّدة...

- مِنْ المؤسف، - أوْماً بالموافقة، - لكن ماتفيّ يقول إن الوقت قد حان لسحب الأموال. بعد دورة واحدة، وَنَحْنُ أَيْضاً سنأخذ الوديعة. اسمع، - بصوت متأمر قال، منحنياً نحو أُنْدرِيه وَتحدّب ظهره بشكل أكبر مِنْ المُعتاد: لدينا هُنا خيار شيق للغاية لزيادة أموالنا. توجد امرأة مُسنّة، لديها عمل مُختص بالزهور. وَيَعْنِي، هي تأخذ مِنْ الناس الأموال وَتعطي فائدة جيّدة، تضع الأموال في عملها وَترجعها بانتظام في الموعد. بوجه عام، العمل لديها يجري بِصُورة لا بأس بها... إذن، يعني أنها تدفع الفائدة. كل شيء بِإِتقان، مِنْ دُون انتظار الدور في الطابور. - وباستهزاء

أوماً تجاه الناس الواقفين عند المدخل، الذي توارى فيه ماتفيّ.

- يعني، أنتما قد أودعتما الأموال لديها أيضًا؟ - أكد أندريه باهتمام.

- نعم على هذا النحو، ليس بالقليل، - أجاب نيكيتا بصورة غير مُحدّدة. - إذا كان الأمر يهملك، اتصل، رقم هاتفني وهاتف ماتفيّ لديك... ربّما، تظهر فجأة أموال زائدة. سنذكرك بإطراء أمامها. لديها زبائن ذوو شأن، هي لا تأخذ الأموال من أيّ شخص... تذهب إليها، وتشرب الشاي، تتحدّث عن بذور الزهور. من دون هذا، للأسف، لا يجوز، هي تحب الثروة. تجلس، وتُثرثر، وبعد ذلك ستسحب السجل، وتنظر، في جوهر الأمر، وتعطي الأموال.

- قال أندريه: بفضول: أنا سأتصل، - وعدَ بذلك. ثم ودعه، وصافح نيكيتا ووقفَ في نهاية الطابور...

المبلغ الذي أعطاه مصرف «تشارا» لم يكن دُون تعقيدات، قد بدا فعلياً مُعتبراً. بفرح دفع ابنا الخاليتين مُقدماً لقاء إيجار المكان لمدّة عام، واشترى أجهزة ضرورية للمتجر وأثاثاً مكتبيّاً، وبدأ بإصدار رُخصة شراء البضاعة. وبعد أيام عديدة عرفا أن «تشارا - بنك» توقف عن منح الأموال بالفائدة. ماتفيّ ونيكيتا، الذي اتصل بهما أندريه، خسرا جراء هذا مبالغ ضخمة. بعد ذلك تساقطت المصارف الأخرى بفشل وبفضيحة، ليست أقلّ شهرةً، أهرامات مالية. احتاجَ الناس وخرجوا إلى مباني المصارف حديثة العهد، إلى مكتب «إم إم إم»، لجأوا إلى الحكومة، لكن المودعين سريعي التصديق لن يروا أموالهم أبداً. وأندريه وديما، حسب عبارة الجدة ليوليا، رسما علامة الصليب بكتنا

اليدين، لأنهما كانا محظوظين...

مرَّ الوقت، وأخيرًا حلَّ اليوم السعيد - تسلَّم ابنا الخاليتين وثائق تسجيل شركتهما «ام كا اي». لم يكن للفرح حدود - كل شيء ظهر بصورة ليست صعبة وَحَتَّى لم يأخذ وقتًا طويلًا، كما هُما افترضا. الآن أصبحا رجال أعمال، لديهما عمل خاصّ! وديما، وأندريه تفاخرا بصورة رهيبة بوضعهما الجديد.

مرَّ الشراء الأوَّل لبضائع الكمبيوترات دُون صعوبات خاصّة. ديمتري منذ مُدَّة طويلة ولجَّ إلى مجالات المُختصين وامتلك المعلومة الضرورية. هكذا، بالنتيجة، لم يتوجَّب أن تتعقد الأمور - سافر ابنا الخاليتين بسهولة إلى ألمانيا، وقعا هناك عقدًا مع المُصنِّع وَقَدَّما الوثائق لإيصال البضائع عبر بولندا. بدا أن أصعب أمر في هذه السلسلة هو عملية التخليص الجمركي للسلعة في الحدود - ولكن رجلي الأعمال حديثي العهد استطاعا حل الأمور.

الشحنة الأولى مِنَ الكمبيوترات قد بيعت في الحال، لم يفلح حَتَّى بإيصالها إلى المتجر في زاموسكفوريثيا. الكمبيوترات الشخصية في روسيا وقتئذٍ كانت قليلة جدًّا، وباعوها بسرور للغاية، ويودون استعمالها استثنائيًّا لتجهيز المكاتب. اشترى مختصون قليلو العدد الكمبيوترات لبيوتهم فقط، والباقون، المواطنون البسطاء، لم يروا لأنفسهم أيَّ مغزى في امتلاك جهاز غالٍ لدرجة ما، لأنها، كما بدت لهم، حاجة لا نفع فيها. كما يبدو لم يحل بعد في ذلك الوقت عهد الهواية الجماهيرية للألعاب الافتراضية (لا نتحدَّث عن المُخاطبة الافتراضية).

بمناسبة البيع الأول جلسَ المؤسسان للشركة بصورة مُمتازة في المطعم، حيث قد شبكَ أندريه «مُرة» جديدة، بينما ديمَا بفرح سكر حتَّى الثمالة، لدرجة أنه في اليوم التالي لم يستطع تذكر شيء. بعد ذلك تلا شراء الشحنة الثانية للبضاعة، التي بيعت بنجاح ليس أقلّ من الأولى. بوجه عام، الحياة تدريجيّاً قد استقرت. ديمَا المؤمن بالخرافات حتَّى صار يتكلم، بأن هذا لا ينذر بالخير - توفيق كهذا، كان يقول انتظروا مكيدة ما.

- تتبأ بوقوع الشر - بازدرأ زَمَّ أندريه شفّيته - كُف عن ذلك. كل شيء يبدو جيّداً. وإذا حدث الأمر مرّة بصورة جيّدة، يعني، لن يحدث أمر سيئ.

بدا بأن هذا يمكن أن يحدث.

تنبأ ديمَا فعليّاً بوقوع الشر.

استفاق مدينوهم الكرماء وَمِنْ غير سبب دعوهما إلى لقاء. وصل إليهم مؤخراً، بأن عمل أندريه وديمَا سيكون مُرتبطاً بالإنترنت.

- اسمعا، عن أيّ إنترنت أنتمَا تتحدّثان؟ - بانزعاج تساءل أرنولد، ذاك «الصديق الصدوق» جدّاً لأندريه، المُحب للساونا والنكات. - في روسيا بهذه اللحظة يمتلك زُهاء ألف شخص الكمبيوترات.

- بل أكثر بكثير، اعترضَ أندريه.

- ... وعدد المالكين يتزايد في المتوالية الهندسية، - ساندَ ديمَا ابن خالته. - بضمنها أنهم يشترون منا الكمبيوترات الشخصية.

لكن هذه الحجة لم تحدث انطباعاً صغيراً على مقرضهما.

- نحنُ استعجلنا، حين أعطيناكم القرض - أشار هو ببرود، وزجاج نظارته المعدنية ومض - ونطلب إعادته بسرعة. وكم من الوقت منذ يوم الإعطاء قد مرَّ بصورة كافية، أنتما مدينان لنا بإرجاع ليس المبلغ فحسب، بل حتَّى فوائده. من مصلحتكما أن تفعلنا هذا بأسرع وقت ممكن. وإلا، كما يُقال، سنزيد ديونكم إن تأخرتما بالتسديد...
- أرنولد بيتروفيتش، على رسلكم، وماذا بشأن عقدنا؟ - احتج أندريه.

- العقد؟ - ضحك أرنولد بيتروفيتش بسخرية، ونظارته في هذه المرَّة تومض في الحال كأنها سكين.

أخذ من الطاولة أوراق العقد وفي غير اكتراث مزقها.

- لا يوجد أيّ عقد. يوجد دين. دينكما - لنا. وكلما أسرعتما بتسديد المبلغ، كان أفضل، - ذكر هو بصورة مُختصرة - وإلا... - تبتعت ضحكة خبيثة فاترة جديدة، التي تناسقت مع النظارات في تأدية الدور. - ماذا- ماذا، بينما ها هي ذي الديون نحن... - هو تمهل، مُختاراً كلمة دقيقة للغاية، - نستطيع التحطيم.

لا يمكن الحديث عن المزاج، الذي غادر به ابنا الخالتين غرفة الضيافة؟ لم يدركا، كيف سيدفعان الدين. المبلغ، الذي جُهِز لشراء الشحنة الثالثة للبضاعة، بالكاد يغطي الفوائد المتراكمة لأرنولد. الآن يتحتم عليهما الحصول بصعوبة في مكان ما تقريباً على عشرة آلاف

دولار. عشرة آلاف كاملة! في تلك الأزمنة بهذه الأموال كان يمكن شراء شقة في موسكو.

- ألم تقل أنت، بأن أرنولد هذا صاحبك الصدوق. أنت معه ذهبتما إلى الساونا... - بمرارة تحدّث ديما.

- في العمل لا يوجد أصدقاء، - أجاب أندريه بوجوم. - تبّاً! كم مرّة سمعت أنا عن قصص كهذه! عندما يقرضون الأموال بالدين، يسمحون ببدء العمل، ما إن تزداد نوعاً ما، وبعد ذلك فجأة - يأخذون كل شيء. الآن يتحتم علينا أن نعطيهم الشركة، والمكتب، وكل البضاعة! وسنصبح مديونين.

نظر ديما بنظرة شاردة في شاشة الكمبيوتر. ماذا يتحتم عليهما الآن أن يفعلوا؟ لديهما المقرضون، على نحو مُماثل، قساة، أولئك الذين بمقدورهم أن يدفنوهما تحت الأسفلت. على أي حال، ليس من المؤكد، بسهولة أن يختبأ في مكان ما في ضواحي موسكو. ها هي ذي، كل الأخبار الإجرامية تكتظ بالحوادث المُشابهة، و«ام كا»^(٣٦) في الواقع ستلذذ بهما. بأن سيكتبون هناك، هو نفسه سمع مراراً تبادل إطلاق نار ليلي مُتقطع، رأى فتیان أقوياء بقفا حليق. هم، كالمُعْتاد، يرتدون بكثرة البناتيل الرياضية والسترات الجلدية. اندهش ديما بعد - من أين قد ظهروا؟ لم يكن في الوقت السابق لدى الناس قفا كهذا. وكأنهم من كوكب آخر...

(٣٦) ام كا - صحيفة «موسكوفسكي كامساموليتس». (المُترجم).

قطع تأمله الكئيب صوت مُفعم بالخطر ومُفاجئ ما، اتضح له، بأنه اتصال هاتفي.

- وها هي تبدأ... - بصورة هالكة غمغم ولم يود رفع السماعه.
- دميتري بارييسافيتش نهارك سعيد - سمع صوتاً جهورياً ونسائياً
معروفاً للغاية.

- أنا أسمع...

- ديمكا! مرحباً، كم صيف، وكم شتاء لم نر بعضنا! اتصلت عليك
في البيت، وعلى هذا النحو أعطتني أمك رقم هاتف المكتب. أصبحت
الآن مُميزاً هكذا، لديك مكتبك الخاص؟ لم أنت صامت؟ آلو!

- عفواً، - بحيرة قال ديمكا، - مع مَنْ لي شرف التحدث؟
- ها هي ذي مجرد خمس سنوات لم نر بعضنا، وهو لم يعرف...
- باستهزاء تأففت مُحدثته.

- ديننا! هذه أنت! - باندهاش صرخ ديمكا. اطمأن قلبه. - أنت
سافرت إلى خارج البلد! قالوا، بأنك تزوجت من أميركي.

- نعم، أنا سافرت... وها أنا عدت وقررت أن أرى عشاقِي القدامى
- ضحكنا دينا - كيف حالكم؟ وكيف حال أندريه؟ على أي حال،
ستروي لي كل شيء عند اللقاء. كيف يمكننا أن نلتقي اليوم مساءً في
مطعم «ناتسيونال»؟ سأحجز طاولة بنفسِي. لثلاثة أشخاص. أندريوخا
أيضاً بمقدوره أن يأتي؟ سيكون من الجيد أن أراكما كليكما!

- طبعاً، ديننا، أنا سأحاول... أقصد، نحن سنحاول...

- مُمتاز! يعني، في السّاعة الثانية عشرة في مطعم «ناتسيونال».

الطاولة، التي قد حجزتها دينا، ظهرت عند النافذة، التي تطل منها بصورة جيّدة على ساحة مانيجنايا، الشاهدة على مظاهرات الآلاف الأخيرة والكلام المُتحمس للخطباء ذي المغزى المُتنوع. غير أن أصدقاء الطفولة لم يتحدّثوا بالسياسة إطلاقاً ولم يناقشوا التغيرات، التي حدثت في البلاد، - فقد حدثت تغيرات كثيرة للغاية طوال هذه الأعوام الخمسة في حياتهم الخاصّة.

بالبدء تحدّثت دينا - باندهاش ازدادت جمالاً، المسفوعة جراء الشمس، ذات الطلة البهية وبصورة جلية لم تحتج إلى شيء - وصلت إلى المطعم بسيارتها الأجنبية الصنع الجديدة، كانت ترتدي معطف فرو من المِنك وتلاّأت بكمية من الذهب والمجوهرات، تُبهر العين أثناء النظر إليها. انهال ابنا الخاليتين عليها بالأسئلة - كما يبدو منذ موت الجدة ليوليا لم يريا دينا، لم يعرفا شيئاً عنها ولم يفهما كيف تشكّل مصيرها. ابتسمت ابتسامة تنم عن الرضا، تحدّثت دينا لهما، بأنّها تعرّفت عبر وكالة للتزويج بأميركي ميسور الحال، وتزوّجته، وولدت في العام المنصرم بنتاً اسمها جانّا، والآن تعيش في الولايات المُتحدة، بين الفينة والفينة ترددت على موسكو. وهُم سافروا للسياحة كثيراً، هي طوال هذه الأعوام جابت تقريباً كل العالم. أكدت الحكاية بصور عديدة، التي التقطت في أمكنة مُختلفة من الكُرّة الأرضية - دينا تقف أمام برج ايفل، ودينا تقف عند قاعدة الأهرام، ودينا في قارب الجندول في مدينة البندقية.

- أَمِنَ المعقول؟ مَنْ كان يستطيع أن يعتقد... - باعد أندريه بين يديه تعبيرًا عن دهشته.

- مِنْ دواعي السرور رؤيتك، إن أميركا لم تُغيرك بتائنًا - ابتسم ديمكا - حَتَّى اللكنة لم تظهر في كلامك.

- أحاول - ضجّت دينا بضحكة ساخرة - وَلَمْ الحديث يدور عني فحسب؟ كيف أحوالكما؟ أنتما الآن، أصبحتما «روسًا جُددًا»، كما يُقال في النكات؟

للأسف، ابنا الخاليتين لم يستطيعا بأيّ حالٍ مِنَ الأحوال أن يردا عَلَى حكايتها بِقِصّة جميلة وَمُتفائلة. تجعد وجههما لبعض الوقت للتأدب، مع ذلك أخبرا صديقتهما بوضعهما الميؤوس منه، الذي هُما فيه. هُنا لم يكونا حَتَّى في نكات «الروس الجُدد» - في الحقيقة لم يكونا فرحين. مُستمعةً لأبناء الخاليتين، دينا بفرح أو مأت برأسها:

- كل المبلغ عشرة آلاف «خضراء» تعيسة؟ يا شباب، لِمَ أنُتُما تُعانيان! سأعطيكما أنا هذه الأموال، أطلب مِنْ زوجي توليا^(٣٧)، أقصد، توني، أنا أدعوه توليا، اسم أكثر ظرافةً كهذا... هَل تعلمان كم مِنَ الأموال عنده؟ عشرة آلاف بالنسبة له - بهذه الصُّورة، خردة في جيبه.

- هَل هُوَ سيقترضنا؟ - راود الشكّ ديمكا.

- وَكم؟ وَبأي فائدة؟ - أصبح يؤكّد أندريه.

- سيقترضكما، طبعًا! وَمِنْ دُون فوائد كاملة! هُوَ لَدَيَّ يحب أن

(٣٧) توليا، توليك، تولىان - تصغير وتحبيب اسم أناتولي. (المُترجم).

يشرب، وما إن يشرب - لديه حُبّ كهذا يتناثر تجاهي! أطلب منه كل ما أريده - سيفعل كل شيء، لن يرفض شيئاً. تعلمت أنا الانتفاع بهذا الشيء منذ مُدة طويلة - أعمل منه ما أريد، مثل الطين الاصطناعي. طوال وقت الحياة العائلية قد أبدلت أربع سيارات، واشترت شقةً لأمي، وبعثت ابنة أختي للدراسة في لندن. وها أنا سأساعدكما - أنتما أصبحتما بمثابة إخوة لي طوال تلك الأعوام!

- وكيف ستبعثين الأموال إلى هنا من الولايات؟

- اوي، كفك! سأفكر بشيء ما...

مُصغين لها، جرّب ابنا الخاليتين الأحاسيس المُعقدة. من جانب، اللقاء مع دينا كان بالنسبة لهما هدية حقيقية من القدر، التي وعدتهما بأموال قد سقطت للتو من السماء. لكن من جانب آخر - بطريقة ما كان هذا مُخيفاً للغاية. تذكر أندريه بقلق المثل بشأن الجبن المجاني^(٣٨)، بدا لديما، بأن أخذ النقود من امرأة غير لائق بصورة ما، وليس من الرجولة. لا سيما من دينا... على أي حال هو في السابق كان يشعر تجاهها بمشاعر حقيقية ومتوقدة. وأسفاه، يتحتم عليه أن يتقبل هذا. استذكار ضحكة أرنولد، الشخص الذي يرتدي نظارات ما مُخيفة للغاية، أجبر ابني الخاليتين أن يكونا وديعين.

حلت دينا فعلياً بطريقة ما مسألة نقل الأموال وخلال أسبوع، كما وعدت، أعطت المظروف لأندريه. الذي أكد لها أنه حالما يقف العمل

(٣٨) الجبن المجاني يمنح فقط في مصيدة الفئران - مثل روسي. (المُترجم).

عَلَى قَدَمِيهِ، هُوَ حَتَمًا سَيَعِيدُ لَهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَحَتَّى بِالْفَوَائِدِ. لَكِنْ دِينَا
لَوْحَتْ بِيَدِهَا فَحَسَبَ، كَأَنَّهَا تَقُولُ: اَنْسَ، كَمَا لَوْ أَنَّهَا تَقْرُضُهُ عَشْرِينَ
رُوبَلًا لِقَاءِ آيسَ كَرِيمٍ، وَلَيْسَ عَشْرَةَ آلَافِ دُولَارٍ أَمِيرَكِي.

تَمَّ حُلُّ الْمُسْكَلَةِ مَعَ أَرْنُولْدَ، وَتَنَفَّسَ ابْنَا الْخَالَتَيْنِ الصَّعْدَاءِ.

إِنَّ، الْإِخْفَاقَ يُضَافُ إِلَى الْخَبِيرَةِ فَحَسَبَ. كُلُّ هَذِهِ الْمَآزِقِ، الْمُرْتَبِطَةُ
بِتَجْمِيعِ رَأْسِ الْمَالِ الْأَوَّلِيِّ وَتَكْوِينِ الشَّرَكَةِ، جَعَلَتْ مِنْ رِجَالِ الْأَعْمَالِ
حَدِيثِي الْعَهْدِ أَكْثَرَ حَكَمَةً وَاحْتِرَاسًا.

* * * *

الفصل الرابع

وداعاً، أميركا!

في أواخر سنوات ستينيات القرن المنصرم وقفتُ في ساحة مطلة على ثلاث محطات، فاغرةً فيها في المعنى المباشِر والمجازي لهذه العبارة، فتاة طويلة القامة ذات ثمانية عشرة عاماً، من الطبقة التي يسمونها بلطف عند المناداة عبر المذياع الداخلي لمحطات مترو الأنفاق «ضيوف العاصمة». حتى هذه اللحظة كانت الحياة التي تعيشها قصيرة على هذا النحو، إذ عاشت الفتاة، التي يدعونها ناديا^(٣٩) في قرية ليست بالكبيرة تابعة لحي فولغا - فياتسكي، لم تغادرها إلى مركز المدينة، لم ترَ أبداً مبنى أعلى من الكنيسة، تعرف من وسائل النقل فقط سيارة «غازيك» وسيارات الحمل، التي تنقل المحصول. موسكو، بأناسها الأنيقين، وبالأرصفت المعبدة بالأسفلت، وبالمباني السكنية العالية وبأعداد كبيرة من السيارات، الترامواي^(٤٠) والحافلات، أوقعتُ ناديا

(٣٩) ناديا - تصغير وتحييب اسم ناديجدا. (المُترجم).

(٤٠) الترامواي - حافلة لنقل الركاب تعمل على الكهرباء. (المُترجم).

في حالة صدمة. الفتاة المُرتبكة والمذهولة، هي فحسب ضُمَّتْ إليها بقوة حقيية مصنوعة من خشب المعاكس، التي وضعت فيها بسهولة كل أمتعتها البسيطة، وكانت تتحسس باليد الفارغة من حين لآخر شيئاً ما، في عقدة تحت البلوزة. حُفظت في العقدة أشياء قيمة: وثائق، ونقود، ومبلغ ضخّم - ثلاثون روبلاً، وورقة كُتب فيها عنوان شقيقتها الكبيرة فيرا. تلك التي كانت تعيش في العاصمة منذ أربعة أعوام، تعمل حسب الإنتاج في المصنع الذي يحمل اسم ليخاتشيوف^(٤١) والآن دعت إليها أختها الصغرى، واعدة إياها بأن تجد لها عملاً في مصنع السيارات. وماذا، تسأل، كان ينتظرها في البيت؟ الوحل، الروث، العمل الشاق من الفجر إلى الفجر، زوج سكير وبيت مملوء بالأطفال يصرخون بصوت عالٍ. بينما هنا - موسكو! ذات الحظ الكبير، التي يوجد فيها كل شيء، وما يطيّب لك، مُمكن أن تظفر به... بالتحديد هذه الكلمات لاحقاً قد تقولها بطلة فيلم مشهور.

كرست ناديا نفسها كلياً لهذه الحياة الصاخبة، غير المفهومة، والبسيطة للغاية، لكنها حياة العاصمة الجذابة والمستميلة. بالنسبة لها، مثل آلاف الوافدين الآخرين، ازدرت الموسكوفيين الأصليين الذين يدعونها بالعاملة الوافدة ويتعاملون معهم بتحامل، وليس نادراً باحتقار. لم يتلقوا منهم حتّى الرأفة، ولا حتّى المراعاة النفسية. هم عاشوا وصارعوا من أجل مكان تحت شمس العاصمة، لحسن الحظ،

(٤١) إيفان أليكسييفيتش ليخاتشيوف - شخصية سوفيتية (١٨٩٦-١٩٥٦) أحد مؤسسي صناعة السيارات، ومُدير مصنع موسكو للسيارات الذي يحمل اسمه الآن. (المُترجم).

المفهوم الذي لديهم، من الطبيعي، كان أيضًا خاصًا بها. كانت تحلم أن يكون لديها مسكن مُنفرد، وأن يكون لديها كل شيء، كما لدى الناس، وأن يكون الرخاء والراحة في مسكنها، أن يكون لديها الآن مناديل بلاستيكية منضدية مُخرمة، وجبل من الوسادات وقوام الفيلة على خزانة الثياب، وستارات من قماش التلّ، جهاز تلفاز و«صوان الأواني على طول الجدار»، الذي يوضع فيه مجموعة موقعة لإصدارات بأغلفة شبيهة بلون ورق الجدران، وأواني كريستال من شتى الأشكال وطقم شاي من ألمانيا الشرقية، بينما تُشغل الأمكنة الفارغة بعلب جميلة للعطور وبنائيل داخلية مُستوردة مُشتراة. نعتقد حقًا، بأنهم لم يلحظوا ارتباطهم بالحياة الموسكوفية، إنهم في الواقع لم يتطّبّعوا بثقافة العاصمة لدرجة كبيرة، بقدر تشبعهم بثقافتهم، التي أتوا بها من مسقط رأسهم. كما يُقال، مُمكن أن تنقل الفتاة من القرية، لكن من الصعب أن تفصل القرية عن الفتاة. لم تلبس «حسب الموضة»، ولم تُسرح شعرها في صالون الحلاقة ولم تُصفّفه، ولم تقتبس الكلمات التي تتداول في العاصمة، بل بقيت اللهجة المُميزة لمسقط رأسها، وأسلوب صراخها في صوت مملوء، مُتبادلةً الكلام على طول الفناء، في البيت أو في حافلة الترامواي، وعادة تقضم حبوب عباد الشمس، باصقةً القشور مُباشرةً تحت أقدامها، التي تبقى بكل حال من الأحوال على الرصيف أو على الأرض.

هكذا كانت ناديا بالضبط. إذا هي تميزت بشيء ما عن الناس، فقط تميزت بمظهرها - كانت حسنة للغاية. طويلة القامة، وممشوقة،

وامرأة مُفعمة بالصحة على نحو جذاب، وبشعر رائع، وبأسنان وبشرة. عارفين إياها، بأنها حسنة، وفناة تأمل بأن يمنحها مظهرها فُرصًا إضافية للنجاح. لكن تفكير ناديا الجميلة كان ضئيلاً تماماً، أدت الآمال فقط إلى ذلك، بأن في يوم ليس رائعاً للغاية أدركت الفتاة، بأنها حامل. والوقت قد مر، وإجهاضه قد تأخر.

طبعاً، ناديا بكت بفيض على صدر شقيقتها وصديقاتها، ندبت حظها العاثر، على ذاك الغادر غير المُخلص، الذي اختفى من حياتها بصورة مُبكرة قبيل أن تعرف بحملها. لكن لم يكن بمقدورها فعل شيء - وجب عليها أن تلد. لا سيما أن النقابة وإدارة المصنع واسوها ودُون انتظار في الطابور منحوا الأم الوحيدة شقة ذات غرفة واحدة في المبنى السكني الجديد المُشابه لبرج عالٍ. وهكذا أبصرت دينا تيولينا النور. باسمها هي كانت مُمتنة للشخصية البارزة جداً لتلك الأعوام - المُغني والمُمثل دين ريد، الأميركي، غير المشهور مُطلقاً في وطنه، لكن بصورة عجيبة مشهور في الاتحاد السوفييتي. سلطات الاتحاد السوفييتي أحبوا دين ريد لنظرته اليسارية وتعاطفه مع البلدان الاشتراكية، والنساء أحبينه لمظهره الرجولي والجميل. في سنوات السبعينيات تقريباً أشرقت ابتسامة دين ريد الناصعة البياض من جدار كل غرفة من غرف الأقسام الداخلية الخاصة بالنساء، التي لا تقل شهرة طوال الأعوام العشرة - وقبيل هذا بخمسة عشر عاماً- من ابتسامة غاغارين^(٤٢). كانت ناديا

(٤٢) يوري غاغارين رائد فضاء سوفييتي وأول إنسان في التاريخ يطير إلى الفضاء يوم ١٢ نيسان/ابريل ١٩٦١. (المُترجم).

الحائزة السعيدة لأسطوانات دين ريد، ولأغاني محبوبها الممتزجة بصوره على الغلاف والتي بددت نوعاً ما كآبتها في أثناء الحمل. الأم المستقبلية حلمت بفتى، الشبيه بمظهره للأميركي الوسيم ذي الأسنان الناصعة البياض، لكن حين ولدت بنتاً، ارتضت بذلك، فاسم دينا ملائم للغة الروسية وسهل على الأذن، من خياره الرجولي - دين.

دينا، مثل أمها، أدركت مبكراً، أن الحياة ليست هبة من السماء، بل ميداناً للصراع المستمر من أجل البقاء. في البيت، لم تكن تقريباً مع أمها. لم يجلس أحد مع الطفلة، ووضعت ناديا بنتها منذ الأشهر الأولى بعد الولادة في الحضانة، وعادت للعمل في المصنع. وتحتم على دينا منذ ذلك السن أن تتأقلم على واقع ليس بسيطاً. لم يكن من السهل أن تجذب اهتمام المربيات إليها وأن تحصل على ما تشاء، حين يكون حولها خمسة عشر - عشرون طفلاً، مثلها، أطفال صغار يصرخون بصوت عالٍ...

كانت دينا تقريباً تعتمد على نفسها إلى أن بلغت المرحلة المتقدمة لرياض الأطفال. وأثارت لدى أصدقائها من فناء الدار، «صبيان المبنى السكني» ديمكا وأندريوشكا، حسداً متأججاً. دون شك - امتلكت دينا مفتاح الشقة، الذي يتدلى بحبل من رقبتها، هي تدخل إلى البيت وتخرج منه متى ما شاءت واستطاعت التنزه كما يروق لها، حتى حلول الظلام، وفي أي مكان. بينما جدتهما ليوليا وقتند كانت صارمة، لم تخط أقدامهما عن فناء البيت ويدخلان إلى البيت من أول صيحة - نهائياً يتغذيان، بينما مساءً يتعشيان، ويغتسلان وينامان. ولم يخطر ببال ابني

الخاليتين، بأن دينا نفسها كانت تحسدهما للغاية. أرادت، أن تنتظرها بالبيت أيضًا جدة طيبة كهذه، التي تُطيب خاطرها، تدعوها بكلمات لطيفة، تُطعمها الفطائر والحساء اللذيذ! طبعًا، الصبيان مرارًا أحضرا الصديقة للغداء معهما، وكان يوجد لدى الجدة ليوليا دائمًا طعام لذيذ لأجلها، وكلمة طيبة، وفطيرة زائدة - ولكنه كان كل ذلك أمرًا مختلفًا تمامًا عما كانت ترجوه دينا!

وَحَلِمْتُ أيضًا بأب. أرادت دينا الصغيرة أن يكون لها أب أكثر من الجدة. أفضل من العم كوليا، والد أندريوشكا، الذي يقود سيارة باهرة كبيرة ويرتدي سترات جلدية جميلة من الفرو. بيد أنه من الممكن أن يكون مثل والد ديمكا، العم بوريا. هُوَ طيب، ومرح، ويلعب دائمًا مع الأطفال ويدعوهم بشيء غير مفهوم، لكن لأمر ما يُسمِّيهم بكلمة مُضحكة للغاية «الصبيان الأشرار». ليكون أيا منهما، فقط يكون لديها أب! لأن لدى الجميع يوجد آباء، بينما لديها، لدى دينكا، لا يوجد. الأعمام أولئك، الذين يُعرجون أحيانًا على أمها، لم يكونوا في عداد أحلامها. بدأت دينا بحزن تختلق خزعبلات مُختلفة عن والدها - مرة تقول إنه طيار، ومرة مُمثل مشهور، ومرة رائد فضاء...

راقت لدينا الصداقة مع ابني الخاليتين كثيرًا. لا سيما مع أندريه، الذي تراءى لها منذ الطفولة ببساطة ظاهرة خارقة كونه فتى وسيماً. ديمكا أيضًا كان جذابًا، هُوَ دائمًا يبتكر ألعابًا رائعة واحدة أفضل من الأخرى، باستمرار يقص شيئًا ما شيقًا، ساعد دينا في دروسها عن طيب خاطر وأبدًا لم يضحك عليها ولم يصرخ بوجهها، كما يفعل

أندريوشكا: «كفالكِ، أنتِ تكذِبين بكل شيء!»، عندما كانت تتفاسم مع الأصدقاء تخيلاتِها المُتتالية. لكن بوجود الجميع كانت دينا مُعجبة بأندريه أكثر من الآخرين. ها هي ذي مفارقة علم النفس النسوي.

مع أن، بالطبع، من وجهة نظر دينا ذات الأحد عشر عامًا، كلا صديقها كانا لا يزالان طفلين، أحباء أمهاتهما. هي في هذا السنّ كان بإمكانها في لمح البصر عد المُتبقّي من النقود في المتجر، وكانت عارفةً، كم الثمن، واستطاعت أن تعد بنفسها غداء بسيطاً وتعرف من أين يأتي الأطفال وماذا يفعلون، لكي لا يولدون. وهذان الاثنان لم يعرفا حتّى تنظيف البطاطا، أبدًا لم يمسكا المِكواة، وبوجه عام لا يفقهان الكثير من الأشياء الاعتيادية.

درست دينا بمُستوى متوسط، لم يرق لها أن تنكب على الدروس بتأتًا. ولماذا؟ لم تنو أن تنتسب في المعاهد أو أن تصبح هناك عالمة بشيء ما أو مهندسة. على أي حال، لم تُخطط أن تعمل بجهد كبير في المصنع، مثل أمها. أرادت حياة جميلة، مثل الموجودة في السينما، ومن الأفضل حتّى أن تكون في الخارج. رغبت بسيارات، بحر، فنادق، مطاعم، رقص، ملابس جميلة... هي لم تع كيف تُحقق هذا، لكن قطعت على نفسها عهدًا، أن تُحقق هدفها مهما كلف الأمر.

في سنّ المراهقة أصبحت أحلام دينا تكتسب طابعًا عمليًا بشكل أكبر، وملامح أكثر وضوحًا. بدأت تفكر بما تراه حولها، وحاولت أن تستنتج مما رآته. بين الفينة والفينة تذهب مع أمها إلى مسقط رأسها في القرية وتقارن بصورة مُخيفة الحياة القروية بحياتهم الموسكوفية.

الاختلاف كان بهذه الصورة، كما بين حياتهم المعيشية، وما رآته الصبية في السينما. في القرية وحل، وثياب غير متسقة، وموقف رديء، محظوظ مَنْ يمتلك جهاز تلفاز للتسلية، كان يوجد فقط جهاز مذياع في نادٍ رث في القرية المجاورة، في متجر سيلبو^(٤٣) موضوع على منصة الدكان فقط الكحول، والسجائر وأصناف المعكرونة. لحسن الحظ، بأن أمها تمكنت في زمنها التخلص من هذا المكان! وإلا كان على دينكا أن تعيش في هذا الفقر، وأن تستيقظ قبل طلوع الشمس، أن تمضي وقتاً مع البهائم، والطيور في البستان... بر-ر، التفكير بهذا شيء مخيف!

- آه، يا شباب، أندركون، أي كنز نحن نمتلك؟ - سألت دينا بطريقة ما ذات يوم أصدقاءها، حين جلسوا مساءً للحديث في التعريشة.

- وما هو هذا الكنز؟ - باهتمام حدّق ابنا الخاليتين فيها.

- كما يبدو نحن نعيش في موسكو! ويعني، في أثناء ولادتنا قد سحبوا الورقة الرابعة! - فسّرت هي، غير ملاحظة نفسها، بأنها تكرر كلمات أخرى فحسب، الفكرة تلك، التي كانت أمها تلقنها باستمرار. - هنا أمامنا جميع الطرق مُسرعة، ليست كما موجودة في قرية ما...

عندما تنفست من غزارة المشاعر، رفعت عينيها نحو السماء، بالأحرى، نحو السقف الداخلي الخشبي للتعريشة، وحين أنزلت نظرها مرّة أخرى، رأّت حيرة تامة على محيا أصحابها. هما، موسكوفيان أصليان، لم يفهما ما قالت ابنة العاملة الوافدة إلى العاصمة...

(٤٣) سيلبو - شركة زراعية استهلاكية. (المترجم).

أينعت دينا مُبكرًا كامرأة وسرعان ما أدركت أن من مظهرها المؤثر، ليس فقط مُمكن، بل ويجب أن تكسب فائدة أكثر. في سنّ الرابعة عشرة حدثت لديها أوّل قصّة حُبّ في حياتها. محبوب دينا كان طالبًا من الصف العاشر اسمه ساشا^(٤٤). كان بمنتهى الغباء، تلميذ مُتوسط المُستوى في الاجتهاد وبلا أمل، وأخرق، وبدين بعض الشيء وكثير البثور وليس لطيفًا جدًّا. لكن في المُقابل، امتلك والده رُتبة حكومية كبيرة ودخلًا جديرًا بالاعتبار. واطبت دينا على ملاطفة ساشكا، وهو بسذاجته المراهقة كان بالكامل واثقًا في صدق مشاعرها. قدّم لها الهدايا، وأخذها إلى المقاهي ودور السينما، حتّى لم يراوده الشكّ بأن دينا تتحدّث عنه خلف ظهره لصديقاتها، كيف هو، ساشكا، المُقرّف، والأحمق والمُمل وبشكل كريبه قَبَلها في خدها. استمعت صديقاتها وأومان برؤوسهن. إحداهن أدانت دينكا، وأُخرى تعاطفت معها، وأُخرى حسدتها. وواحدة منهن على حين غرة أخذت المُحب ساشا. على أي حال، دينا بصورة خاصّة لم تحزن حتّى، لكن استتجت بنفسها - أنه لا يجوز أن تثق بأحد. وأن لا تثرثر يمينًا وشمالًا عما يحدث في حياتها، لا سيما إذا كان ما يحدث شيئًا جيّدًا، وإن كان لا يساوي شيئًا إطلاقًا. الأفضل أن تتصرف بشكل مُغاير - وأن تكذب كثيرًا. وهذا يحدث لديها دائمًا بصورة جيّدة.

اعتادت الذهاب مع ساشكا إلى المطاعم والحانات. استمرت للوهلة الأولى بفعل هذا من دونه - لوحدها. تقريبًا لم تشرب - لم يرق

(٤٤) ساشا، ساشكا - تصغير وتحبيب اسم ألكسندر. (المُترجم).

لها مذاق الكحول، لكن أحبَّت الأكل بلذّة، وسماع الموسيقى الجيدة والرقص بكثرة. النقود لأجل تسليّة كهذه، طبعًا، لم تمتلكها، لكن هذا لم يكن بالمُشكلة - كل مرّة، حين تذهب إلى مكان ما، حتّمًا يوجد شخص في الصالة، على الأغلب ذو شأن، الذي يكون مُستعدًّا تمامًا للتعرّف على فتاة حسنة، وأن يرافقها ويدفع عنها الحِساب. في أغلب الحالات تعارف كهذا ينتهي في تلك الليلة أو في صباح اليوم التالي، لكن هذا لم يهم دينًا، ما دام المُعجبون كرماء، ليس فقط يدفعون لقاء طعامها أو شراب الكوكتيل، بل كانوا يدفعون لها بعد «الموعد» لديهم في البيت، في السيّارة، وأحيانًا وببساطة يضعون في يدها بأقرب فرصة سانحة - ثلاثة، خمسة، وكان يحدث أن دفعوا عشرة روبلات. ومع العشاق كانت دينًا محظوظة. غير أنها ذات يوم التقت فجأة شخصًا قوقازيًا، الذي طلب منها علاقة جنسية غير اعتيادية، وبتصرفات قبيحة، عندما رفضت دينًا بامتناع، كاد يضربها، وبالكاد هربت. وهكذا مر الأمر بسلام - إلى ذلك الوقت، لم تذهب دينكا بعد إلى الحانة في تفيرسكايا، حيث لم تكن قبيل هذا ولا لمرّة واحدة، مع مومسات مُحترفات. المومسات، كما يسمّونهن آنذاك، لم يظهرن الكلفة مع منافستهن وضربن دينكا بشدة، لدرجة أنه وجب إرسالها إلى المُستشفى. بعد هذا هدأت دينًا قليلًا. لم ترغب دينًا أن تنضم إلى «مجموعة» الفتيات هذه - هي لم تعد نفسها مومسًا وبصدق كانت تغضب، إذا ما دعاها أحد بهذا الشيء، ونوت أن تكون لوحدها، كما هي فهمت، بأنها كانت في خطر؛ بالتالي لعقت جراحها بالمعنى المُباشر والمجازي. عادت لرشدها وانتظرت

ما سيحدث في الأيام المُقبلة. وفي الأيام المُقبلة أهدى القدر لها قصة غرام مع أندريه كوليكوف - وعلى ما يبدو، كان هذا بمثابة تعويض عن المحنة التي لاقتها.

أعجبت بأندريه منذ مُدة طويلة، وحين انبرم لديهما كل شيء، أقنعت نفسها بسهولة، بأنها تُحبه. على أي حال، هو كان الرجل الأول في حياتها، الذي مارسَتْ معه الجنس بمتعة، ولم تطلب منه نقوداً لقاء هذا، والتي كانت تُنفق منها. وفي الوقت الأول، لبضعة أسابيع، كانت سعيدة للغاية. وبعد ذلك تغير أندريوشكا كثيراً. بالأحرى، لم يتغير، بل كف أن يكون المازح والمُحب وعادَ إلى وضعه السابق مرّة أخرى، كما كان في الطفولة، مؤذٍ وساخر.

- اسمعي، أنتِ قروية! - كان يصرخ في كل مرّة، عندما لا تفهم دينكا عما يتحدّث عنه، أو لم تعرف معنى كلمة ما. - وَلَمْ أنا لم ألحظ هذا مُبكراً، بأنك قروية موحلة؟ وماذا وجدَ هوَ فيك؟

- مَنْ؟ - ذُهلْتُ دينا. عمّن تتحدّث؟

- عن ديمكا! ذاك الذكي اللعين! يجعل من نفسه بروفيسوراً، بينما يفقد عقله جراء حُبّه لك - أيتها العاملة الوافدة إلى العاصمة، التي لا تستطيع ربط كلمتين. سيكون عبثاً أن أستلقي معك في السرير، أنا قد أدركتُ، بأنك في السرير لا...

فتاة أخرى في مكانها كانت ستغضب بجديّة، بل وتكف عن الحديث مع شخص وقح. لكن دينا أحبتْ أندريه (أو اعتقدتُ، بأنها تُحبه) وهكذا أرادتْ أن تكون معه، بأن غفرتْ له كل شيء. حتّى رأيه

فيها. في ما يخص ديمًا... طبعًا، هي علمت منذ وقت طويل، بأنه يعشقها (الفتيات بسرعة يحزنن أمورًا كهذه)، وأمسكت هذا الخيار من باب الاحتياط. ديمكا - فتى مُمتاز، ومن الجيد أن تتزوج شخصًا مثله. لكن عائلته ليست غنية، ويعني، لا يتوجب الاعتماد على حياة جميلة مع زوج كهذا.

احتملت دينا بشجاعة إهانة أندريه، لكن هذا لم يُساعد. فقد هجرها بسرعة على كل حال، كف عن الاتصال والاقتراب من الهاتف، وحين تربصت به في مدخل المبنى، لكي تستوضح علاقتهما، طلب منها بمرود للغاية ودون لطف للغاية أن تنسى وجوده إلى الأبد. وقتئذ عانت دينا لأول مرة في حياتها بكل جدية. قبل أندريه اعتبار نفسها قويّة، معتادة على تحمل الصعاب الخاصّة، كما قالوا في القصائد، التي بقيت لأمر ما في الذاكرة بعد المدرسة: «لا شيء في الحياة يستطيع أن يسحب البساط من تحت أقدامنا». أنت جرب فحسب، أن تسحب البساط، وسترى الكثير! كم من الدموع ذرفتها حينئذ، من المُفزع أن تتذكر. لحسن الحظ، بأن ديمًا كان جانبها، الذي هدأ من روعها بصورة جيّدة، وطيب خاطرهما، وساندها. وكانت دينا قد قررت كليًا أن ترتبط به - بمثابة تعبير عن شكرها له، إلا أنه ظهر فجأة في الأفق شخص أكثر تشويقًا، الذي افتتح منذ مُدّة وجيزة على الناصية كشكًا تعاونيًا، فنَحَتْ دينا ديمًا جانبًا.

بعد الصف الثامن فكرت دينا بالمعهد التجاري، لكن الانتساب فيه لم يحدث، تحتم عليها الذهاب إلى «المدرسة التقنية الصناعية»

المُختصة بالخياطة، التي أنهتها بشق الأنفس، غير أنها لم تعمل باختصاصها يوماً واحداً. في تلك اللحظة تبدّلت الحياة بالبلاد فجأة، فاتحةً للمواطنين فُرصاً جديدة، خاصّة فُرصة التجارة الحرّة. أُفتُتحت في كل مكان الدكاكين التعاونية، الأكشاك ومراكز لبيع كل ما هو مختلف وغريب، وإن لم تنتهز فُرصة كهذه فسيكون ببساطة إثمًا. كانت التجارة بشتى الأنواع تتوالى، بينما لم تكن البضائع الوطنية كافية، ولم تكن جودتها تفي بالغرض، ففي روسيا كانت تندفق البضائع المُستوردة. لم تكن لدى تلك البضائع أيضًا في أغلب الأحيان جودة بالدرجة العالية، بل كانت أسوأ، وأحياناً أسوأ بكثير - بالمقابل كل شيء كان جميلاً، وساطعاً، وحسب الموضة، تاركةً في الأعين المُلصقات المؤثرة ورفق تعريف البضائع الخاصّة بالمُتّجّين الأجانب. والشعب، الذي كان أمامه ودائماً كمية ضئيلة من المتّجات المحلية، اندفع لشراء كل شيء بلا تمييز.

في الحال بعد نهاية المدرسة، جميع الفتيات من صف دينا بدأن العمل التجاري بشيء ما مقبول - واحدة منهن عملت في كشك، وأخرى وجدت عملاً في سوق الجُملة أو سوق المواد الغذائية. وناتاشكا^(٤٥)، الصديقة المُقربة لدينا، كانت محظوظة أكثر من الجميع - أصبحت بنفسها تذهب إلى تركيا لجلب البضاعة.

- وكيف الأمور هناك؟ - بشعور فياض سألتها دينكا بعد عودتها. حينئذ كانت بالنسبة لها كل «البلدان الأجنبية»، دُون تقسيم للبلد، تمتاز

(٤٥) ناتاشكا، ناتاشا - تصغير وتحيب اسم ناتاليا. (المُترجم).

بشيء ما خاص، وبجزء من الحياة الجميلة، التي كانت تحلم بها بهذه الصورة. كلا، دينا، طبعاً، فهمت، أن «أميركا» المنشودة بالنسبة لها وتركيا تختلفان بشيء ما... لكن لم تفتن بصورة خاصة، بأي شيء على وجه التحديد. بالنسبة لها في ذلك الوقت الذهاب إلى أي بلد آخر يعني الارتباط بشخص من الطبقة العالية، ليس أقل من ذلك. وكانت ردة فعل الصديقة بصورة أكثر دهشة بهذا.

- لا يوجد شيء خاص، - لوحث صديقتها بيديها. - كما لدينا في القفقاس. الطقس حار! على أي حال، أنا أقول بصراحة، بصورة بينة لم أر شيئاً هناك. وصلت إلى المكان، وأخذت البضاعة - وعدت من حيث أتيت.

لم ترض هذه الحكاية دينكا. في القفقاس لم تكن هناك أبداً، ولا يمكن المقارنة بشيء - ولكن في المقابل امتلكت خيالاً حياً غنياً. الذي كان فيه بداية لرسم لوحة جميلة - بحر أزرق، ويخوت ناصعة البياض تتحرك وسط الأمواج، الفتيات الجميلات السمرات بابتسامات برّاقة... ملاحظة، هي حتى لم تسمع، ماذا تقترح عليها صديقتها.

- ماذا قلت، ماذا قلت؟

- أنا أقول: أتودين، في المرة المقبلة أن نذهب معاً؟ أنا أعرف بدّقة، أن فالتيتينا فيودارفا صاحبة عملنا، تحتاج إلى أشخاص! أتود دينا هذا؟ هي أرادت هذا كثيراً! مُمكن أن لا تسأل.

- وَكَيْفَ سَأَتَعَامَلُ أَنَا مَعَهُمْ، مَعَ أَوْلَئِكَ الْأَتْرَاكِ، كَيْفَ سَأَتُحَدِّثُ مَعَهُمْ؟ - ارْتَبَكْتُ هِيَ. - أَنَا كَمَا يَبْدُو لَا أَعْرِفُ لُغَتَهُمْ.

كُلُّ مَا تَعْرِفُهُ دِينَا فِي اللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ بَدَأَ وَانْتَهَى فِي بَيْتِ شَعْرِ مِنْ أَلْعَابِ الْأَطْفَالِ «شَرَبْنَا الشَّاي، كَسَرْنَا الْأَقْدَاحَ، هَا نَحْنُ نَتَكَلَّمُ التُّرْكِيَّةَ».

- مُمَكِّنْ أَنْ تَفَكِّرِي، أَنَا أَعْرِفُ! - قَهَقَهْتُ نَاتَاشْكَا. - لَا عَلَيْكَ، لَا تَخَافِي، فَسَّرِي لَهُمْ بِطَرِيقَةٍ مَا.

سَافَرُ أَتَانَسَ كَثِيرُونَ لِلشَّرَاءِ، لَكِنْهُمْ لَمْ يُسَافِرُوا بِطَائِرَةِ فَخْمَةٍ، كَمَا كَانَ يُخِيلُ فِي أَحْلَامِ الْفَتَاةِ، بَلْ كَانَ عَلَيْهِمُ الذَّهَابُ عَبْرَ الْبَحْرِ - كَانَ ذَلِكَ أَرْخَصَ. قَبِيلَ وَصُولِهِمْ إِلَى الْمِينَاءِ ارْتَجَحُوا لَوْ قَدْ طَوِيلَ دَاخِلَ عَرَبَةِ الْقَطَارِ الْخَانَقَةِ غَيْرِ الْمُخَصَّصَةِ لِلنُّومِ الَّتِي كَانَتْ تُحَدِّثُ صَوْتَ ارْتِجَاجٍ، بَعْدَ ذَلِكَ اسْتَغْرَقَ تَقْدِيمُ وَثَائِقِهِمْ فِي الْمِينَاءِ وَقْتُاً طَوِيلاً وَانْتَظَرُوا إِبْحَارَ السَّفِينَةِ. وَلَمْ تَكُنِ السَّفِينَةُ مُشَابِهَةً كُلِّياً لِمَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْبَوَاخِرِ السِّينِمَائِيَّةِ، هَكَذَا، كَانَ مَرْكَبًا قَدِيمًا أَمَغْرَ يَرِثِي لَهُ، الْمُشَابَهَ لِقَشَّةٍ، يَتَحَرَّكُ وَسَطَ الْأَمْوَاجِ مِنْ جِهَةٍ إِلَى أُخْرَى. وَفِي الْبَحْرِ، كَمَا ظَهَرَ، أَيْضًا لَمْ يَكُنْ شَيْئًا رُومَانِسِيًّا - فَقَطْ سَلْسَلَةٌ لَا نِهَآيَةَ لَهَا مِنَ الْمِيَاهِ حَتَّى الْأَفْقِ... لِحُسْنِ الْحِظِّ، أَنَّ بَدَنَ دِينَكََا كَانَ سَلِيمًا وَلَمْ يُصْبَحْ دَوَارَ الْبَحْرِ، لِأَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ رِفَاقِ السَّفَرِ (الَّذِينَ كَانُوا كَثِيرِينَ الْعِدَدَ عَلَى مَتْنِ مَرْكَبِ صَغِيرٍ، وَجَمِيعُهُمْ كَانُوا يَسَافِرُونَ مِنْ أَجْلِ الْبُضَائِعِ) كَانُوا يَسْتَفْرِغُونَ حَتَّى عِنْدَ اهْتِرَازِ صَغِيرٍ.

وَالْبَلَدُ ذَاتَهُ لَمْ يَبْدُو رَائِعًا عَلَى الْإِطْلَاقِ - كَمَا يَبْدُو الْفَتَيَاتُ لَمْ يَذْهَبْنَ إِلَى مَصِيفِ ذِي فَنَادِقٍ، وَشَوَاطِئٍ، وَنَخِيلٍ، وَمَسَابِحٍ وَأَمْوَرٍ

جميلة أخرى، بل ذهبن إلى مدينة صغيرة تقع عند البحر، وسخة بشكل كبير وصاخبة للغاية. لم يكن لديهن وقت لمشاهدة المدينة والتعرّف على معالمها، فقد استعجلوا بالعودة في الوقت المُحدّد. بهذه الحال جالوا طوال أيام الرحلة الخارجية «كل مجموعة شراء البضائع» برئاسة صاحبة العمل التجاري منذ الصباح حتّى الليل في الأسواق والمتاجر، ابتاعوا الفرو، ومعاطف من جلد الغنم المدبوغ، وجواكت جلدية، وأحذية وبدلات رياضية وحشروها في جوانات كبيرة، مُحاولين، وضع أكبر عددًا ممكن. ها هو ذا ما أذهل دينكا - هذه الوفرة وإمكانية اختيار السلعة. لو كانت لديها الأموال، لكانت ابتاعت كل شيء، لكن، طبعًا، لم تمتلك إمكانية كهذه. وأدهشها أيضًا، بأن، كما تراءى في البدء، بالضبط كل البائعين هنا يعرفون صديقتها. الجميع يقاطعون بعضهم بعضًا، مُخاطبين إياهن باسم ناتاشا. عرفت دينكا في ما بعد، بأن هنا يصرخون باسم ناتاشا على جميع الفتيات من الجزء الأوروبي، الآن الاتحاد السوفييتي السابق.

في طريق العودة، حيث وجب أن يكون سحب الجزء الكبير من الحقب الثقيلة على عاتقها، لم يترأى لها أصعب من الطريق إلى هناك. بصعوبة جرّت أمتعة السفر من عربة القطار إلى رصيف المحطة، قطعت دينا عهدًا على نفسها، بأنها لن تذهب أبدًا، أبدًا ومهما كانت الظروف إلى أي مكان في الدنيا... وبعد ذلك حصلت على أوّل أجر في حياتها - مائة روبل كاملة، أموال لا بأس بها، خلال أسبوع! وأيضًا مالكة العمل باعت لها بخصم كبير جاكيت جلدًا حسب الموضة،

بعيب ليس كبيراً وفي الحقيقة غير ملحوظ. وأدركت دينا، بأنها قد أقسمت بوقت سابق بصورة بينة.

سرعان ما تأقلمت دينا مع الرحلات كلياً، تعاملت بنشاط مع الأتراك، وتعلمت التمييز في ما بينهم (أول الأمر قد بدوا لها مُتشابهين) وَحَتَّى بدأت قِصّة غرام مع فتى لطيف باسم مُضحك أولك، الذي يُكتب مُختصراً كما في اللغة الإنكليزية اوكي، ولهذا وبمزحة أسمته دينا «الأميركي خاصتي». لم تأت هذه القِصّة الغرامية بالنفع، عَلَى الرَّغم من أن دينا في آن واحد نوت الزواج من أولك بصورة جدية. بالتحديد في تلك اللحظة عندما اتصل ديمكا عَلَى أمها. وعرفت بما أخبرته أمها، بأن ابتتها موجودة في خارج البلد وستزوّج من «أميركي»، لكن في أثناء ذلك لم تسهب في التفاصيل، فرحت دينا للغاية. يجب، أن تتغابى أُمي (لم يكن رأي البنت بأمرها بسيطاً، اعتبرتها، من دُون أسباب، غير ذكية وذات خبرة ضئيلة) - وعندما يتحتم أن تقول، فيتحتم عليها أن تقول بالتحديد ما يجب قوله، وَلَا تتطرق إلى كلمة زائدة. ديمكا، طبعاً، حتماً سيقول كل شيء لابن خالته... وليعرف أندريه، أن دينا لم تضع من بعده، بل حَتَّى استقرت في الحياة بصورة جيّدة جداً. وهذا ما يجب أن يعرفه.

عملت لبعض الوقت مع ناتاشكا لحِساب فاليتينا فيودارنا، وبعد ذلك قررتا بأنهما يستطيعا بصورة رائعة أن يعملّا لحِسابهما من دُون مالكة العمل - بأن يجلبا البضاعة بأنفسهما، وأن يبيعاها. فقط يتعيّن عليهما أن يستأجرا حاوية في سوق. لكن بدا هذا في موسكو باهظ

الثمن، وَالْمُنَافَسَةُ ستكون كبيرة، وليستا وحدهما فقط الذكيات. لذا قررت الصديقتان الانتقال إلى مكان ما في ضواحي موسكو، حيث كل شيء سيكون أسهل، وَوَقَعَ اختيارهما عَلَى مدينة بوكين التي تبعد مائة كيلو متر عن العاصمة. هُنَاكَ تعيش قرية ناتاشكا، عمتها، مع امرأة، اللتين لِقَاءَ مبلغ رمزي سمحتا للفتاتين بِسُرُور بالسكن في المَبْنَى الكبير شبه الفارغ. قَبِلْتُ دينا بهذا الخيار كَلِيًّا - في بوكين لا أحد يعرفها، وَلَنْ يراها أحد من معارفها تُتَاجَرُ في السوق، وَفُرْصَةٌ أَنْ يراها أحد ستكون ضئيلة للغاية. وهذا ليس غريبًا، هي كانتْ تخجل من هذا الأمر وَفِي أعماق روحها أدركتْ، بأنها لا تخجل من أيِّ شخص، بل من أصدقاء الطفولة. بالتحديد حَتَّى هذا الوقت أرادتْ أَنْ تظهر نفسها أمامهما بمظهر لائق. بهذا الشكل قضتْ دينا الجزء الكبير من وقتها في أُنْثَاءِ أَقَامَتِهَا في روسيا بالسوق، لكن أوصتْ أمها - عندما يسألها، فجأة بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ دينا أو أندريه، فقولي، بأنها تزوّجتْ وَسَافَرَتْ إِلَى أميركا.

أَنْ تُدِيرَ «عملك التجاري» وَفِي ضواحي موسكو ليس بالأمر الهين، كانت الكثير من المشاكل - مع المُنافسين تارة، وَمَعَ الشرطة تارة، وَتَارَةً أُخْرَى مع الإخوان المحليين^(٤٦). لكن، كما يُقال، رب ضارة نافعة. رئيس المجموعة المحلية، الذي يُسيطر عَلَى مدينة بوكين بِأَسْرَها، تولىكَ الذي يُلقب بِـ كوستيل^(٤٧)، فتى شاب للغاية، فجأة

(٤٦) الإخوان المحليون «البلطجية» - تسمية تطلق في الأوساط الإجرامية. (المُترجم).

(٤٧) كوستيل تعني العكاز. (المُترجم).

أعجب بدينكا، بصورة جدية للغاية، أدهشته للغاية. ودنا الذكية بلمح البصر تنهت، بأن هذه فرصتها الحقيقية، من تلك التي تأتي مرّة واحدة في الحياة. أميركا، التي تحلم بها طوال الوقت، بعيدة، بينما توليك - ها هو ذا بجانبها، فقط عليها أن تمتد يدها. والأموال لديه لا توجد لدى أيّ مليونير أميركي.

الأموال لدى توليك كانت في الحقيقة بوفرة كبيرة - يبدو أنه يبتز المدينة برمتها، من ضمنها السوق، وجميع المتاجر، والمقاهي، وسائقي سيارات الأجرة وهلم جرا. وفضلاً عن هذا يمتلك كوستيل عملاً تجاريّاً خاصّاً - تعود إليه اثنتان من كازينوهات المدينة وجميع الصالات الخاصة باللعاب البنادق. على العموم، هكذا كان يجمع الأموال، ولم يعلم ببساطة أين يخفيها. قد ألهمته للغاية فكرة تبذير مبالغ خيالية على اهتمام جميل بامرأة. قادت دينا لعبة دقيقة، لم تشح بوجهها عن محبوبها، ولم تستعجل بمنحه رضاها، تارة تسمح له بالاقتراب، وتارة أخرى تزيحه جانباً، بلطف، ولكن بحزم. بسيط، مثل صابون الغار، فقدّ توليك عقله جراء هذا، أغدق عليها بالهدايا وباتّ مُستعدّاً أن يرمي كل الكُرّة الأرضية نحو أقدام دينا الممشوقة. مُستنفداً كل ذخيرة بسيطة لوسائل الإغراء، هو لم يتكر شيئاً أفضل، كي يتقدّم لدينا بطلب يدها وقلبها. مُحفلةً في قرارة نفسها، وعدتّ دينكا بالتفكير، خللته لبعض الوقت، مُستنتجة بأن العريس قد اتخذ شكله النهائي، ووافقت. بقيت ناتاشكا الخضراء^(٤٨) من الحسد تعمل في السوق، بينما دينا انتقلت

(٤٨) اللون الأخضر في الثقافة الروسية يدل على الحسد. (المترجم).

للعيش في الشقة الضخمة لتوليك في المبنى الجديد في مركز المدينة. كانت في ثقة تامة، بأن لا يتوجب عليها الآن العمل في حياتها على الإطلاق.

أقاموا حفل زفاف فخماً، وكادوا يتنزهون لأسبوع في المدينة برمتها، العروس أبدلت لبضع مرات في اليوم ليس فقط ملابسها، لكن أيضاً الأطقم الماسية. كانت أم دينا ناديجدا سيميونافنا طوال الأيام تبكي فرحاً - ولم يترأى لها حتى في أحلامها الأكثر جرأة، بأن ابنتها تنتظرها سعادة كهذه.

عاشت هي وأمها مع توليك، كما أرادت دينا، ليس بصورة سيئة حتى. تجادلا، وحدث، أن احتسى توليك الخمر، ورفه عن نفسه - وأي رجل لا يحتسي الخمر ولا يُرفه عن نفسه؟ وكان يضربها أحياناً، وهو في حالة غضب، فهذا أمر يمكن تحمله. في المقابل ضمنت العائلة ما لم تكن تحلم به في وقت سابق. لم تُفكر دينكا بمصدر هذه الأموال، وكيف أخذها «فتية كوستيل» عنوة من المواطنين وماذا فعلوا مع الذين يرفضون الدفع، هذا لا يخصها. الأمر الأساسي، أن تعيش، وأن لا ترفض أي شيء في نفسها. وهكذا قد عاشوا. وُلدت لديهما بنت، جانكا^(٤٩)، أبدلوا سياراتهم مرة في كل ستة أشهر، وبنوا بيتاً من الطوب من ثلاثة طوابق، وضعوا فيه كل شيء - تماماً كما في السينما. سعت دينكا للحصول على الغنى الساقط عليها من السماء بكل الوسائل الممكنة وغير الممكنة وكانت تزعج توليك باستمرار، عارضةً عليه

(٤٩) جانكا، جانتشكا - تصغير وتحبيب اسم جانا. (المترجم).

أفكارًا مُختلفة - تارة تفتتح مطعمًا، وتارة صالون حلاقة نسائية، وتارة صالة رياضية، وتارة أخرى ناديًا ليليًا... طبعًا، كانت ترتدي ملابس من متاجر صغيرة للألبسة الراقية فحسب، وكانت شتى الحُلي تجدد متسعًا في الخزانة الحديدية. غير أن السياحة كانت التسلية المحبوبة للغاية بالنسبة لها. وَحَتَّى ولادة جانكا لم تكن عائقًا، في وقت الرحلات يقفون الطفلة مع جليسات أطفال كثيرات، اللواتي تقودهن حَماتها. توليك، مثل دينا أيضًا، يحب السياحة جدًّا، جالسًا في مكان ما على شاطئ لجزيرة استوائية، مُتنعمًا في أشعة الشمس الدافئة ومُتفرِّجًا على النخيل والمحيط، كان يتحدَّث مرارًا عن أن قُبيل تعارفه على دينا لم يخطر بباله بطريقة ما حتَّى، أن من المُمكن أن يُسافر إلى مكان ما ويكون هذا شيئًا رائعًا. ردتْ هي عليه، ضاحكةً، أشارتْ إلى أنه محظوظ بالزواج منها. قِيم، أيّ كنز قد حصلتْ عليه! وتوليك قِيم، هُوَ كان رجلًا مُحَبًّا للحياة العائلية، إذا لم نول اهتمامًا للأمور التافهة، رجل جيّد، أحب ابنته حبًّا جمًّا، وأحب دينكا أيضًا، عمليًّا لم يرفض لها شيئًا. وديننا نفسها رغمًا عنها، لكن باستمرار كانتْ تقارنه ذهنيًّا بأصدقاء طفولتها. قارنته بأندريه، الذي أحبته كثيرًا في وقت ما، بأنها إلى الآن ترغب بالثأر منه، وبـ«ديمكا»... ولم تكن هذه المُقارنة، كما يُفترض، في صالح زوجها مُطلقًا. لا سيما أن رائحة هذه المُقارنة فاحتْ بحدّة في خارج البلد. توليك اعتبر بإصرار، أنه دفعَ الأموال هذه بسخاء، فيتوجَّب على جميع من حوله الحديث باللغة الروسية، وأن ينفذوا أيَّ نزوة له وبوجه عام أن يعوا هذا. جراء هذا كان باستمرار يظهر سوء التفاهم، الذي في أثنائه

كانت دينكا أحياناً خجلة من تصرفات شريك حياتها ورغبت دائماً، أن يحل محله أندريه أو ليكن حتى ديمًا. وقتئذ كل شيء كان بشكل آخر. على أي حال، اعتبرت دينًا بتفاؤلها الخاص، هذا أيضًا لم يكن أمرًا سيئًا. الأمر الأساسي، أنهم في سياحة. خلال أربعة أعوام تقريبًا من الحياة الزوجية كادت تطوف مع زوجها كل أرجاء العالم. لم تفلح فقط بالسفر إلى أميركا، لسبب ما لم يمنحوها وتوليك تأشيرة الدخول إلى هناك. والحياة دون أميركا هذه مستمرة على أي حال.

ذات يوم خامرتها فكرة أن ترى أصدقاء الطفولة، وأعجبت هذه الفكرة دينكا جدًا. ولم لا؟ يوجد لديها ما تتفاخر به، أن تظهر بأنهم أنقذوها، متجملًا - وتذهب إليهما بأفضل ما لديها، وليس من المتجمل أن تظهر نفسها بهذا الشكل. إلى ذلك الوقت كان الألم والغضب من أندريه قد انطفأ في داخلها منذ مدة طويلة، لكن رغبة فرك أنفه بكل الأحوال لا زالت قائمة. أن تدعه ينظر إليها، وتدعه يعي، أي امرأة قد أفلتها! سيعض أنامله ندمًا وأسفًا!

أبقت دينكا ذلك اللقاء، ببساطة بصورة مرضية للغاية. أولاً، ما يفرح بصورة تفوق الوصف، بأن ابني الخاليتين سيعتقدان، إلى هذا الوقت، بأنها لا زالت متزوجة من أميركي. من الطبيعي، هي لن تثنيهما عن اعتقادهما هذا - الزوج المليونير من الولايات يظهر ذا شأن أكبر، من الزوج المجرم من مدينة بوكين، ليكن حتى رجل عصابات من هذا المستوى، مثل توليك كوستيل، الذي يسيطر على مدينة بأسرها. دينكا بسرور ساندت رواية كهذه لزواجها. يمكن، ابنا الخاليتين لن يصدقاها حتى النهاية، لكن الإثبات

موجود عَلى نحو ماثل للعيان - الملابس، المصوغات الثمينة، السيّارة
الأجنبية الحمراء وعُلبة كاملة من صور الرحلات السياحية في الخارج.
إزاء هذه الإثباتات لن يكون ثمة ما يفندها.

وثانيًا، دينا كانت فرحة حتّى أن تمنح النقود للأصدقاء القدامى. في
تلك اللحظة بالنسبة لها مع توليك، قد يمتلكان الملايين، وعشرة آلاف
في الحقيقة مبلغ زهيد. وأندريه، مثل ديمكا، في الأمر الأساسي، سيُثمنان
تصرفها، وستشمنح دينكا للغاية في أعينهما. الثأر من أندريوشكا كان
فعالًا. في الحقيقة لم يكن هذا بالثأر بعد، الثأر ينتظره في الأمام - لكن
وقتئذ دينا لم تعرف بعد بهذا.



الفصل الخامس

ظهور مصادر رونية^(٥٠)

في بداية الأمر، لم تسر أعمال ابني الخاليتين على ما يرام. هُما قد سوّيا الحِساب مع أرنولد، بالطبع، بأن توجّب إعطاء كل أموالهما حتّى العشرة آلاف الخاصة بدينا، التي كانت مُخصصة لشراء الشحنة الثالثة للبضاعة، والآن ديما وأندرية ببساطة لم يعرفا ماذا يفعلان. تبقى من الشحنة الثانية فقط بضعة كومبيوترات، وبيعها لن يحل المشاكل على الإطلاق. أجهدا ابنا الخاليتين فكرهما في البحث عن مخرج من الوضع الصعب، لكن لم يستطيعا أن يبتكرا شيئاً أبداً. تذكر أندرية حتّى المرأة العجوز بائعة الزهور، التي تحدّث له عنها معارفه «رجال الأعمال ذوي النفوذ المالي» نيكيتا وماتفي، لكن ديمكا أقنعه بالعدول عن هذه المُجازفة. وكأنّهما، قد حاولا «وضع الأموال في الربا» ويدركان جيّداً بما سينتهي هذا الأمر.

(٥٠) رونية - الانترنت الروسي. (المُترجم).

- نعم... مِنْ الْمُحْزَن، - قال أندريه بشكل ما، موصداً الخزانة. -
إذا استمر الأمر بهذا الشكل، فنحنُ في الحقيقة سنفلس.

هزَّ ديمًا كتفيه فحسب، غير محوّل نظره عن شاشة الكمبيوتر. هُوَ
حل مَهْمَة اليوم الشيقة، وَلَمْ يرغب في صرف اهتمامه بأمور تافهة.

- يجب أن نُفكر بشيء ما بِسُرعة... شيء ما جديد، مُبتكر. أن
نبتكر، كما يُقال، اختراعًا جديدًا في عملنا...

الجواب كالْمُعْتَاد كان الصمت.

- ديمكا! - لم يصمد أندريه. - لم أنتَ تصمت وتَصمت! مُمكن
أن نُفكر، الأمر بالنسبة لك عَلَى حدّ السواء، بأننا عَلَى حافة الإفلاس.

- وَلَمْ عَلَى حدّ السواء؟ مِنْ الْمُحْزَن، طبعًا. كم مِنْ الوقت أنفقنا،
وكم مِنْ الجهد بذلنا... لكن لا يستحق الأمر أن نُضفي عليه طابعًا
انفعاليًا إلى حدّ بعيد. حاولنا، وَلَمْ نحصل عَلَى شيء. وَهَذَا الأمر يمكن
أن يحدث مع كل شخص. الحمدُ لله، نحنُ الآن لسنا مدينين بشيء
لأحد، حسنًا، عدا ديننا، طبعًا. وَلَكِنها، أمل أن لا تمنحنا وقتًا قصيرًا. بأن
نوفي الدين لها عَلَى مهل...

- إن أعطيناها العشرة آلاف - قاطعه أندريه - فسنهلك مِنْ الجوع.
وَهَا هي ذي بالفعل الآفاق التفاؤلية!

- أنتَ تقول هكذا، كما لو أن خيارات أخرى لا توجد إطلاقًا في
هذه الحياة. وَمَاذا عسانا أن نفعل أنا وَأَنْتَ، شخصان شابان معافان
بشهادة عليا، بمعرفة للغات الأجنبية والحاسوب الشخصي، لا نجد

عملاً لأنفسنا؟ ها قد عرضوا عليّ التدريس في الكلية. وَيَتَحْتَم عليّ
الرفض، عَلَيّ الرِّغْم مِن أَن... أندريوشكا، ماذا بك؟

وَدَيْمًا باستغراب حَمَلَق في ابن خالته، الذي فجأةً هَبَّ واقفًا من
مكانه، مسقطًا بدويًّا في أثناء ذلك كرسي المكتب، وَارْتَمَى عليه
ليحضنه.

- ديمكا، أَنْتَ عبقرِي! أَنْتَ لَا تَتَصَوَّر، أَيُّ عبقرِي أَنْتَ!

- وَمَا مُنَاسِبَةٌ هَذَا، فِي الْحَقِيقَةِ؟ ماذا دهاك!

- هَذِهِ فِكْرَةٌ مُذْهِلَةٌ لِلْغَايَةِ! بِالضَّبْطِ! التدريس!

- لَمْ أَفْهَم شَيْئًا! أندريوخ، لِتُشْرَحْ لِي بوضوح!..

- حَسَنًا، اسْمَعْ - جَلَسَ أُنْدَرِيه عَلَيَّ حَافَةً مَكْتَبِ دِيْمَا - أَنَا يَوْمَ
أَمْسٍ قَدْ تَعَرَّفْتُ فِي الْحَانَةِ عَلَيَّ فَتَاةً «مُرَّةً»، حِينَ عَلِمْتُ بِأَن لَدَيَّ شَرَكَةٌ،
وَبِسَهُولَةٍ تَوَسَّلْتُ وَالدُمُوعُ فِي عَيْنَيْهَا أَن تَعْمَلَ سَكْرَتِيرَةً لَدَيَّ. وَقَالَتْ،
بَأَنَّهَا قَرَأَتْ إِعْلَانًا فِي صَحِيفَةٍ، يَطْلُبُونَ مُسَاعِدًا لِلْمُدِيرِ، وَتَجَمَّلْتُ،
وَطَلْتُ وَجْهَهَا، وَارْتَدْتُ مَلَابِسَ قَصِيرَةٍ ضَيِّقَةٍ، وَذَهَبْتُ لِلْمُقَابَلَةِ. وَهُنَاكَ
تَبَيَّنَ أَنَّ الْمُدِيرَ امْرَأَةٌ. تَطَلَعْتُ إِلَيْهَا وَسَأَلْتُهَا: أَتَعْرِفِينَ لُغَةَ أَجْنَبِيَّةٍ؟ كَلَّا.
أَتَجِدِينَ الْعَمَلَ عَلَيَّ الْكُومْبِيُوتَرِ؟ كَلَّا. وَلَمْ إِذْنِ أَتَيْتُ إِلَى هُنَا؟

- وَلِمَاذَا أَنْتَ تَرَوِي لِي كُلَّ هَذَا؟

- لِأَجْلِ، يَا لُغْبَاءَ رَأْسِكَ! - كَانَ هَذَا كَلِمًا فِي طِبَاعِ أُنْدَرِيه - فِي
غَضُونِ بَضْعِ دَقَائِقٍ وَصَفَ مُحَدَّثَهُ بِالْبَدَايَةِ عَبْقَرِيًّا، وَبَعْدَ ذَلِكَ بُلْبَابًا رَأْسَهُ
- أَنْتَ كَمَا يَدُو تَعْلَمُ، كَمْ شَرَكَةٌ الْآنَ تَفْتَتِحُ؟

- أعلم - الكثير . وماذا في هذا؟

- يوجد! يطلبون من الموظفين معرفة العمل على الكمبيوتر؟

- في أغلب الحالات، من المحتمل، نعم.

- وهذا ما أصبو إليه! ومن أين يأخذون هذه المعارف؟ ليس الجميع

قد أنهوا كلية الرياضيات الحسابية والجبر، وليس لدى الجميع ابن خالة، الذي أنهى كلية الرياضيات الحسابية والجبر. يعني، يتوجب علينا، إلى جانب المتجر، أن نفتتح أيضًا مركزًا لتعليم استعمال الكمبيوتر. شيء ما بمثابة دورات سريعة لتعليم مُستخدمي الحاسوب الشخصي. وأنت ستقوم بالتدريس فيه، يعني تدرس هنا، لدينا، وليس في الكلية.

- فكرة ليست سيئة... - قال ديما باستغراق في التفكير - لكن أنا

أشك في أمر ما، بأنك أول من خطر بباله هذه الفكرة. بالتأكيد دورات كهذه كثيرة جدًا، نحن ببساطة لا نعرف عنها.

- لا نعرف - سنعرف، - بصورة مُتفائلة أكد أندريه - ندرس

السوق، ونجري هذا، كما يسمونه، بحثًا تسويقيًا. لكن أنا أشك في أمر ما، بأنهم كثيرون...

دراسة السوق أظهرت، بأن ابن الخالة الأصغر سنًا بالفعل أقرب إلى

الحقيقة، من الأكبر. الدارسون في الدورات تحت لافتات وتسميات مُختلفة في تلك المرحلة كانوا بكمية كافية، ولكنهم تخصصوا على الأغلب في إعداد السكرتارية والمُحاسبين. الكثيرون منهم أعلنوا عن تعليم استعمال الحاسوب الشخصي، في الواقع، كما فسّر أندريه،

دارسًا المسألة بالتفصيل، في أغلبية الحالات هذا التعليم اقتصر على بضع ساعات نظرية، غالبًا دون دروس عملية كلية إطلاقًا.

- حسنًا! أنت ترى؟ - بكبرياء أشار لابن خالته. - المُنافسون لدينا في موسكو، اعتبرهم، بشكل عام غير موجودين، عدا جامعة موسكو الحكومية وبأومانكي^(٥١). أعد - يتوجب علينا أن نُجازف. إن استعدنا بصورة بارعة - بالضبط فسنكمل كل شيء في أيلول/ سبتمبر.

- ولمَ لا، لنُجرب... - أجاب ديما ولكن ليس بثقة عالية - أنا سأتكلم مع الشباب، أعتقد، سنجد الراغبين بالتعلم. وبعد ذلك - يجب أن نحصل على رخصة مزاولة التدريس...

- لا تشغل بالك، جميع المسائل ستُحل.

قُضي الأمر. ابنا الخاليتين استعدا لحياة التقشف واقترضا المال - المشروع، كأي بداية أخرى في المرحلة الأولى، يتطلب وضعًا ماليًا. استأجرا موظفين جدداً، أجلسوهم (بالحاح من ديما) لإعداد البرامج التعليمية، واستأجروا بضعة أمكنة في ذلك الجناح، الذي حسب الطلب أفرغوه بالتحديد في اللحظة المطلوبة، وهناك رموه وجهزوه بصورة مُمتازة ووضعوا أثاثًا جيدًا - حسب رأيهما، مركز التعليم يجب أن يظهر حتمًا بصورة مُعتبرة، وليس كمقصف للأكل السريع والرخيص عند مداخل الأحياء السكنية، التي رأى أندريه طوال مرحلة دراسة السوق الكثير منها. يسمونها جامعة دولية ما، بينما يجلسون أنفسهم

(٥١) جامعة موسكو التقنية الحكومية التي تحمل اسم ن. إ. بأومان. (المُترجم).

في قبو رث لمبنى سكني شعبي في ضاحية المدينة، وَجاؤوا بنضد مائدة مِن أثاث الجدة، وَوضعوا ثلاثة كراسي مُتمايلة وَحَتَّى آلة كاتبة مُحطمة، وَ«البروفسوريون» يشبهون إلى حدّ كبير الفاسقين مِن ساحة كومسومولسكايا، وَلَا يشبهون المُحاضرين. كلا، كان يجب أن يكون لديهما كل شيء بشكل آخر!

قدمت وفرة الكمبيوترات لابني الخاليتين أفضلية مُهمة إزاء المُنافسين.. قررا أيضًا إبقاء هذه الكمبيوترات المُتبقيّة مِن الشحنة الثانية وَاستعمالها للتعليم. وَبعد ذلك مُمكن أن تُباع. الحاسوب الشخصي - ليس ثوبًا، الذي يهترئ جراء الاستعمال، في ذلك المعنى، بأن ظاهريًا لا يُرى. إذا تم تنظيفه من الداخل بِصورة حسنة، وغسله مِن الخارج، وَألحقت به لوحة مفاتيح جديدة وَفأرة، فالشخص غير المُتخصص لن يعرف أبدًا بأن الكمبيوتر مُستعمل.

كانا محظوظين بالإعلان للغاية. الحبيبة الجديدة لأندرية، الصحافية كريستينا، كانت تعمل في صحيفة كبيرة متخصصة بالإعلانات، التي أصبحت توزع منذ زمن ليس ببعيد مجانًا بكل الصناديق البريدية لموسكو. هي لم تعط فكرة أن تنشر إعلانًا في الصحيفة عن الدورات فحسب، بل أن تنشر أيضًا مقالة كاملة عنهما، مع الصور وآراء الخريجين، التي تتحدّث عن التعليم الجيّد في المركز التعليمي، وَأهمية امتلاك الإنسان المُعاصر للكمبيوتر (في الحقيقة ضرورة تعلمها لكي يُحقّق النجاح) وَأمر، لمعلومة القارئ، ليس مفيدًا فحسب، بل وَمُسليًا. بفضل كريستينا أصبحت المقالة تظهر بانتظام في

عدد الصحيفة لصالح الظروف الناجحة للغاية بالنسبة للشباب - ولهذا العمل تأثير كبير، في تلك السنوات كانت طريقة الإعلان المُشابهة لا تزال شيئاً جديداً. منذ اليوم الأول لنشر المقالة لم تتوقف الهواتف ببساطة في جناح العمل، توجبَ حتَّى مد خط إضافي. من المفهوم، ألا يصل إلى المكتب جميع المهتمين، وعدد قليل قد سجّلوا في الدروس ودفعوا لقاء التعليم - لكن بكل حال من الأحوال المجاميع التعليمية الأولى تجمعت بسرعة فائقة. اشتغل ديمَا والمُحاضرون المُستأجرون الآخرون، عاملين بجِد، مُحاولين بأقصى طاقتهم، جلبوا متدربين بكمية كبيرة في مجال استعمال الحاسوب الشخصي وعلموا الراغبين بالعمل أسس البرمجة.

استمرت دورة التعلم لوقت أطول، من المراكز الأخرى، من شهر لثلاثة أشهر، وحصل المُشاركون على شهادة في ختام الدورة. بصورة واقعية خرج من باب المبنى في زاموسكفوريثيا مُستخدمون مُتقدمون حقيقيون. بالدروس الجيدة كان من السهل الحصول على عمل جيّد - وبالتالي الآراء في المقالة الإعلانية، التي لفقتها كريستينا سرعان ما أُبدلت بآراء الخريجين الحقيقيين. أذاع «سارافانايه راديو» معلومة بشأن المركز التعليمي في جميع أنحاء موسكو، سجل الراغبون في الدورات وكل شيء كان يزداد ويزداد - بغض النظر عن أن السعر لقاء التعلم لديهم في المركز كان باهظاً للغاية. انفجرت أسارير ابنا الخالتين. هُما لم يحسبا باضطراب كل شهر، أبقى شيء ما بعد دفع الإيجار وأجور الموظفين، وكسبوا مكسباً حقيقياً، مكسباً مُتزايداً باستمرار.

سرعان ما اتضح، بأن من الممكن شراء الشحنة المُقبلة للبضاعة، ما دامت الأمور تسمح. سافر ابنا الخاليتين مرّةً أخرى إلى ألمانيا، حيث اتفقا ليسَ فقط على شراء شحنة واحدة، بل بنظام التوريد. تحول الأمر في صالحهما، أصبح عدد المُشتريين أكبر بكثير، والجميع كانوا يسألون البائع على الأغلب عن عدد الأجهزة ولأَيِّ أهداف الزبون يرغب بالشراء، وأجابوا، بأنهم يريدون حاسوبًا شخصيًا واحدًا، يأخذونه إلى البيت.

بعد ذلك سدد ابنا الخاليتين جميع الديون - كان ديمكا يصّر على هذا. من ضمنها أعطيا عشرة آلاف إلى دينا. منذ لحظة اللقاء في «ناتسيونال» لم تظهر أكثر، ولم يفلحا في رؤيتها، لم يكن هاتف صديقة الطفولة لدى ابنا الخاليتين، لكن أفلحا في العثور على أمها - على الرغم من أنها انتقلت للعيش في شقّة أخرى. قالت ناديچدا سيميونافنا، بأن ابنتها ليست في موسكو، غير أن الأموال قد أفرحتها للغاية وأكدت بوعدها قاطع، أنها ستعطي الأموال حتمًا إلى دينا.

كل شيء حدث بصورة جيّدة. قرر ابنا الخاليتين أن يفتتحا متجرًا آخر ومع بداية العام الدراسي الجديد استأجرا مكانًا جديدًا للدورات، أكثر اتساعًا إلى حدّ كبير. لكن المكتب الرئيس لشركتهما بقي كما كان بالسابق في جناح العمل في زاموسكفورييتشيا، الذي شغفا به بكل روحهما. ليديا غيورغييفنا، أم ديمكا، قالت، بأنه لا يوجد فيه شيء مُدهش، كما يبدو على بُعد حين فقط من جناح العمل كان يقع في وقت ما عش عائلتهم، البيت الخشبي، الذي بناه أجدادهم التجار.

طبعًا، الشباب لم يتمكنوا من تذكره، لكنها تذكرت ذاك البيت بصورة مُمتازة، ولم يستطع أحد أن يُغير رأيها، بأن في مكانه قد شيدوا الآن مبنى مُعاصرًا - هذا مُخيف وبشع بصورة كاملة بالمُقارنة مع بيتهم اللطيف.

ديما، ما إن استطاع جمع المبلغ الضروري للأموال، اشترى لوالديه شقة ذات غرفتين، ليست بالكبيرة، لكنها مُريحة في الحي الذي اختاروه، وبقي هو في الشقة القديمة ذات الغرفة الواحدة، فقط أجرى فيها ترميمًا تجميليًا. أندريه، ولأنه لم تكن لديه مشاكل في السكن، أنفق أمواله على أشياء أقلّ عملية، لكنها تحسن وضعه الاجتماعي - سيارات، وساعات، وبدلات.

- أنا وجه الشركة ويجب أن أظهر بصورة مُثيرة للإعجاب، - أشار هو، مُظهرًا لابن خالته ملبسًا جديدًا، ربطة عنق ما من شركة فيرساتشي.

- حسنًا، حسنًا، هيا، اظهر - ضحك ديما. هو نفسه رغب وكان المؤسس الثاني ومالك مُشترك ذو حقوق كاملة للشركة، يعني وجه الشركة، مثل ابن خالته، لكنه بكل حال من الأحوال فضّل ارتداء الجينز، والأحذية الرياضية والسترة وفي المكتب أيضًا ارتدى بهذا الشكل، إذا لم يكن هناك مخطط للقاءات ما مُهمة للغاية. على أي حال، في الآونة الأخيرة توجّب عليه ارتداء البدلة بشكل دائم، ما دامت اللقاءات المُهمة أصبحت أكبر وأكبر. وذات يوم حدث الشيء، الذي لم يتمناه ابنا الخالتين إطلاقًا. أعلموهما بوجود ضيف، الذي فضل أن ينسيا وجوده إلى الأبد.

- أندريه نيكالافيتش! - نظرت في مكتب كوليكوف سكرتيرة طويلة الأرجل ومشوقة. لم يستطع أندريه أن يكبح ضعفه هذا وفُضِّل أن يُحيط نفسه بمخلوقات مُشابهة. ليس مثل ذاك الشخص المُضجر الدائم ديمكا، ضمن مساعداته مشّت امرأة عابسة غير مُتبرجة وبلا عمر مُحدّد، في الحقيقة، تتميّز بالقدرة على العمل الرائع وتنفّذ رائع للعمل بصورة لا تقل أهمية. - أتى زائر إليكم... يقول، إنه أتى بعمل مُهم وبأنه صديق قديم... السيد... إ-إ-إ... رازدوبودكو.

توتر أندريه، لاحَظ ذكرى مُزعجة وبغيضة للغاية في رأسه. غير أنها لم تكتسب بعد أشكالاً واضحة، ما إن ظهر عند العتبة «الصديق القديم».

أرنولد بيتروفيتش - الشخص ذاته!

أندريه، كما يُسمّى في الجهاز الآلي، رفع سماعة الهاتف المُباشر لسالاب:

- ديمكا... هذا... حسناً... عرّج! - توقف هوّ.

- أندريه! كم صيف، وكم شتاء لم نرك... - بدأ السيد رازدوبودكو حديثه بحماس.

في هذا الوقت دلف ديمكا الأشعث إلى المكتب. لم ترق له في الدعوة القصيرة لابن خالته مسحة الذهول ولا حتّى الاضطراب.

- وها هوّ ذا السيد سالاب! سعيد للغاية أن أراكما، يا شباب! - جلس أرنولد بوقاحة على الكرسي عند مكتب أندريه - ارتفعت بصورة

جَيِّدَة، بَلْ حَتَّى جَدًّا جَدًّا. سَمِعْتُ، سَمِعْتُ... - وَمَضَ بِحَدَّةٍ زَجَاجَ
نَظَارَتِهِ، حَتَّى بَدَتْ بَصُورَةٌ مَا مَصْقُولَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا ذَاكَ اللَّمَعَانِ لِحَدَّةِ
السَّكِينِ الْبَغِيضِ، الَّذِي كَانَ يُخِيفُ ابْنِي الْخَالَتَيْنِ هَكَذَا كَمَا كَانَ فِي غَابِرِ
الزَّمَانِ.

- مَاذَا تَرِيدُ؟! - بِحَدَّةٍ سَأَلَ أُنْدَرِيهَ.

- آو! هَا هُوَ ذَا مَا يَخْصُ الْعَمَلُ! فِي الْحَالِ وَاجِهْتَ الْمُشْكِلَةَ مِنْ
أَسَاسِهَا. يَبْدُو أَنَّكُمْ أَنَاسٌ عَمَلِيُونَ حَقِيقِيُونَ. أَنَا أَدْرَكْتُ حَيْثُنْذَ، بِأَنْكُمْ
شَبَابٌ ذَوُو آفَاقٍ مَلْمُوسَةٌ بِحَتَّةٍ، بِمَقْدَرَةٍ كَبِيرَةٍ. لِلْأَسَفِ، قَبِيلُ ثَلَاثِ
سَنَوَاتٍ قَدْ تَوَقَّفَ تَعَاوُنُنَا. لَكِنْ هَذَا كَمَا يَبْدُو، كَانَ فَقَطْ لِحِظَةٍ عَمَلِيَةٍ...
- بِاخْتِصَارٍ! - قَاطِعُهُ دِيمَا، الَّذِي كَانَ لَا يَحِبُّ الْمَقْدِمَاتِ الطَوِيلَةَ
وَبَصُورَةٌ مُمْتَازَةٌ كَانَ يَتَذَكَّرُ الْفَارَقَ الدَّقِيقَ «لِلْحِظَةِ الْعَمَلِيَةِ» الْقَدِيمَةَ
تِلْكَ.

- بِاخْتِصَارٍ - غَيْرُ مُنْزَعَجٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، أَكْمَلَ أَرْنُولْدُ بِيْتْرُوفِيْتِشَ
حَدِيثَهُ - لَدَيَّْ لَكُمْ عَرْضٌ مُمْتَعٌ مِنْ أَشْخَاصٍ، رَفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَى السَّقْفِ -
جَدِيدِينَ وَمُحْتَرِمِينَ لِلْغَايَةِ. الَّذِينَ مِنْ الْأَفْضَلِ أَنْ لَا تَتَعَارَضُوا مَعَهُمْ.

هَزَّ رَأْسَهُ، كَمَا رَأَى بِأَمِّ عَيْنَيْهِ، إِلَى أَيِّ عَاقِبَةٍ حَزِينَةٍ يُمْكِنُ أَنْ يَقُودَ
الْجِدَالَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَشْخَاصِ الْجَدِيدِينَ وَالْمُحْتَرِمِينَ. وَيَا لِلْعَجَبِ! - مِنْ
جَدِيدٍ وَمَضَ لِمَعَانٍ فَوَلَّاذِ السَّلَاحِ فِي نَظَارَتِهِ لَوْ قَدْ قَصِيرٌ جَدًّا، وَتَرَأَى
لِابْنِي الْخَالَتَيْنِ، بِأَنْهُمَا سَمِعَا دَوِيًّا بَعِيدًا، لَكِنْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ تَبَادُلٌ لِإِطْلَاقِ
نِيرَانٍ عَنِيفٍ.

تبادلا النظرات.

- اسمع، أنت... رازدوبودكو - بدأ أندريه كلامه بصوت مُنخفض،
- يمكنك أن لا تستمر بالحديث عن أشخاصك المُحترمين وعن
عرضهم المُمتع. أنا اليوم، لا أبالي، وسأبلغ جميع حُراسنا وآمرهم
بإطلاق النار على شخص بلبق رازدوبودكو من دُون سابق انذار!

- يا شباب، سوف تندمون على هذا. افهموا، هذا... منذراً
بالعواقب. أنتما مُلزمان... - بدأ أرنولد حديثه بصوت شبح من فيلم
الرب.

- نحنُ لسنا مُلزمين بشيء لأحد! - نطق أندريه بوضوح - هذا
أنت المُلزم الذي يجب.. يجب أن تذهب من هنا.

- هذا عمل تجاري، يا شباب. نحنُ كنا أصدقاء...

- في العمل التجاري لا يوجد أصدقاء - أجاب أندريه بعنف - لا
أريد أن أراك مرةً أخرى.

حين غادر الضيف المُتطفل المكتب، متلألئةً نظارته بصورة ما
غامضة، تنفس كلاهما. بعد ذلك أخذ أندريه من البار قنينة كونيak، لم
يملاً الكؤوس، بل ملاً الأقداح، وشرب ابنا الخاليتين بصمت، من دُون
«مزة».

كل شيء كان مفهوماً ولا يحتاج إلى تعقيب: في هذا العالم يجب
أن تأخذ حذرك، من المُختلسين الجشعين والخطيرين، الذين يرغبون
بمُشاركة النجاح الغريب، الذي لم يبذلوا جهداً فيه. لكن في ذلك الوقت،

كما أدرك ديمًا فيما بعد، كان هناك جانب جيّد من تلك الحادثة البغيضة. زيارة أرنولد دلت بأن شركتهما قد اكتسبت الشهرة، ارتفعت حتّى ذلك المستوى، حين أصبحوا يلاحظونها. وهذا، مع ذلك، دافع للفخر.

لم يظهر أرنولد بيتروفيتش في مكتبهما مُطلقًا، لكنه كان يتصل لبضع مرات، لأمر ما فقط بأندريه، وبلا مواربة، كان يُلمح بحزم، بأن يجب عليهما أن يتقاسما.

- بأيّ سبب يتحتم عليّ أن أتقاسم معك؟ - اغتاظ أندريه - ومَن تكون أنت، لكي أدفع لك؟

- أنا - مصائبك، يا أندريوشا، - باستمالة أجاب أرنولد، - وأن تقاسم معي... معنا، - بنظرة ذات معنى صحح خطأه، - أنتَ يجب أن تدفع لأجل أمنك الشخصي. أنتَ نفسك تعرف أيّ زمن الآن: الناس يضطادهم القناصون، والسيارات تنفجر، والمكاتب تُحرق... ولهذا الأمر، لكي لا يحدث شيء معك من هذا القبيل ومع ابن خالتك الضعيف سالاب - ما هذا من لقب، أيضًا لقب ضعيف الإرادة؟ - أنتَ يجب أن تدفع لنا الحصّة. أنتمَا تحت مُراقبتنا، كما يُقال. تصرفوا بصُورة جيّدة، نحنُ سنراقب، لكي تعيشوا بهدوء، لكي، يعني، العمل التجاري الخاصّ بكما يزدهر. وهذا في فائدتنا أيضًا...

- لنذهب أنتَ! - أندريه رمى سماعة الهاتف وبدأ يتحرك بسرعة وبِعصبية في المكتب. كما يبدو في الحقيقة سيرغي، سائقه، لبضع مرات قال له، بأن أحدًا يتتبع سيارتهم من وقت لوقت - سيّارة ما بزجاج معتم على نحو متواصل يتابعونهم.

تحدّثَ أُنْدرِيه لَدِيْمَا عَن اتّصَالَاتٍ وَتَهْدِيْدَاتٍ أَرْنَوْلْد. مَعَ ذَلِكَ الْخَطَرُ يُهْدَدُ كِلِيْهُمَا. لَكِنْ ابْنُ الْخَالَةِ بَدَأَ هُنَا يَتَفَوَّهُ، حَسَبَ رَأْيِ أُنْدرِيه، بِأُمُورٍ سَخِيْفَةٍ.

- يَجِبُ أَنْ نَقْدِّمَ شَكْوَى بِسُرْعَةٍ فِي مَرْكَزِ الشَّرْطَةِ! - أَشَارَ دِيْمَا قَطْعِيًّا.

- أَيِّ شَرْطَةٍ؟ عَمِنْ تَتَحَدَّثُ أَنْتَ؟ لَقَدْ اشْتَرَوْا كُلَّ شَيْءٍ فِي الشَّرْطَةِ مِنْذُ زَمَنْ. يَجِبُ أَنْ نَتَوَجَّهَ إِلَى الْاَوْرِخَوْفْسْكِيَيْنِ^(٥٢) أَوْ إِلَى السُّوْلْتْسِيْفْسْكِيَيْنِ^(٥٣). هَؤُلَاءِ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسَاعِدُوا فِي حَلِّ الْوَضْعِ. وَيُمْكِنُ. هُمْ أَنْفُسُهُمْ أَوْرِخَوْفْسْكِيُونَ أَوْ سُولْتْسِيْفْسْكِيُونَ الَّذِينَ يَرِيدُونَا أَنْ نَدْفَعَ لَهُمْ؟ كَيْفَ سَنُخَمِّنُ هُنَا؟

- لَكِنْ كَمَا يَبْدُو، أَجْهَزةُ الْأَمْنِ تَحَارِبُ بِطَرِيقَةٍ مَا الْجَرِيْمَةُ الْمُنْظَمَةُ - عَانِدَ دِيْمَا. - انْظُرْ، أَيِّ تَقَارِيرٍ يَعْضُونَ فِي التِّلْفَازِ...

لَمْ يَسْمَعْ أُنْدرِيه حَتَّى، فَقَطْ لَوْحَ بِيْدِهِ. وَبَدَأَ بِالْعَمَلِ بِنَفْسِهِ، اتَّخَذَ جَمِيعَ الْخَطَوَاتِ الْمُمْكِنَةِ، عَزَزَ حِرَاسَةَ الشَّرْكَةِ، وَجَدَ، مُسْتَغْلًا بَعْدَ عِلَاقَاتِ وَالِدِهِ، الْأَشْخَاصَ الضَّرُورِيِّينَ وَاتَّفَقَ مَعَهُمْ بِشَأْنِ التَّعَاوُنِ. بَعْدَ ذَلِكَ تَوَقَّفَتْ اتّصَالَاتُ أَرْنَوْلْدِ فَجْأَةً. لَكِنْ بَقِيَ الشُّعُورُ غَيْرَ السَّارِ.

حَصَلَ مَرْكَزُهُمَا التَّعْلِيْمِي لِبَضْعَةِ أَعْوَامٍ بِثَبَاتٍ وَبَثْقَةٍ عَلَى مَوْقِعٍ

(٥٢) عَصَابَةُ الْاَوْرِخَوْفْسْكِيَيْنِ لِلْجَرِيْمَةِ الْمُنْظَمَةِ ظَهَرَتْ فِي مَتَنَصِفِ الثَّمَانِيَّاتِ فِي مَدِيْنَةِ اَوْرِخَوْفُو - بَارِيْسُوْفُو. (المُتَرْجِم).

(٥٣) عَصَابَةُ سُولْتْسِيْفْسْكِيَيْنِ لِلْجَرِيْمَةِ الْمُنْظَمَةِ ظَهَرَتْ فِي مَطْلَعِ التَّسْعِيْنِيَّاتِ فِي بِلْدَةِ سُولْتْسِيْفُو. (المُتَرْجِم).

ضمن أفضل خمس دورات لتعليم الكمبيوتر في موسكو. بعد ذلك هبطت شهرته لأسباب عديدة في الحال. أولاً، ظهر الكثير جداً من المنافسين، في جميع أحياء موسكو، وثانياً، وهذا كان، ربّما، السبب الأساسي، لم تكن الدورات ذات ضرورة كبيرة في حملة محو أمية الكمبيوترات. بعد عشرة أعوام سيتحوّل الحاسوب الشخصي من حاجة مُلغته للنظر، مُعجزة لم تكن موجودة ومُدْهشة للتقنية إلى آلة عملية عادية، مُعتادة، مثل جهاز التلفاز أو غسالة الملابس. في الحقيقة، كانت معرفة استخدام الكمبيوتر أكثر تعقيداً، لكن الناس لم يتعلموا استخدامه في الدورات التخصصية، بل تعلموه في الحال في مكان العمل، وفي مقاهي الكمبيوترات أو في البيت. عدد مالكي الحاسوب الشخصي كان يتزايد من عام إلى عام في المتوالية الهندسية. لذا الانخفاض التدريجي على الإقبال الشديد حول مركزهما التعليمي لم يُحزن ابني الخالتين كثيراً. لأن، إلى هذا الوقت، كما قال ديما مازحاً، دكانهما في الطابق الأول لجناح العمل زاموسكفوريثشيا قد تحوّل إلى مجموعة كاملة للمتاجر المُتخصصة بالكمبيوترات، ولأن شركة «ام كا اي» منذ مُدّة طويلة أقبلت على استيعاب ذلك المجال، الذي لأجله، في الحقيقة، تم تأسيسها، - الإنترنت.

رغم انشغال دميتري في التجارة والمركز التعليمي، لكنه لم ينسَ لدقيقة موهبته، كان يقرأ باستمرار الكتب المُتخصصة، والمجلات العلمية، وكان مُطلعاً على الدوام على المُنجزات الحديثة في المجال المُهتم هو به. كان مكتب شركتهما، ربّما، واحداً من الأوائل في

موسكو، حيث ظهر فيه الإنترنت. وقتئذ كان الاتصال بالشبكة العالمية في روسيا يتحقق فقط عبر مودم الهاتف، لذا كان واحد من خطوط الشركة مشغولاً باستمرار - كان ديمّا يستعمله. وما أن انتظم العمل في المركز التعليمي وعاد إلى نشاطه المعتاد، حوّل دميتري اهتمامه إلى المشروع الجديد. أفنّع ابن خالته بأن «ام كا اي» يجب أن تكون الأولى، على أعلى تقدير الشركة الروسية الثانية المزودة لخدمات الإنترنت، من دون صعوبة تُذكر. بالطبع، هذا تطلب أموالاً كبيرة - وأجهزة للحاسوب المركزي، ومكان، وتجهيز المعدات، وموظفين، والإعلان وهلم جرا. لكن، كما أدرك أندريوخا، إن عملاً كهذا يستحق الجهد.

حين أصبح كل شيء جاهزاً، حسب التقليد الموضوع للعادة، احتفل ابنا الخالتين بإطلاق المشروع الجديد في المطعم المحبوب في شارع ستاري اربات^(٥٤).

- في صحتك، يا أندريوشكا! - قال ديمّا، رافعاً الكأس. - أحسنت. أنا فرح للغاية، فرغم ذلك قررت أن أصبح شريكك. أنت عبقرى حقيقي لروح المبادرة.

- طبعاً! - باعتداد النفس أجاب ابن الخالة الأصغر سنّاً، الذي في أعماق الروح كان مُمتناً للغاية، لكنه من كل قواه حاول أن لا يظهر هذا - انتفع، ما دمت أنا على قيد الحياة. أنت، يا ديمون، مُحقّ بنسبة مائة في المائة. ماذا كنت ستفعل من دوني؟ أفكارك - شيء، طبعاً،

(٥٤) ستاري اربات - شارع اربات القديم في موسكو. (المُترجم).

جيد... بصراحة مُمكن القول، شيء مُمتاز، ندرة كبيرة. لكنها تجلب
النفع، فقط إذا بيعت بمهارة. وَمِنْ دُونِي أَنْتَ لَنْ تبيعها - لا يوجد لديك
مواهب كهذه.

- هذا - صحيح، - لم يجادل ديما- ها، أنحتسي الخمر؟

* * * *

الفصل السادس

الحُبّ القديم لا يصدأ

أعمال الشركة، الآن ازدادت كثيرًا، سارت الأمور بانتظام على أفضل وجه. إلى النصف الثاني وخاصة إلى نهاية سنوات التسعينيات كانوا قد وضعوا الكومبيوترات في جميع مكاتب العاصمة، أحيانًا حتى وضعوا حاسوبًا شخصيًا لكل موظف، والكثير من الأجهزة موصلة بالإنترنت. وكل سُكان موسكو أدركوا، بأن وجود الإنترنت في البيت مُريح للغاية. نال مزود شبكة الإنترنت «mki.ru» شهرة كبيرة، ما دام أنه يمتلك مجموعة مزايا زهيدة، لكنها لطيفة. بفضل ديما، الذي كان مواكبًا باستمرار للحدثة العالمية في مجاله، تحديدًا كانت «ام كا اي» الأولى أو في أسوأ الحالات واحدة من الأوائل التي تُقدّم لزبائنهم عروضًا مُتنوعة، كما قال أندريه، مكافآت إضافية - كهذه، مثل «محدثات الإنترنت»، يعني التشات (الدردشة)، صفحة إعلانات عن البيع ووظائف شاغرة أو شبكة محلية، التي بفضلها تمكن المُستخدمون من تبادل مقاطع موسيقية

في ما بينهم، وأفلام، وألعاب وملفات أخرى. من الطبيعي، أن كل هذا لم يظهر اعتباطاً، بل أنشئ بفضل العمل، أحياناً عمل طويل جداً وليس بالسهل، قسم كامل لمُبتكري الضمان البرامجي، المديرون والعقل المُدبر للعمل الذي كان دميتري سلاب. بعد صدور الابتداع المُتتالي سارع المُنافسون (لديما وأندريه في ذلك الوقت لم يكن عددهم قليلاً) للإفادة من تجربة «ام كا اي»، لكن هذا لم يقلق ابني الخاليتين كثيراً. هُما بكل حال من الأحوال أصبحا الأوائل - ويعني هذا، أنهم الأفضل.

ذات يوم في مكتب ديما، كالمُعتاد، الذي كان يعمل على حل المسألة الشبّقة المُتوالية، رنَّ الهاتف الداخلي.

- دميتري بارييسافيتش - دوى في سماعة الهاتف صوت السكرتيرة،
- يطلبونكم هنا بعمل شخصي، السيدة دينا بيتّ.
- من هذه بيت؟ - ديما كان مُتذمراً للغاية، بأن قاطعوه عن العمل.
- أنا لا أعرف أيّ شخص باسم بيتّ. تمهلي! كيف، أنتِ قلتِ،
يدعونها؟ الاسم؟

- دينا. السيدة دينا بيتّ.

- آ، دينا!.. - وثبَّ قلبه فجأة وبدأ يرق بسرعة - بسرعة.

- هل أوصلها؟

- طبعاً!

جلسوا مرّة أخرى في «ناتسيونال»، لكن خلف طاولة أخرى. دينا بابتسامة حزينة نظرت إلى النافذة وتحدّثت عن التغيير الذي طرأ على

موسكو كثيرًا خلال السنوات العشر الأخيرة. تطلع ابنا الخاليتين إلى دينا وفكرا بشأن التغيرات، التي حدثت مع صديقة طفولتهما.

ليس لأنها ظهرت غير أنيقة، كلا، على العكس تمامًا، كأنها بوضوح للتو قد خرجت من صالون التجميل - التسريحة، وتصفيف الشعر، والمكياج وضع بلا عيب، كما يمكن أن يفعله مُجَمِّل الوجوه المُحترف فحسب. ارتدت دينا أيضًا بشكل مُمتاز، والحاجيات والإكسسوارات من ماركات تجارية جيدة، فضلًا عن أنها من آخر المُتتجات. لكن لم يكن مُهمًّا للغاية أن تظهر بكل هذا امرأة شابة. هي أصبحت مُدبِّبة الوجه، وملامح الوجه تخشنت بطريقة ما، وحول الأعين انتشرت زُرقة، وَحَتَّى تلويح البشرة المُتسق لم يُخفِ شحوب الوجه.

على أي حال، لم يدهشهما مظهرها. ما إن دخلوا إلى المطعم، أخبرت دينا، بأنها تحمل أخبارًا غير مُفرحة كليًا بشأن حياتها الشخصية. اتضح، بأن دينا تطلعت من زوجها الأميركي الثري، الذي، حسب كلامها، ظهر أنه أحمق حقيقي.

- تصوروا، - روث هي لابني الخاليتين بصوت مستاء، الذي لم تظهر فيه اللكنة الأميركية، - أنا كما يبدو أصغر منه بثمانى عشرة سنة كاملة! لكن بالنسبة له، الرجل الشهواني كبير السنّ، لم يكفه هذا! لسنة ونصف هو حَتَّى لم ينظر إليّ، لم يقل شيئًا آخر ما! منذ مُدّة وجيزة تخطى سنّ الخامسة والأربعين، وكأنه قد جُن جنونه - خف عقله كليًا. الأزمة، كما ترون، العمر المتوسط. يتسكع مع فتيات ما صغيرات السنّ، اللواتي يتطابقن بعمر بنته، بل حَتَّى في عمر حفيداته!

- وماذا عنكِ؟ - سأل أندريه.

- أنا؟ في بداية الأمر لزمْتُ الصمت. حسنًا، أنا لست حمقاء، فهمت، بأن لحِساب انتصارات غرامية كهذه هُوَ ببساطة يُحاول أن يصبح واثقًا مِن نفسه وقدراته. أن يُبرهن لكل مِن حوله، بأنه يستطيع أن يفعل شيئًا ما، في الحياة، وفي الفراش. كأنه لم ير أن قوته قد خارت، وانتهى. هذا العمل التجاري الكبير اللعين، أنتم تعرفون، كيف يُنهك... أخذت نفسًا وأكملت:

- لكن كما يبدو وأنا لم أجد نفسي في حُفرة النفايات! كم كان عليّ أن أتحمل؟ تحدّثت معه بطريقة ما بصراحة، بينما هُوَ يُشير: «لا يعجبكِ - لنفصل!» وأنا هُنا، أعترف، لم أحسن التصرف. وافقتُ، فكرتُ لأمر ما، بعد الطلاق هُوَ سيُبقِي لي شيئًا ما، مع ذلك كم عام عشنا، ولدينا بنت...

- لكن، لدرجة ما أنا أعرف القوانين الأميركية، هُوَ كان يجب أن يضمن لكِ، وللطفلة أيضًا، - أو ما ديمكا برأسه. لكن دينا قطعتُ الأمل:

- أيُّ شيء هُناك! لديهم، كما لدينا، مُقابل الأموال كل الأمور مُمكن أن تُحل. هُوَ وكُل مُحامين، وقاضاني - وفي النتيجة أنا لم أُنل شيئًا، بوجه عام لم أملك مالا! أنا كما يبدو هُناك غريبة، ولم أُلحق بالحصول على الجنسية الأميركية...

- تمهلي - تمهلي! - قاطعها أندريه - فيما يخصك كل شيء

واضح، أنتِ لم تحصلي على الجنسية. لكن ابنتك! هي كما يبدو ولدت في الولايات؟ يعني، هي بالضبط يجب أن تصبح مواطنة أميركية.

- نعم، وفي ذلك المصيبة كلها! - تأوهت دينا بمرارة. - جانكا، للنكايه، لم تُولد هناك، بل هنا! وأمر ليس بالسهل حملني على العودة في الشهر السابع من الحمل إلى الوطن! اعتقدت أن الوقت لا يزال بعيداً حتّى موعد الولادة، فالحق بزيارة الأقارب... لديّ مع توني كل شيء هناك متوافر - أفضل مستشفى للولادة، والأطباء وكل شيء من هذا القبيل. جئتُ - وحدث ما لم يكن في الحسبان! وهذه الوقحة ولدت قبيل وقتها. وبهذا الشكل كُتب في وثائق جانكا مكان الولادة ضواحي موسكو بدلاً من لوس أنجلوس، حي نوغينسكي، مدينة بوكين، هناك تعيش خالتي مع عائلتها... بينما توني، هذا الأحمق، أقنع القضاة، بأن الطفل ليس له، جاء بوثائق ما...

- لكن... إذا كان الأمر كذلك - فأنتِ في الحقيقة غير محظوظة كلياً - تعاطف أندريه.

- وهذا ما أقوله! توجب عليّ أن أعود إلى بلدي بأيدي فارغة... هكذا صفعني الحياة - بما لا يتمناه لي حتّى العدو! - زمّت أنفها وأشاحت بوجهها نحو النافذة.

- دينا، نحْنُ حاولنا أن نعيد لك الدين عبر ناديجدا بيتروفنا، - ذكر دميتري - هل أعطتك العشرة آلاف؟

- نعم، وقتئذٍ قد أعطتني، في الحال... لكن حينئذٍ، هذه الأموال بالنسبة لي لم تكن شيئاً، مثل، قطرة في بحر.

- إذن دعينا الآن نعطك النقود، - تحدّث أندريه - أنتِ انتشلتنا، حين كنا في موقف صعب، الآن حان دورنا.

- شكراً، يا شباب، أنا أعلم، بأنكما لن تتركانني! - بصورة مُتأثرة قالت دينا. جففت عينيها بحذر بالمنديل وَشرعتُ في شرب المشروب الساخن، الذي طلبوه لها.

- كم تحتاجين؟ - سأل أندريه باهتمام.

- كم تعطون؟. أنا الآن لستُ بحال يدعو للنزوات، أبدو في موقف كهذا، بأنني سأكون فرحة بأيِّ مُساعدة. وحيدة مع طفل، أم مُتقدمة بالسنّ، لا أحد يستطيع أن يُساعدني... لتكن تلك العشرة آلاف دولار التي أعطيتُموني إياها - سأكون فرحة بذلك... على أي حال، ما الأموال؟ الأموال - شيء تافه، صداقتنا أغلى من أي أموال...

- اسمعي، يا دينا، لنوظفك معنا في الشركة؟ - اقترح ديمّا، الذي تذكر جيّداً حكمة قديمة: «إذا أردت أن تُطعم الجائع - فأعطه سمكة. وإذا أردت أن تفعل ذلك، لكي لا يجوع إلى الأبد، فأعطه شبكة صيد سمك».

- سيكون من الجيّد، لكنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً... - ارتبكت دينا.

- تعلمي، - بثقة قال دميتري. - أنتِ ذكية، وموهوبة. ستكونين لدينا... بوظيفة مُدير الموارد البشرية.

في الحقيقة، كما، بالطبع، فهم القارئ منذ مُدة طويلة، قصّة دينا

لم تمتلك شيئاً عاماً مع الحقيقة. كل شيء حدث بشكل آخر وأكثر دراماتيكيًا. بعد عام على لقاء ابني الخاليتين، حين أقرضتهما دينا المال، انحدرت حياتها الفارحة الميسورة الحال لهذه الدرجة بصورة غير متوقعة. ظهر في بوكين شخص مؤثر جديد، الذي عزّم على الاستيلاء على المدينة ولم ينو أن يتخلى عن هدفه تحت تأثير أي ظروف. بدأ بإعادة تقسيم الملكية، وحسم النزاع بين الكوستيليفسكيين ومجموعة الغرباء. وفي النهاية قُتل زوج دينا ببندقية قنّاص في تلك اللحظة، حين خرج مُحاطًا برجال حمايته و«من ينفذ أوامره» في وقت مُتأخر من الكازينو. بعد موت توليك تفرق البلطجية، بينما دينا المرعوبة حتّى الموت، التي هددها الغرباء أيضًا، سيمسكون بها أولاً، ما أن تقع تحت أيديهم، دفعتْ جانكا ذات العامين إلى داخل السيّارة وانطلقت بسرعة من بوكين. في بداية الأمر وصلتْ إلى موسكو، إلى أمها، لكن بعد ذلك قررت، بأن بقاءها هناك غير آمن، وتوارت عن الأنظار في مسقط رأس أمها في قرية ومكثتْ هناك بضع سنين مع ابنتها كحملين وديعين، خافتْ من كل شيء، بأن يعثروا عليها. لكن الوقت قد مر، ولم يأت أحد بحثًا عنها. شيئًا فشيئًا تشجّعتْ دينا، بحثت واكتشفت وعرفت، بأن السلطة في بوكين منذ مُدّة طويلة «قد تغيّرت»، والنفوذ السابق، للعصابة التي أجهزتْ على توليك قد تلاشى، ورجاله، أيضًا سرعان ما قُتلوا. أدركت أنه لا يتحتم عليها الخوف من أي شيء، قررت دينا الخروج إلى العلن، وأن تعود إلى موسكو، وفكرتْ مليًا، ماذا عليها أن تفعل في الأيام المُقبلة. تأسفتْ الآن، لأنها لم تحزر مُسبقًا بإظهار

الحرص وَأَنْ تَضمَنَ بِطريقة ما مُستقبلها في تلك اللحظة، حين كانت تمتلك لبن العصفور! لكن بدا وقتئذ، بأن هذا الوضع سيبقى إلى الأبد، تنعمت دينا كلياً في حياتها وَحَتَّى لم تفكر بيوم غد. وَالآن بقي لديها مِنَ البَذخ السابق فقط بضعة ملابس غير مواكبة للموضة وَسَيَّارة أجنبية مُحطمة، في وقت ما كانت فارهة، لكنها الآن احتضرت - الصقيع الروسي والطرق الريفية بدت بالنسبة لها صدمة ثقيلة. «ليتني حررتُ أَنْ آخذ الحُلي، أيتها المُغفلة! - دينا شتمت نفسها. - كم مِنَ الحُلي كانت لدي! الآن لا أستطيع أَنْ أتذكر دُون دموع!» لكن في لحظة الهرب لم تتذكر الخزانة الحديدية المليئة بالمجوهرات (لا يحفظ توليك الأموال في البيت)، فكرت فحسب، بأن تفلح بإنقاذ حياتها وَجانكا...

الآن، حين بات كل شيء في الماضي، كان مِنَ الضروري أَنْ تجد لنفسها ملجأ هادئاً، وَيُفضَّل ألا يقع في مرفأ ناءٍ ما هُناك حيث تدور فيه الرياح، بل في ميناء مُريح، حيث ترسو سفن ركاب فارهة وَيخوت ناصعة البياض. وَهذا يعني، بأن يتعين عليها أَنْ تبحث عن رجل، الذي يؤمن كل هذا. لِحُسن الحظ، كان لدى دينا مُرشحان لمنصب الحامي لها، في الحال اثنان. وَالَّذين، الذي أعاداه لها عبر أمها، ظهر في وقته المُناسب. طبعاً، طوال هذا الوقت قَلَّ التضخم المالي القيمة الحقيقية لیس فقط لعملة الروبل، بل الدولار أيضاً، غير أنه بكل حال مِنَ الأحوال العشرة آلاف بقيت أموالاً لا بأس بها، لم تكف لشقة مُنفردة، طبعاً، وَجب أَنْ تسكن مع أمها (لِحُسن الحظ، أَنْ خطر ببال دينا أَنْ تقنع توليك بشراء شقة جيّدة بثلاث غُرف لأمها في حي ساكولنيكي!). في المُقابل تمكنتُ

دينا أن نتصرف بانتظام وارتدت ملابس على نحو مناسب. في ذلك الشكل كان من الممكن أن تذر الرماد في أعين ابني الخاليتين بزوجها الأميركي الخائن. لكي تبدو القصة حقيقية أكثر، حصلت دينا حتى على جواز جديد، وغيّرت لقبها كوستيليفا إلى لقب مُستعار لمُمثل هوليوود، الوسيم بريد بيت. اتضح، أن فعل هذا ليس بالأمر المُعقّد. كان تغيير اللقب في وقت سابق حكاية كاملة، بينما الآن أصبح أسهل بكثير. حتى لم يتوجّب عليها أن تجمع الوثائق، فقط أن تنتظر قليلاً.

كل شيء حدث على أفضل وجه، مما تخيلت دينا حتى. استقبلها أصدقاء الطفولة بترحاب وحفاوة، أعطوها النقود، ووظفوها في شركتهما في وظيفة جديدة بالاعتبار. إلى ذلك الوقت، هذا كان عام ١٩٩٨، شركة «ام كا اي» توسعت لدرجة كبيرة، اعتلت مواقع الصدارة في السوق على نحو متين، وظيفتها كمديرة للموارد البشرية كان أمراً رائعاً للغاية ولا يوجب عليها تقريباً عمل شيء، جميع مسائل العمل، من الصغيرة، بمثابة البحث واستقبال عمل المُختصين الجدد، حتى المسائل الكبيرة، مثل تنظيم أنظمة التدريب الباهظة الثمن للموظفين، أنجزها التابعون لها. «الفتيات»، كما أسمت دينا جميع موظفات الشركة، تدبرن كل شيء بصورة مُمتازة، لأنهن أبقين فقط الأعمال المُهمّة للغاية من نصيب مُدير الموارد البشرية، التي لا يجوز أن توكل لأحد، - على سبيل المثال، مُرافقة مالكي الشركة في حفل استقبال فاخر ما.

عَلَى هذا النحو، نفذت دينا برنامج - الحد الأدنى^(٥٥)، حَتَّى إنها أنجزته بتفوّق. كان الوقت قد حان للانتقال إلى برنامج - الحد الأعلى^(٥٦) وتكوّن مصيرها كلياً، أن تكون زوجة واحد من ابني الخاليتين. أيُّ واحد منهما بالضبط؟ لم تستعجل دينا في حل هذه المسألة، كانت عَلَى نحو مُمائل لطيفة وفاتنة مع كليهما، مُنتظرةً بصبر، أن أحدهما يفعل بنفسه الخطوة الأولى. ربّما، ترغب أكثر، أن يكون هذا أُنديره.

إلى سنّ الثامنة والعشرين، لم تستطع أن تنساه إلى هذا الوقت، كان أكثر مُتعةً، طالما تحوّل من صبي مازح وسيم، تعود عَلَى تبذير أموال والديه وبسهولة كهذه كان يُحقق الانتصارات عَلَى الفتيات، «بتحاملات» غير مُفرطة مُثقلة بالأعباء، إلى الرجل البالغ الوسيم، الذي يتطابق مظهره وأسلوبه كلياً مع الوضع الاجتماعي لمالك الشركة الناجحة. مثله لا يقتحم مطعمًا فاخرًا في ملابس التدريب «ذات شريط سروال كشارة رتبة عسكرية»، كما كان يفعل زوج دينا المرحوم توليك، ولم يضع حول رقبته سلسلة ذهبية بعرض أصبع. وإذا كان لا يروق له شيء ما في خدمة الفندق الأجنبي، هُو لن يصرخ وَلن يشتم، بل بهدوء وبلفظ يُفسّر للعاملين بلغة إنكليزية جيّدة.

قصارى القول، من وجهة نظر دينا، أُنديره بصورة مثالية مُناسب لدور أن يكون زوجها. غير أن المصيبة، كانت في أن أُنديره ذاته،

(٥٥) برنامج - الحد الأدنى - الأهداف، التي يعتبر المرء نفسه مُلزما بتنفيذها قبيل كل شيء، بالتأكيد، مهما كلف الأمر. (المُترجم).

(٥٦) برنامج - الحد الأعلى - أهداف منفصلة التي يحلم المرء بتحقيقها. (المُترجم).

للأسف، لا يطمح إلى هذا إطلاقاً. حياته الشخصية كالمُعتاد كانت عارمة ويشوبها الهرج والمرج، أقام علاقات غرامية غير ملزمة بشيء مع العديد من الفتيات في آن واحد، ببساطة التقى معهن، ومن دون مشاكل تفرقوا، ولا واحدة منهن استولت على قدره، لا يوجد في روحه مكان بالغ الشأن ولو قليلاً. بوجه عام لم يكن أندريوشكا يعتزم إقامة علاقات طويلة وجدية مع أحد ما، ولم يتحدث بشأن تكوين عائلة. بطريقة ما في أثناء الجلسات الودية أفلحت دينا أن تجرّه إلى حديث مازح نوعاً ما حول خططه المستقبلية، أشار أندريه إلى أنه ينوي الزواج في حوالي سنّ الأربعين، ليس قبيل هذا، من الطبيعي، أن تكون فتاة جميلة شابة باهرة، وهذا شرط لا بدّ منه، من عائلة جيّدة، بتعليم مُمتاز، والأفضل من الخارج، وتعرف بضع لغات بطلاقة، وما شابه ذلك. سمعته دينا وضحكت عليه، لكنها ذهنيّاً تأوّهت بمرارة. فوضعها الحقيقي كما فكرت هي حمالة حقائب، وابنة عاملة وافدة وأرملة «الفتى الواقعي» توليك، لا تمتلك شيئاً تُعوّل عليه.

وجب أن تحوّل اهتمامها صوب ديما، الذي بدا كل شيء معه أبسط بكثير. يجب القول، إن الحياة الشخصية لدميتري سالاب تكوّنت بشكل مُغاير تماماً، مقارنةً بآبن خالته، في الأمر الرئيس، لأن آبنى الخاليتين يتعاملان مع النساء بشكل مُختلف للغاية. لم يكن ديما رومانسيّاً بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة، بأن يقف تحت ضوء القمر ويحلّم بسيدة رائعة، الذي يقوم بعمل بطولي نهاراً، وفي الليل يُغني تحت شرفتها لحن

السريناد^(٥٧)، لم يكن بالنسبة له هذا الشيء من عادته. عَلَى الأغلب كانت النساء بالنسبة له شيئاً ما بمثابة مخلوقات من كوكب آخر - غامضات، غير مفهومات كلياً، اللواتي يتطلبن مُخاطبة حذرة (والحذر واجب!)، لكن في الوقت نفسه لطيفات للغاية. لعبت التربية العائلية، وهذا طبيعي، دوراً كبيراً في الآراء المُماثلة - الأب منذ الطفولة لَقَنَ ديمكا الصغير، بأنهما رجال، بينما أمه - امرأة، بخلق رفيع التهذيب ورقيق الشعور، الذي يجب أن يدافعا عنها، وأن يعتنيا بها ويحيطاها بالاهتمام. وعندما كبر ديمكا، أصبحت العلاقة هذه تجاه الجنس الضعيف سجيته الثانية. ينهض، عندما تدخل امرأة إلى الغرفة، أيّاً كانت، ولتكن المُنظفة، يمسك الباب، سامحاً للسيدة أن تمر أولاً، يُساعد امرأة عَلَى النزول من وسيلة النقل، يناولها المعطف، وهلم جرا، ليس لأنه كان يُريد أن يحدث انطباعاً، بل ببساطة غير مُدرك، كيف يمكن أن يكون بشكل آخر. ومن الطبيعي، أن يروق هذا للجنس اللطيف. حين خرج ديمكا من سنّ ارتباك الشباب والخجل، اكتشف بدهشة، أن الكثير من الفتيات يتطلعن إليه باهتمام وبصُورة واضحة ويوافقن عَلَى التعرّف عليه عن كُتب. بالنسبة لديمكا هذا، طبعاً، كان يروق له، لكنه لم يتعلم عَلَى هذا النحو أن يُبادر بالحديث مع السيدات - كان يخشى الرفض. «فجأة بدا لي فحسب، بأنها تهتم بي، - اعتقد هو - فجأة أنا قابلتُ هذا التعاطف أولاً عن آخر بغُنج بريء، الطبيعي بالنسبة لامرأة جميلة شابة؟» تطلعتُ، قررتُ - نعم، عَلَى الأرجح، هذا ما موجود - ولم أخطُ الخطوة الأولى.

(٥٧) السريناد: لحن يُعزف أو يُغنى ليلاً تحت نافذة المحبوبة. (المُترجم).

عَلَى أَيِّ حَالٍ، الْفَتَيَاتُ الْمُعَاَصِرَاتُ بِصُورَةٍ مُمْتَازَةٍ يَعْرِفْنَ الْحِكْمَةَ بِشَأْنِ الْجَبَلِ وَمَاخَمِيدٍ^(٥٨) وَلَا يَنْتَظِرْنَ عَطْفَ الطَّبِيعَةِ. ذَاتَ يَوْمٍ التَقْتُ فَتَاةً مَا دِيمَا فِي طَرِيقِهِ. الْفَتَاةُ اسْمُهَا لُوبَا^(٥٩)، أَنْهَتْ التَّعْلِيمَ التَّرْبَوِيَّ، لَكِنْ سَرَعَانَ مَا أَدْرَكْتُ أَنَّ الْعَمَلَ فِي الْمَدْرَسَةِ - لَيْسَ مِنْ مَوْهِبَتِهَا، قَرَّرْتُ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ عَمَلٍ ذِي مَرْدُودٍ مَالِيٍّ جَيِّدٍ فِي شَرَكَةٍ وَسَجَّلْتُ فِي دَوْرَاتِ تَعْلِيمِ الْكُومْبِيُوتَرِ فِي الْمَرْكَزِ التَّعْلِيمِيِّ «إِم كَا إِي». الْمُحَاضِرُ الشَّابُّ اللَّطِيفُ دَمِيْتَرِي بَارِيْسَافِيْتِش (لَمْ تَعْرِفْ لُوبَا لَوْ قَدْ طَوَّلَ، بِأَنَّهُ أَيْضًا مَالِكُ الشَّرَكَةِ) رَاقٍ لَهَا مِنْ أَوَّلِ نَظَرَةٍ. مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ اخْتَارْتُ الْفَتَاةَ مَكَانًا فِي الصَّفِّ قَرِبَ الْمُحَاضِرِ، تَطَرَّحْتُ بِاسْتِمْرَارٍ عَلَيْهِ أَسْئَلَةً مَا، وَسَعَتْ جَاهِدَةً أَنْ تَبْقَى صَدْفَةً بَعْدَ الْمُحَاضِرَاتِ، لَكِي يَغَادِرَا مَعًا جَنَاحَ الْعَمَلِ. رَاقَتْ لَدِيمَا أَيْضًا، فَهِيَ حَادَّةُ الذَّهْنِ، وَمَرَحَةٌ وَتَلْمِيزَةٌ لَا تَخْلُو مِنَ الذِّكَااءِ لِلْغَايَةِ، خَاصَّةً أَنَّ لُوبَا ظَاهِرِيًّا تَنْتَمِي إِلَى نَفْسِ طَرَاذِ حَبِّهِ الْأَوَّلِ دِينَا، - طَوِيلَةُ الْقَامَةِ، وَمَمْشُوقَةُ الْقَوَامِ، وَفَتَاةُ شَقْرَاءٍ مَفْعَمَةٌ بِالصَّحَّةِ، كَمَا يُسَمَّوْنَهَا، فِي الْأَسْلُوبِ الرُّوسِيِّ. نَشَأَتْ الْعِلَاقَاتُ بِسُرْعَةٍ لِلْغَايَةِ، وَلَمْ يَنْدَهِشْ أَحَدٌ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ، بِأَنَّهُ فِي أَقَلِّ مِنْ عَامٍ بَعْدَ التَّعَارُفِ قَدَّمَ دَمِيْتَرِي وَلُوبَا أَوْرَاقَهُمَا فِي دَائِرَةِ الْأَحْوَالِ الْمَدْنِيَّةِ لِلزَّوْجِ. «بِالطَّبِيعِ، هَذَا كَلِيًّا فِي طَبْعِ دِيمُونٍ، - ضَحْكُ أَنْدَرِيهِ - هُوَ، كَشَخْصٍ مُسْتَقِيمٍ الْأَخْلَاقِ، يَجِبُ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْ أَوَّلِ فَتَاةٍ، الَّتِي يُمَارِسُ الْجِنْسَ مَعَهَا».

(٥٨) يُقَالُ إِنَّ الْحِكْمَةَ مِنَ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ عَنْ أَنَّ جُحَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ شَخْصًا مُقَدَّسًا فِي نَظَرِ النَّاسِ وَلَكِي يُثَبِّتْ لَهُمْ هَذَا قَال: «إِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ آتِي بِالْجَبَلِ إِلَيْكُمْ وَهُوَ يَسْمَعُنِي وَلَمَّا قَالَ جُحَا جَمَلَتَهُ لَمْ يَأْتِ الْجَبَلُ فَقَالَ لَهُمْ: «إِذَا لَمْ يَأْتِ الْجَبَلُ إِلَيَّ، فَأَنَا سَأَذْهَبُ إِلَيْهِ». (الْمُتَرَجِم).

(٥٩) لُوبَا - تَصْغِيرٌ وَتَحْيِيْبٌ اسْمُ لُوبُوفِ (الْحُبِّ). (الْمُتَرَجِم).

كان حفل الزواج بسيطاً - لا ديما، ولا لوبا سعيًا إلى إظهار الرفاهية المُلفتة للأنظار. سجّلا زواجهما، جلسا في مقهى مع مجموعة صغيرة للأقارب المُقربين والأصدقاء الجيدين، بعد ذلك سافرا لأسبوعين إلى اليونان. بكل المظاهر ومميزات الزواج عُدَّ أن يكون سعيدًا - ومع ذلك قد تفكك. بعد عام وثمانية أشهر من الحياة العائلية هجرت لوبا ديما، قائلةً في الوداع:

- اعذرني، أنا لا أستطيع أن أحتمل هذا أكثر. أنا لم أشعر أبدًا بنفسِي وحيدة لهذه الدرجة، كما في الزواج معك. يهملك فقط كومبيوترك اللعين هذا! إذا أنت لم تكن في المكتب، وتكون في البيت، فهذا لن يُغيّر شيئًا - أنا بكل حال من الأحوال لا أراك، بل أرى ظهرك. أنت تحديق في شاشة الكومبيوتر، ولا تنظر إليَّ حتَّى، ولا تتحدّث معي، ولا تذهب إلى أيِّ مكان... هذا لا يُطاق! كان يتحتم عليك أن تتزوَّج حاسوبك الشخصي، وليس أنا...

قاسى ديما الطلاق بصعوبة للغاية. عانى، طبعًا، دُون أن ينسب بينت شفة، ليس في سجيته أن يظهر انفعالات، لكن الأشخاص المُقربين، مثل، والديه وابن خالته، أدركوا، ما يحدث في داخله. يمكن أن يكون، لو أن ديما بذل جهدًا، وذهب للقاء لوبا وبدأ يولي اهتمامًا أكبر بزوجته، لكان قد نجح في الحفاظ على عائلته، على أي حال، لوقت مُعين. لكن دميتري لم يفعل هذا. موهبته كانت بالنسبة له أغلى شيء في الدنيا.

منذ ذلك الوقت لم تعد الحياة الشخصية لديما على ما كانت عليه. ليس لكونها لم تكن موجودة كليًا، على الرّغم من ذلك كان شخصًا حيًّا،

وَرَجُلًا شَابًا، وَلَيْسَ رُوبُوتًا، وَلَمْ يَكُنْ مُلَحَقًا حَيًّا بِالْحَاسُوبِ الشَّخْصِي،
لَكِنْ لَمْ يَحْدِثْ شَيْءٌ فِي مَصِيرِهِ، بَأَنْ اسْتَحَقَّ اهْتِمَامَ الْقَارِئِ. وَلَآئِنَّهُ، رَأَى
لِلوَهْلَةِ الْأُولَى دِينًا، الَّتِي لَا تَزَالُ جَمِيلَةً، وَمُبْهَرَةً وَأَنْيَقَةً، دِيمَا مِنْ جَدِيدٍ
اِقْتَنَعَ، بِأَنَّهُ إِلَى الْآنَ يَعِشُقُ جَارَةَ جَدَّتِهِ. نَجَحَ ظُهُورُ لُوبَا فِي الْأَفْقِ فَقَطَّ فِي
كَبِيحِ جَمَاحِ هَذِهِ الْفِكْرَةِ. وَفِي أَثْنَاءِ اللَّقَاءِ الثَّانِي، حِينَ مَثَلَتْ دِينَا أَمَامَهُ غَيْرِ
سَعِيدَةٍ فِي زَوَاجِهَا، وَامْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ تَعِيسَةٍ، وَمَنْكُودَةٍ الْحِظِّ، وَضَعِيفَةٍ، الَّتِي
كَانَتْ تَحْتَاجُ إِلَى مُسَانَدَةٍ رَجُولِيَّةٍ بِشِدَّةٍ وَإِلَى الْمُسَاعَدَةِ، طَبْعًا، تَأْجَبَتْ
مَشَاعِرُ دِيمَا بِقُوَّةٍ جَدِيدَةٍ وَاصْطَبَغَتْ بِالْوَانِ جَدِيدَةٍ. لَذَا، وَجِبَ عَلَى دِينَا
أَنْ تَخْطُو الْخَطْوَةَ الْأُولَى لِلِقَائِهِ، كَمَا ذَابَ دِمِيتْرِي عَطْفًا وَبَاتَ مُسْتَعِدًّا
لِكُلِّ شَيْءٍ. مَا أَنْ لَمَحَ حُبَّهُ الْأَوَّلَ فِي وَضْعِ حَرَجٍ اجْتِمَاعِيًّا بِالنِّسْبَةِ لَامْرَأَةٍ
مَهْجُورَةٍ وَأُمٍّ وَحِيدَةٍ، عَزَمَ عَلَى أَنْ يَطْلُبَ يَدَهَا وَقَلْبَهَا لِلزَّوْاجِ. لَكِنْ هُنَا،
كَمَا يَبْدُو، تَدْخُلُ الْقَدْرُ بِنَفْسِهِ، الَّذِي أَوْعَزَ لَدِيمَا أَنْ لَا يَحْتَدِمَ غِيظًا وَأَنْ
يُنَاقِشَ قَرَارَهُ فِي الْبَدَايَةِ مَعَ وَالِدَيْهِ، وَلَيْسَ مَعَ حَبِيبَتِهِ.

اِمْتَنَعَ وَجْهُ لِيدِيَا وَهِيَ تَسْمَعُ اعْتِرَافَ ابْنِهَا بِالْحُبِّ. طَبْعًا، هِيَ مِنْذُ
مُدَّةٍ طَوِيلٍ، تَقْرِيبًا مِنْذُ الْوِلَادَةِ، كَانَتْ تَعْرِفُ دِينَا وَأُمَهَا، خِلَافًا لِابْنِهَا
الْعَاشِقِ، اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُقَيِّمَ خُطْبَتَهُ الْمُحْتَمَلَةَ بِصُورَةٍ مُوضُوعِيَّةٍ. وَكَانَ
مِنْ الْمُمَكَّنِ، أَنْ تَدْرِكَ، بِأَنْ دِينَا، رُبَّمَا، لَمْ تَكُنْ تَمْلِكُ مُمِيزَاتٍ أُخْرَى،
عَدَا الْمَظْهَرِ الْخَارِجِيِّ الْمُؤَثِّرِ، وَالشُّطْرَةِ وَالْمَوْقِفِ الْعَمَلِيِّ. عَلَى أَيِّ
حَالٍ، لَمْ يَدْخُلِ الْحُبُّ تَجَاهَ ابْنِهَا وَالرَّغْبَةُ فِي أَنْ تَجْعَلَهُ سَعِيدًا فِي قَائِمَةِ
فَضَائِلِ دِينَا عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ. مَا أَنْ بَدَأَ ابْنُهُمَا بِلِقَائِهَا، نَاقَشَ بَارِيسُ
وَلِيدِيَا الْوَضْعَ وَفِي الْحَالِ تَوْصِلًا إِلَى رَأْيٍ مُوَحَّدٍ، بِأَنْ هَذِهِ الْفَتَاةُ الْمَاكِرَةُ

تسعى فحسب للاستيلاء عَلَى صديق طفولتها، مُستغلةً تعاطفه القديم تجاهها. بالأحرى، لَيْسَ هُوَ، بل أمواله. لو لم يكن ديمكا رجل أعمال ناجحًا، بل كان موظفًا علميًا بسيطًا، هي طبعًا، لما نظرتُ إليه حتَّى.

وليديا بكل اللباقة، التي تمتلكها، تحدّثتُ بقلب صافٍ مع الابن، ملتزمةً منه أن لا يستعجل وأن لا يخطو خطوات مُتسّعة، وطائشة.

- لِمَ في الحال يتحتم عليكما أن تُسجلا زواجكما؟ - وعظت هي - أنتما لستما في سنّ الثامنة عشرة، مهما كانت الظروف ترغبان بحفل زفاف وبطرحه عرس وخواتم، أنتما كلاكما شخصان بالغان، وكنتما متزوجين في وقت سابق. عيشا عَلَى هذا النحو، دُون تسجيل الزواج، تفحصا بعضكما البعض، تعرّفا عَلَى بعضكما البعض بشكل أفضل، وهُناك قررا، أترغبان في الزواج أو لا...

- مام، لم أنتِ تقولين هذا؟ - ذُهلَ ديمكا - أيّ «تفحصا»، وأيّ «تعرّفا»؟ إنني أعرف دينا منذ الولادة تقريبًا!

- كلا، يا بُني. - اعترضت الأم برقة، لكن بصورة حازمة - أنت لا تعرفها. أنت تعرف الفتاة، التي لعبتَ معها في فناء جدتك، يمكن أن تكون الفتاة التي كنت تعشقها في المدرسة. وتلك - لم تكن تعشقها، بل كنت تعشق تلك الصورة لدينا، التي رسمتها بنفسك، في مرحلة الشباب عادة يحدث هكذا شيء. أما الآن ظهرتُ في حياتك امرأة، التي لم ترها تقريبًا لمدة عشرة أعوام. خلال هذا الوقت، وَحَتَّى في سنّكم، مِنَ الصعب أن لا تتغير. تذكر نفسك قبيل عشرة أعوام، كيف كنت؟

- بالتأكيد - ضحك ديمكا. إزاء هذه الحجة كان مِنَ الصعب أن

يُجادل. وَلَكِنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ حَاول: - شعور كهذا، يا ماما، كأنك بوجه عام لا تودين، أن أتزوج - ادعى هُوَ.

لأمر ما ليديا أو مأت برأسها:

- ديمكا، أنتَ تعرف بنفسك، بأنك لست مُحققًا. عندما أتيتَ بلوبا، هل قلت أنا ووالدك كلمة؟ عَلَى العكس، فرحنا فحسب، بأنك وجدت فتاة جيّدة، التي أحببتها وهي أحبتك. أنا إلى الآن حزينة، لأنكما افترقتما.

- نعم! لوبا كانت جيّدة، بينما دينا لديك سيئة! - شَبَّ ديمكا. أحيانًا يحدث، بأن الأشخاص الأذكاء بِمُسْتَوَى عالٍ للذكاء، مُتخصّصون رائعون وموهوبون، الذين يتحدّث عنهم الجميع بـ «الرأس النير»، في الحياة الاعتيادية يتصرفون كالحمقى، وكأطفال بطيئي الفهم.

- وَلَمْ أَنْتَ مثل الطفل الصغير - صرختُ ردًّا عَلَى كلامه - ببساطة الآن لديك وضع حياتي آخر تمامًا. أَنْتَ تتحدّث فقط عن دينا وفي الوقت نفسه لا تذكر حتّى، بأن لديها بنتًا. التي يجب أن تفكر بها في المقام الأوّل. أَنْتَ فعلاً مُستعد أن تصبح أبًا لطفل غريب؟

- أنا لم أرها حتّى لمرّة واحدة - أدرك دميتري فيما بعد - فقط في الصور.

- اها، ها أَنْتَ ترى...

مُفكرًا مليًّا، قرر ديمكا أن ينصت لكلمات أمه كليًّا، وأرجأ طلب الزواج لبعض الوقت.

في الوهلة الأولى كان سعيدًا للغاية، في الحقيقة بقي في تفاؤل

وَحَماس. دينا، العشيقَة اللطيفة، وَالْمُهْتَمَة، وَالرقيقة وَفِي الحقيقة المذهلة، بدتْ له تجسيدًا لكل شيء يمكن أن يحلم به الرجل فحسب. هُوَ أراد، أن تنتقل حبيبته في الحال للعيش معه، لكن دينا رأت، بأن شقّته ذات العُرفة الواحدة ضيقة للغاية بالنسبة لهذا الأمر - واشترى دميتري عشًا فاخرًا ذي ثلاث عُرف ليس بعيدًا عن مُنْزَهِه نيسكوتشني ساد. منذ البداية كان يُخطط، أن يعيش في هذه الشقّة مع حبيبته وَمِنَ المُمكن، مع ابنتها، لكن بطريقة ما حدث شيء تلقائي، بأن انتقلت دينا إلى هُناك لوحدها وأُثت البيت على هذا النحو، بأن لا يجد ديمًا مكانًا هُناك.

- أتدري، دعنا لا نستعجل العيش المُشترك، - أشارت هي - لو كنا مُتزوجين - حينئذ سيكون أمر آخر. وهكذا... وسنلحق أن نعيش تحت سقف واحد ونمل مِن بعضنا البعض. بعد ذلك، حين نصبح زوجًا وزوجة.

- مثلما تقولين، يا عزيزتي، - وافقها ديمًا.

بعد ذلك خطرَتْ ببال دينا فكرة أن تبعث ابنتها للدراسة في إنكلترا، تحمّستُ جدًّا لهذه الفكرة، ولم تستطع أن تُفكر بشيء آخر.

- ألا يزال الوقت مُبكرًا؟ - اندهش ديمًا - عمر الطفلة ستة أعوام فقط. مِن المُخيف إرسال طفلة صغيرة بطريقة ما إلى بلد غريب، فقط الله وحده يعلم ما هُوَ... ليس مِن المؤكد بالنسبة لها أن تكون جيّدة هُناك لوحدها، دُون أقاربها.

- وما الأمر في ذلك؟ - ارتبكتْ دينا - في المدارس الإنكليزية يعلمون الأطفال مِن سنّ خمسة أعوام، هُناك يُعدّ هذا أمرًا طبيعيًّا.

وَجَانِكَا مِنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ يَجِبُ أَنْ تَتَعَلَّمَ. مَا دَامَ وَالِدُهَآ أَتْلَفَ أَعْصَابِي
بِهَٰذَا الطَّلَاقِ، لَا يَوْجَدُ لَدَيَّ وَقْتُ لَتَعْلِيمِ الْبِنْتِ، هِيَ نَشَأَتْ بِنَفْسِهَا
وَحِيدَةً دُونَ تَدْخُلٍ مِنْ أَحَدٍ، وَالْآنَ خَرَجْتُ عَنْ طَوْعِي. إِذْنُ يَجِبُ
تَرْبِيَتُهَا بِسُرْعَةٍ، وَإِلَّا سَيَكُونُ الْوَقْتُ قَدْ تَأَخَّرَ. وَفِي إِنْكَلْتِرَا يَفْعَلُونَ هَٰذَا
عَلَىٰ نَحْوِ أَفْضَلٍ، مِنْ أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ.

مِنْ جَدِيدٍ وَمِنْ جَدِيدٍ عَادْتُ إِلَىٰ هَٰذَا الْمَوْضُوعِ وَهَدَأْتُ فَقَطْ، حِينَ
وَافَقَهَا دِيمَا وَأَعْطَىٰ حَبِيبَتَهُ الْأَمْوَالَ لِدِرَاسَةٍ جَانًّا. جَاءَتْ فِي الْوَقْتُ
الْمُنَاسِبَ بِالضَّبْطِ - فِي خَرِيفِ ثَمَانِيَةٍ وَتَسْعِينَ حَدَثَ الْعَجْزُ الْمَالِي، وَفِي
رُوسِيَا بَدَأَتْ الْأَزْمَةُ الْمَالِيَّةُ. مَعَ ذَٰلِكَ، بِالْمُقَارَنَةِ مَعَ الْكَثِيرِ مِنَ الشَّرَكَاتِ
الْمَحَلِّيَّةِ الْآخَرَى، الَّتِي إِمَّا أَفْلَسَتْ، وَإِمَّا خَسِرَتْ مَوَاقِعَهَا فِي السُّوقِ إِلَى
حَدِّ كَبِيرٍ، «أَمْ كَا إِي» تَلَقَّتْ هَٰذِهِ الصَّدْمَةَ أَقْلَ وَقْعًا. لَعِبَ دَوْرًا، بِأَنْ تِجَارَةَ
الْكُومْبِيُوتَرَاتِ لَمْ تَكُنْ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ مَشْرُوعًا مُتَقَدِّمًا لَشَرَكَاتِهِمَا،
الْإِهْتِمَامُ الرَّئِيسُ كَانَ قَدْ حَوَّلَ إِلَى الْإِنْتَرْنِتِ. اسْتَمَرَّتْ شَرَكَةُ «أَمْ كَا إِي»
بِالْبَقَاءِ وَاحِدَةً مِنَ الشَّرَكَاتِ الْكُبْرَى الَّتِي تَزُودُ الْعَاصِمَةَ بِالْإِنْتَرْنِتِ، لَمْ
تَقْدِّمْ الشَّرَكَةُ فَحَسَبَ خِدْمَاتِ التَّنْصِيبِ وَدَعْمِ اتِّصَالَاتِ الْإِنْتَرْنِتِ، بَلْ
عَمَلَتْ أَيْضًا عَلَىٰ إِنْشَاءِ وَدَعْمِ الْمَوَاقِعِ (وَقَتُّنْذُ أَسْمُوهَا صَفْحَاتِ)، الَّتِي
كَانَتْ تُتَبِّحُ عَنَآوِينَ ذَاتِ نِطَاقٍ وَإِمْكَانِيَّةٍ وَضَعِ الْمَعْلُومَةِ فِي الْحَوَاسِبِ
الْمَرْكَزِيَّةِ. وَلَمْ يَكُنْ مُثِيرًا لِلدَّهْشَةِ، بِأَنْ نَوْعُ كِهَٰذَا لِلْخِدْمَاتِ اسْتَعْمَلَهُ
الْمُسْتَعْدَمُونَ بِصُورَةٍ وَاسِعَةٍ بَعْدَ الْعَجْزِ أَيْضًا. حَتَّىٰ عَلَى النَّقِیْضِ مِنْ
ذَٰلِكَ - عِدَدُ الزَّبَائِنِ قَدْ زَادَ. بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ بَعْدَ الصَّدْمَاتِ الْخَرِيفِيَّةِ
ظَهَرَتْ مَوْسَسَاتٌ مُضَادَّةٌ لِلْأَزْمَةِ كَثِيرَةٌ، وَاحِدَةً مِنْهَا تَرَأْسُهَا هُوَ وَلَيْسَ
غَيْرُهُ، كَشَخْصٍ قَدِيمٍ مَعْرُوفٍ بِالنِّسْبَةِ لَهُمَا، أَرْنُولْدُ بِيْتْرُوفِيْتَشْ. قَادِرًا

بدهاء على استغلال الوضع، رازدوبودكو ليس فقط ارتفع بصورة جيّدة في الموجة المضادة للأزمة المالية، بل احتال بترويج حزبه السياسي. كما تبين، قبيل بعض الوقت قد أسس «الحزب الاجتماعي الشعبي»، الذي وجد نفسه بسرعة بفضل الشعار الشعبويّ لتعاطف جزء مُحدد من السكان. وفي الانتخابات القريبة في عام تسعة وتسعين أفلح الحزب في اجتياز الحاجز الضروري لعدد الأصوات. على هذا النحو رجل العصابة الشبيه تارة في مظهره برجل مخبرات، وتارة أخرى شبيه «بأستاذ أحمر^(٦٠)» قد أصبح نائباً في مجلس الدوما^(٦١).

خبر كهذا هزّ أندريه حتّى أعماق الروح. وها هو ذا ديما لم يهتم في تلك اللحظة بأمر أرنولد - علم، بأن ليديا غيورغيفنا قد مرضت مرضاً خطيراً. حين تبقى لأملك أيام معدودة للعيش، فُهنا لن تهتم بأمر السياسة ولا حتّى أمر العمل، وليكن حتّى أمر الحبيبة. أنفق ديما أموالاً طائلة على العلاج والأطباء، وأنزل أمه في أفضل المستشفيات، وأراد أن يبعثها للعلاج في الخارج، لكن ليديا غيورغيفنا رفضت.

- أنت ببساطة تبذر الأموال، - قالت بهدوء. - ثق، يا ديماتشكا، أنا أعلم، لن يُساعدني شيء... الأفضل أن تعدني، بأن تُنفذ طلبي الأخير. - طبعاً، يا ماما- ضغط برقة على يدها النحيلة - أقسم، سأفعل كل ما تريدينه.

(٦٠) أستاذ أحمر - يقصد به (أستاذ شيوعي) مثل الجيش الأحمر واللون الأحمر يدل على الشيوعية. (المُترجم).

(٦١) مجلس الدوما - مجلس النواب الروسي. (المُترجم).

- لا تتزوَّج دينا، يا بُني - بالكاد هَمَسَت المريضة- لن ينتهي هذا الأمر بشيء جيّد...

موت الشخص المُقرب - دائماً يكون مأساة، وكل واحد منا يُحاول أن يتغلب على بؤسه بطريقة. أحد ما يسقط في فتور الشعور، وأحد ما يبحث عن المواساة لدى الأصدقاء، وأحد ما يبدأ بتناول مضادّات الاكتئاب، وأحد ما يجد العزاء في الكحول، بينما أحد ما يشغل نفسه بالعمل. اختار ديماسالاب لنفسه بالتحديد الطريقة الأخيرة. في تلك اللحظة، بعد مرور أربعين يوماً، حين كان يُساعد والده في ترتيب حاجيات أمه، خطرتُ بباليه فجأة فكرة، التي دُون مُبالغة كانت مُمكن أن تُسمّى عبقرية. بأن، إذا أنشئ في روسيا شبكة تواصل اجتماعي خاصّة على غرار «Classmates.com»، التي ها هي ذي للعام الرابع توجد في الولايات المتحدة الأميركية وتحقق نجاحاً كهذا، وحذا حذوها بعض المُقلدين؟

تقاسم الفكرة مع أُنذريه، وهذا أدركها «بحماس بالغ»، مثل أي بداية جديدة، التي تُبشر بالربح. والربح الجدي يتوقع هُنا، عند المؤسسة المنجزة على نحو مُتقن للعمل، في إعلان واحد مُمكن أن يكون، يا للعجب، أيّ مكسب. ها هو ذا فقط المبدأ يجب أن يُفكر ملياً بصورة حسنة... هل يستوجب مُباشرةً نسخ نظام «Classmates.com»؟ رُبّما، لا يتوجّب. فكرة تجميع الإنترنت لزملاء الدراسة السابقين لم تظهر لأبناء الخالتين ناجحة بهذا الشكل، حسب رأيهما، مع أولئك

زملاء الدراسة، الذين يود لقاءهم، هم تمكنوا من الحديث فيما بينهم، من دون الشبكة العالمية برمتها. كان يجب ابتداء شيء ما مغاير.

احتاج تنفيذ هذا الابتكار وقتاً ليس بالقليل. لكن في نهاية المطاف كسب مشروع المستقبل ملامحه - في الحقيقة، لا يزال في خيالهما فحسب. حسب هدفهما، الذي اتخذ شكله في نتيجة النقاشات العاصفة، والتي طار فيها أندريه فوق السحاب، بينما بقي ديما بثبات على الأرض، الصفحة كان يجب أن تكون بمثابة شبكة اجتماعية ما لحديث المتصفحين على الأغلب من الذكور. هنا، حسب تصور ابني الخاليتين، كان يجب التركيز على المصادر المعلوماتية المتنوعة والعائلة. المصادر هذه كان يجب أن تلبّي الاهتمامات المختلفة للغاية: من المجالس الجدية للعمل التجاري والتوظيف حتى موقع التعارف، ودليل المطاعم واللهو المتنوع حسب فئات التسلية والهواية. لاقى الظهور الأكثر سرعة للمساحة الإعلانية الكبيرة، التي بفضلها تدفقت أرباح خيالية من المعلنين إلى جيوب مُصنعي الموقع تدفقاً هائلاً. حتى وُلدت تسمية - «يديناميشلينيكي»^(٦٢). ولم يؤجلا المشروع، بل باشر ابنا الخاليتين في إعداد موقع الإنترنت «Edinomishlenniki.ru».

طبعاً، تجسيد الفكرة على صعيد الواقع كان أعقد بكثير، من الابتكار. تطلبت نفقات مالية جديدة - وليست بالقليلة للغاية، ليس فقط على التجهيزات التقنية، بل قبل كل شيء على إعداد المشروع. كما يبدو كان يجب أن يبدأ كل شيء من الصفر! عندما جُهِز المبلغ

(٦٢) يديناميشلينيكي - تعني الشركاء في الرأي. (المترجم).

التخميني للنفقات، باعد أندريه فحسب بين يديه - هُما الآن لن يؤجلا هذا الأمر. يتحتم الانتظار بضع سنوات، حتى تستفيق البلاد كلياً من الأزمة والعمل التجاري يعود إلى وضعه الطبيعي. وافقه ديما، مُشيراً، بأن المُهلة المُشابهة ستكون حتّى في فائدة العمل. طوال هذا الوقت هُوَ لم يستعجل، في هدوء، كان ينجز كل العمل التحضيري الكبير. وبعد ذلك، حين تظهر لديهما الإمكانية، يستأجران الموظفين الضروريين من المُختصين ذوي المُستوى العالي، سيكونان للعمل فريقاً.

وحدث كل شيء طبقاً لخطط ابني الخالتين، مع بعض التغيرات الطفيفة إلى حدٍّ ما. في منتصف عام ألفين تمّ جمع فريق المُبرمجين وباشروا العمل. بعد ثلاثة أعوام، عندما بدأت في العالم الغربي الفورة الحقيقية لمواقع التواصل الاجتماعي بفضل ظهور: LinkedIn، MySpace، و Facebook، أُصيبَ أندريه بالذعر.

- نحنُ لن نلحق! - صرخ هُوَ. - يجب بسرعة إطلاق المشروع في الشبكة. وإلا، ها أنتَ ذا ترى، يسبقنا المواطنون الماكرون!

- اهدأ، كل شيء تحت السيطرة - طيب ديما خاطره - شبكة التواصل الاجتماعي - هذه بالنسبة لك ليست برنامج للعبة اكس او (٦٣)، خلال خمس عشرة دقيقة تفعلها دون أن تبذل جهداً ووقتاً. على المواطنين الماكرين، ليكونوا هُم الأذكى، أيضاً يحتاجون إلى الوقت

(٦٣) لعبة اكس او - لعبة تُلعب على الورقة حيث يختار اللاعب الأوّل علامة اكس بينما يختار الثاني علامة أو ويلعب الاثنان مستخدمين القلم بكتابة العلامة خاصتهما داخل الحقول. (المُترجم).

للإعداد. ولدينا إزاءهم أفضلية كبيرة، لأننا بدأنا بوقت مُبكر جداً منهم. استغرقت المرحلة التحضيرية تقريباً خمسة أعوام وتكللت بنجاح باهر تام. «Edinomishlenniki.ru» دُشن اليوم، حين سجّل في الموقع أوّل زائر، الذي لم يكن لا من الأقارب، ولا من الأصدقاء، ولا حتّى أحد معارفهما من المُعدين، أصبح عيداً حقيقياً لكل شركة «ام كا اي». أصبحت شبكة التواصل الاجتماعي خاصّتهما الأولى في البلاد، وتقريباً لعام تفوّت على المنافسين الجديين أولئك، مثل «ادنا كلاسنينكي»، و«فكونتاكتي»، و«موي كروغ» وغيرها.

أصبحت رجلي أعمال ذوي خبرة، ابنا الخاليتين بمهارة وسعا فكرتهما الوليدة، نظماً حملة إعلانية جيّدة وبنجاح روجا الموقع في الإنترنت. بالتحديد مع كل يوم عدد مُتصفحي الموقع كان يتزايد، ويرتفع من العشرات إلى المئات، ومن المئات إلى الآلاف. سرعان ما بدأ «يديناميشلينسكي» بتقديم عروض مُغرية بشأن التعاون، على الأغلب في الطابع الإعلاني. ومجالات العمل لابني الخاليتين في الشركة تم تقاسمها من جديد- أخذ ديمّا على عاتقه التجهيزات التقنية، تطوير ودعم الموقع، بينما انشغل أندريه بالعلاقات الخارجية، المُباحثات مع الشركاء والمُعلنين. كان يحدث هذا لديه بصورة مُمتازة، ليس عبثاً أنه باستمرار كان يطورّ تعليمه، اجتاز دورة في الغرب، تعلم في الدورات المُتخصصة وفي النظام الخاصّ للتدريب على العمل التجاري! لم يكن التعليم المُماثل رخيصاً تماماً، لكن ابني الخاليتين استطاعا أن يسمحا بهذا لنفسهما. والآن المعرفة التي حصلا عليها أتت في وقتها المُناسب.

الفصل السابع

تداعى شيء ما

في المملكة الدنماركية...

مرَّ الوقت، وطارَت السنوات، علَى وجه الدّقة الأوراق المُصفّرة من الأغصان. كما بدا، بأن يوم أمس قد احتفلت البشرية بقلق وبعض الاضطراب بالذكرى الألفية، خائفةً من التعطل الشامل لشبكة الكمبيوتر الدولية - وفي ذلك الوقت كان قد بدأ العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين. والأزمة المالية العالمية، التي أرعبت بهذا الشكل الجميع قبيل ثلاث سنوات، لم تبق في الماضي فحسب، بل شيئاً فشيئاً قد طواها النسيان. وخاصّةً أن مجموعة «ام كا اي»، خلافاً للكثير من الشركات الروسية الأخرى والأجنبية ذات الاتجاهات المُختلفة، لم تتأثر بالأزمة كثيراً. طبعاً، اهتزت أعمالها أيضاً، وقلّت الأرباح، وظهرت بأوقات صعبة قرابة سنة ونصف... لكنها ببساطة لم تكن سهلة، ولم تكن درامية. الآن، في الألفية الثالثة، الناس في الكرة الأرضية كلها (ولم يكن الروس استثناءً على الإطلاق) لم يتصوروا حياتهم من دون الإنترنت،

ولذا لم يخمد الإقبال عَلَى خدمات مجموعة «ام كا اي»، وكأنما لم يحدث شيء في العالم. وشهرة مواقع التواصل الاجتماعي قد ازدادت فحسب. كل هذه الأعوام بقي موقع «يديناميشلينكي» ضمن الثلاثة الأوائل في روسيا ورابطة الدول المستقلة وحافظ عَلَى مركزه في قائمة أفضل خمسين موقعًا مِنْ حيث التصفح في العالم. كل يوم يتصفح الموقع قُرابة عشرين - خمسة وعشرين مليون شخص.

الآن أندريه ودميتري بالكاد صدقا أن شركتهما برمتها بوقت ما تكونت مِنْ متجر صغير جدًا وتتخذ مكانًا في غُرَف عديدة. كم تغير كل شيء منذ ذلك الوقت! قيمة الشركة بالسعر الزهيد، كما بدا الآن لابني الخاليتين، أن المبلغ عشرين ألف «خُصر» قد نما حَتَّى بلغ مائتي مليون دولار. لُقبا سالاب وكوليكونوف ومضيا في قوائم عمالقة قطاع الإعلام الوطني. الأسهم، التي امتلكاها، ارتفع سعرها بمئات وألوف المرات. كل يوم تقريبًا كان الكثيرون يعرضون عليهما شراء شركتهما. الكثير جدًا مِنْ الْمُتَنَفِّذين وَلَيْسَ الناس الفقراء كانوا يرغبون بالمشاركة، في الشروط المُربحة للغاية بالنسبة لابني الخاليتين. لكن قبيل حلول الموعد رفض أندريه وديما بلطف، رفضًا قاطعًا العروض المُماثلة. كانا قد حصلا بصعوبة بالغة عَلَى هذه الفكرة الوليدة، وبذلا الكثير جدًا مِنْ القوى، وَأَي قوى هُناك: وضعًا جزءًا مِنْ أنفسهما فيها، لكي هكذا بسهولة يبيعونها أو يضيفان شخصًا ما غريبًا إليها.

مِنْ الطبيعي، أن حياتهما قد تبدلت جذريًا. المكان الخاص للعمل في زاموسكفوريتشيا الآن يملكانه كليًا. هُوَ، بالمُناسبة، تبدل بشكل رائع

وفي الوقت الحالي حقيقةً يُذكر كأفضل المباني في أسلوب أمبير^(٦٤)، الذي كان مشهورًا للغاية في روسيا في مطلع القرن التاسع عشر. المبنى كان، بالطبع، ضيقًا بعض الشيء، لكن ابني الخاليتين قررا أن يُحافظا عليه كتعويذة سعيدة. توجد الآن في جناح العمل الخاص مكاتب الرئيس، وقاعة الاجتماعات، وقاعة المُفاوضات وقاعة للمُناسبات. وبالنسبة للمكتب الرئيس هُما استأجرا وأعادا تجهيز المبنى الصناعي الذي كان مهملاً فيما مضى في حي فارشآفسكي شاسيه. بالتحديد هناك جرى العمل الأساسي.

في سنّه التاسعة والثلاثين ظهر أندريه كوليكون بهذه الصورة تحديداً، كما ينبغي أن يظهر الشخص، الذي في المُستقبل القريب سيُذكر اسمه في تصنيف مجلة «فوربس». حسن المظهر، الأنيق، الرجل المُسمر ذو النظرة الواثقة والابتسامة البراقة، وملابس وإكسسوارات تتطابق دائماً مع وضعه الاجتماعي كلياً. اقتنى ساعات وربطات عنق، كل عام يُغيّر السيارات ومرة في الموسم حاول أن يُغادر موسكو ولو لأسبوع، لكي يرتاح في مصيف ما معتبر بصحبة صديقة جديدة. في كل شيء، بدت الحياة الشخصية، أندريوشكا منذ مرحلة الصبا لم يتغير أبداً، حوله تزدحم حشود ساطعة من الفتيات، على الأغلب شابات وَحَتَّى أصغر سنّاً، ولكن لم تفلح ولا واحدة منهن بجره إلى دائرة الأحوال المدنية للزواج، بل حَتَّى لم تكسب الوضع الاجتماعي بأن تكون صديقة دائمة.

(٦٤) أسلوب أمبير - هو طراز معماري وتزيين انتشر في عصر نابليون بونابرت. (المُترجم).

- أنتم، يا شباب، كونوا في مُنتهى الحيطة وَالْحذر - وعظت دينا ابني الخاليتين، التي لا تزال مُدير الموارد البشرية في الشركة. - فضلاً عن ذلك، إنكما أغنياء، وَلَمْ تشيخا بعد، وَالرجال غنيمة سائِعة كاملة للفتيات صغيرات السنّ وَالجميلات، لكن أسماك قرش البراكودة خبيثات وَطماعات. كونوا أكثر حذرًا - يلتهمكما وَلَنْ يغصن بكما. وَهي تأوّهت بمرارة.

امتلكت دينا أسبابًا كافية للتأوهات. عَلَى الرَّغمِ مِنْ أن ما من شيءٍ تغير بعدُ، لكن في الوضع الحالي «بعد» كانت كلمة مُهمّة. كان مُمكن أن تنتظر التغيرات مِنْ دقيقة لِأُخرى، وَدينا المُتمرسَة، بدهاء حمالة الحقائق السابقة، أدركت بِصُورة مُمتازة، بأن التغيرات هذه لن تكون تحولات نحو الأفضل.

طبعًا، هي بذلت كل قواها لتجمل نفسها، ارتدت بِصُورة استثنائية مِنْ متاجر الموضة وَعَلَى الأغلب مِنْ الخارج وَليسَ مِنْ بلدها، وَكانت تذهب مرارًا إِلَى صالونات التجميل، تذهب باستمرارٍ إِلَى جراحي العمليات التجميلية، عملت عمليات شد مُتنوعة وَكل ما شابه هذا. لكن الأربعين عامًا - هذه، للأسف، أربعين عامًا، وَلَا عملية بوتكس، وَلَا سيليكون وَلَا خيوط ذهبية ستقلل هذا الرقم. أدركت دينا، أن التقدّم في السنّ سيقترّب بمرور كل يوم، وَهذه الفكرة دفعتهَا إِلَى اليأس.

يا ليت لو كان لديها وضع مُستقر في الحياة، وضع زوجة رجل أعمال كبير! وقتئذ كانت ستفرح... لكن كأنها لم تحاول طوال هذه السنوات، لم يوافق ديمًا عَلَى تسجيل علاقتهما بِشكل رسمي. كانت

تفعل هي كل شيء لأجل هذا، وَجَرَّبْتُ كل الحيل! في السرير لم تعرف نواياه وأسراره في الحال، تصوَّرتُ نفسها في حياته الصديقة الحنونة، والصادقة، والمُهتمة والمقدامة، والمُسْتعدة لإجزال العطاء لسيدها وَأَنْ تلبّي ما يريده. الله الواحد يعلم، بأن هذا لم يكن صعبًا عليها! وكل شيء كان عبثًا. كل مرّة، وجب عليها أَنْ تُلْمَح لختم الجواز^(٦٥) الذي يُشير لزواجهما، كان ديمكا يزُمُّ شفّتيه، عَلى وجه الدّقة كانت أسنانه تؤلمه. «دينا، لماذا أنتِ مِنْ جديد تبدّئين هذا الحديث؟ إلى متى نثرثر؟ نحنُ قررنا كل شيء...» عَلى الأكثر أثارت دينا هذه الكلمة «نحنُ» ذاتها. نحنُ قررنا، مِنْ الصعب أَنْ تُصدق! هو، لمعلوماتكم، من قرر كل شيء، مع أمه المرحومة، أفضل الله مسعاها! وهي، دينا، قررتُ شيئًا آخر كليًّا... وَها هُوَ ذا لأمر ما لا أحد يسأل عن رأيها. ذات يوم قررتُ أَنْ تُنشط الحالة وتُظهرتُ، بأنها كَوَّنت قِصّة غرامية مِنْ جانبها. عَلى الأصح، عبارة «تُظهرتُ» هُنا لا تتناسب للغاية، طالما علاقات الحُبّ الصغيرة تحدث لدى دينا عَلى الدوام، منذ عشر سنوات. مُقتنعةً، بأن ديمتري لا ينوي الزواج منها، دينا بدأتُ تدريجيًّا تنغمس في اللهو. كان سالاب عشيقًا بَيْنَ بَيْنَ، كان يهتم دائمًا بهذه الكمبيوترات السخيفة أكثر مِنْ الجنس، وَدينا بتقدم العمر أصبحتُ امرأة سريعة الغضب للغاية. أيستحق هكذا أَنْ ترفض بنفسها المُتعة، وحولها مجموعة مِنْ الفحول الشبان، في الحقيقة المُتعتشين لملء

(٦٥) يستخدم المواطن الروسي جوازًا محليًّا بدلًا عن البطاقة الشخصية وهو شبيه بجواز السفر.

(المُترجم)

فراغ السيدة الميسورة المُصابة بالملل؟ وفي أحد الأيام كما لو أنها ظهرت صدفة لديمكا بصحبة شاب وسيم جدًا الذي تعيله مقابل مُرافقتها ومُعاشرتها، وبعد ذلك لمّحت في الحديث، بأنها عاشقة، كما يبدو، مولعة بصورة جدية. طبقًا لخُطتها كان يتحتم على ديمكا أن يخشى فقدان المرأة، التي تعود عليها وتعلق بها طوال سنين، وأن يبدأ بالغيرة، وأن ينزعج، وأن يستعطفها بأن لا تتخذ قرارًا بانفعال... لكن لم يحدث شيء من هذا القبيل. هذا سلاب المشؤوم فقط هزّ كتفيه وبدأ بكلامه المضجر المُتتالي - وكأنك أحببت، لا يحق لي أن أمنعك، سأفرح فحسب لأجلك وأتمنى من كل رُوح لك السعادة... وجب عليها أن تتراجع بسرعة عن كلامها وأن تفهمه لمُدّة طويلة، بأنه لم يفهمها بصورة صحيحة، أنها تُحبه لوحده فقط، وهلم جرا، وما شابه ذلك. على هذا النحو قطعت دينا فجأة كل استراتيجيتها وتكتيكها. غير أنها لا تنوي الاستسلام. حتّى حينئذ، عندما شعرت، بأنه سيختفي رغم علاقتهما تلك الراكدة. من النادر للغاية أن يظهر ديمكا في شقّتها، بوجه عام كف عن أخذها معه إلى تجمع الأصحاب لقضاء الوقت، وحتّى لم يأخذها إلى المطعم وباستمرار توجد حجج ما، عندما كانت تدعوه دينا للمجيء إليها. وهي فهمت، بأن الوقت قد حان للانتقال إلى الفعل الحاسم، وإلا يكون الوقت قد تأخر.

بينما ديمتري في الحقيقة منذ مُدّة طويلة قد ضاق ذرعًا بعلاقته مع دينا. وكان يتذكر باستمرار كلمات أمه الأخيرة - كما بدت هي مُحقة، الأم اللطيفة، لها جنة السماء! عندما بالغ ديمكا في التفاؤل والحماس

في بداية العلاقة مع دينا واستطاع أن يبدأ بتقييم الوضع بتبصر إلى حدٍّ مُعين، فاكتشف اكتشافات كثيرة غير سارة بالنسبة له. دينا، في وقت سابق تمثلت له بوصفها مثلاً أعلى، وفاتنة للغاية، مُمتعة جداً، وامرأة رائعة للغاية على وجه الأرض، وفي الواقع لم تبدُ بهذه الصورة تماماً. تدريجياً تجلّت فيها ملامح، التي لم يستطع دينا الآن أن يراها في الناس - النزعة المادية، وضيق الأفق، وضيق الاهتمامات. دينا، في سنّ الأربعين، كانت جشعة في الأشياء الغالية المُبهرة، كانت مُستعدة أن تشتري دون أيّ مُبرر، وبلا تمييز وذوق. لم يهتمها شيء عدا الملابس، وأشياء قليلة الأهمية، السفر إلى الخارج، التي امتلكتها بهدف أن تتنعم على البلاج، «شراء بعض الملابس» و«التصرف بغطرسة»، وصالونات التجميل، كلام ممحوج لامع وبالعرق بالنسبة للأعين والعقل المفلق عن حياة النجوم. دينا أخذته الدهشة فحسب، كيف استطاعت في وقت ما أن تبدو له إنساناً بسلام داخلي نفيس.

بالتراضي، كان يجب إنهاء علاقات كهذه منذ مُدّة طويلة، كما يبدو دينا منذ عام إلى عامين أو ثلاثة أدرك كلياً، بأن خيبة أمل في «فتاة أحلامه» قد أصابته. لم يعد يُحبها أكثر ولا يرغب أن يكون معها. لكن دينا بجميع الوسائل أظهرت له تعلّقها، ولذا لوقت طويل لم يصمم على قطع صلته بها، وإنهاء قصّة الغرام المُملة هذه، ولحُسن الحظ أيضاً، أنهما لم يعيشا تحت سقف واحد. قرر أن يقطع صلته بدينا تدريجياً، دون حركات مُفاجئة، وفجوات ومحن - وقد نجح هذا تقريباً. منذ مُدّة وجيزة بلغ دينا سنّ الواحدة والأربعين - السنّ، كما هوَ قرر، كلياً

مُناسب للزواج. وَأَصْبَحَ دِمِيتْرِي رُويْدًا رُويْدًا يَبْحَثُ لِنَفْسِهِ عَن عُرُوسٍ،
وَاتَضَحَ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ بِسَيِّئًا جَدًّا.

لَا يَجُوزُ الْقَوْلُ، بَأَنَّ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ خِيَارٌ، كُلُّ شَيْءٍ عَلَى وَجْهِ الدَّقَّةِ
كَانَ عَلَى الْعَكْسِ - الْإِقْبَالُ عَلَى رِجَالِ الْأَعْمَالِ الشَّبَابِ كَانَ هَائِلًا.
تَحْذِيرُ دِينَا بِشَأْنِ مَغْوِيَّاتِ الرِّجَالِ كَانَ فِي مَحَلِّهِ، طَالَمَا تَعَرَّضَ ابْنَا
الْخَالَتَيْنِ عَمَلِيًّا فِي كُلِّ مَرَّةٍ لَهْجَمَاتِ أَسْمَاكِ قَرَشِ الْبِرَاكُودَا هَذِهِ، مَا
أَنْ يَكُونَا فِي مَكَانٍ عَامٍ، فِي مَطْعَمٍ مَا أَوْ نَادٍ. أَحْيَانًا كَانَ يَبْدُو لَدَيْمَا،
وَلَأَنْدَرِيهِ، بِأَنَّهُنَّ دَسَسْنَ تَحْتَ جُلْدِهِمَا جِهَازَ تَعَقُّبٍ مَا، لِكَيْ يَحْدُدَ لَهُنَّ
تَنْقُلَهُمَا بِالْمَدِينَةِ. مَا أَنْ يَأْتِيَا إِلَى مَكَانٍ مَا بِالْحَالِ يُحَاوِلَانِ بِطَرِيقَةٍ مَا «أَنْ
يَتَخَفِيَا» - لَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ دُونَ فَائِدَةٍ. هُمَا هُنَا عِشْرًا عَلَى مَوْلَعَاتٍ
جَمِيلَاتٍ لِقَاءِ مَبْلَغٍ كَبِيرٍ. وَإِذَا كَانَ أَنْدَرِيهِ طَوَالَ وَقْتٍ شَبَابِهِ الْهَائِجِ
عَلَى نَحْوِ غَيْرِ مَدْرُوسٍ تَعْلَمُ مَعْرِفَةَ النِّسَاءِ، فَدِيمَا فِي هَذَا الْمَعْنَى كَانَ،
كَمَا يُسَمَّى، وَلَدًّا قَلِيلَ الْخُبْرَةِ. إِذَنْ، كَانَ بِصُورَةٍ عَجِيبَةٍ الْفَرِيسَةُ السَّهْلَةُ
بِالنِّسْبَةِ «لِسَيِّدَاتِ الْحِظِّ» الْفَاتِنَاتِ وَالْعَالِيَّاتِ الْهَمَّةِ. وَهَنْ كُنَّ أَكْثَرَ مَهَارَةٍ
فِي التَّلْفِيقَاتِ وَالْحِيلِ الْمَاكِرَةِ.

أَنْقَذَ أَنْدَرِيهِ ابْنَ خَالَتِهِ الْوَاتِقَ بِالنَّاسِ مِنْ الْعَدِيدِ مِنَ الْفَتَيَاتِ
الْمُشَابِهَاتِ، بِالضَّبْطِ مُتَنَزِّعًا إِيَّاهُ مِنْ بَيْنِ مَخَالِبِ الْكُوَّاسِرِ وَأَسْنَانِهِنَّ. كُلُّ
مَرَّةٍ يُصَاحِبُ هَذَا «هَرَجٌ وَمَرَجٌ» الَّذِي افْتَعَلْنَهُ الْعِرَائِسُ الْحَانَقَاتُ اللَّوَاتِي
لَمْ يَحْظَيْنَ بِدِيمَا، لِأَنَّ الْفَرِيسَةَ السَّائِغَةَ فِي اللَّحْظَةِ الْأَخِيرَةِ تَمَّ انْتِشَالُهَا
مِنْ فَمِهِنَّ. تَوَجَّبَ حَتَّى دَفَعَ بَعْضَ الْمَالِ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ لِلْعِنِيدَاتِ
وَالْمُصَرَّاتِ، لِكَيْ يَغْرِيبَ عَنْ وَجْهِهِمَا.

أغضبَ هذا أندريه بصورة مُفرّعة وأثار اعصابه. ألف مرّة حاول أن يعيد ابن خالته إلى جادة الصواب:

- تذكر، إذا كانت الفتاة في أثناء اللقاء الأوّل تطلب بإلحاح منك المال لسيّارة الأجرة، وتشتكي بأنها لا تمتلك مكانًا للعيش، يعني، هي تحتاج منك فقط إلى محفظة نقودك وأسهمك، التي تمتلكها. لذا يمكنك أن لا تستمع لهرائها عن الحبّ، وعن ذلك الشخص الذي أنتَ نفسه، الذي كانتَ تحلم به طوال حياتها وستعيش معه في جنة حتّى لو كان في بيت من الأغصان. الهراء عن الحبّ - هي تلك شبكة الصيد، التي فيها تقع أسماك الشبوط الأحمق. بمرور السنوات لم يفقد أندريه عادات الجنس وصوغ الأقوال المأثورة. الجنة تلك بالنسبة لها، طبعًا، ستكون، فقط في بيت الأغصان ذي ثلاثة الطوابق، بجاكوزي رخامي وخدمة مُهذبة. شئت أم أبيت - هي ستُحقّق هدفها، وبعد ذلك ستكون ضحية للخدع وستُترك فقيرًا...

استمعَ دميتري لكل هذا دون انتباه، وغنم بصورة غامضة وبدوره شاطر أندريه الوصف المثالي لزوجة المُستقبل. بمنزلة المرشحة لهذا الدور تراءت له فتاة ذكية، مُتطورة فكريًا، مُهمّمة كثيرًا، بطبع مرح سهل، مُرهفة الحسّ، مُعنتية، وأنثوية، التي مُمكن أن تصبح زوجة جيّدة وأمًّا مُمتازة لأطفالهما في المُستقبل.

- أنا أفهم، بأن العروس لا بُد أن تكون من العوائل المُنورة والمُعْتبرة - قال ديما - ماما كانت مُحققة - يتعلق الكثير جدًّا بالتربية... زدْ على هذا العائلة هذه يجب ألا تكون فقيرة، وإلا، كما أنتَ تقول،

الفتاة ستهتم فقط بحالي وَوَضْعِي الاجتماعي، وَلَيْسَ بي. لا يوجد أسوأ مِنْ هذا، شتان بين الثرى وَالثريا، أنا أدركْتُ هذا. وَأودُ أيضًا، أن تكون خطيبتى ظريفة. الآن أريد العيش مع أناس لديهم حس الفكاهة. طبعًا، لكي يكون شيئًا الحديث معها في موضوعات مُتنوعة. لأنه في الآونة الأخيرة حظي يقع لسبب ما على الفتيات اللواتي كل تفكيرهن مُنصب على التسوق وَالمجلات اللامعة... وَ فضلًا عن ذلك، لا بد أن تكون حبيبتى أُمًّا جيّدة. في عمرنا الوقت قد حان منذ وقت طويل بأن يكون لدينا أطفال. أنا أميل إلى أن تكون الرقة وَالعناية التي فيها يمتزجان بالذكاء - لكي تستطيع أن تُربي الأطفال بصورة صحيحة، تطورهم منذ سنّ الطفولة، وَأَنْ تغرس فيهم الثقافة...

- اسمع، لم أنتَ كل شيء تتحدث به يأتي من علم النفس - ضحك أندريه. - مُمكن أن تفكر، لا توجد لديك أي مُتطلبات تتعلق بمظهر الحبيبة.

- بلى، المظهر - هذا، طبعًا، مُهم أيضًا... تعلم، تعجبني الفتيات، الجميلات مِنَ الطبيعة، بجمال طبيعي، وَلَيْسَ بفضل عمليات التجميل، وَالنفخ بالسليكون، وَمَا يفعلنه هُناك بأنفسهن... أن يكنَّ ممشوقات القوام، وَطويلات، بجسد جيّد، وبأشكال مثيرة للإعجاب...

- بأن أقدامهن طويلات وَالصدر حجمه سبعة؟ - أفحمه أندريه.

- كلا، كلا، معاذ الله! - لوح ديما بيده. - الحجم الثالث أو في أسوأ الحالات الحجم الرابع. لا حاجة إلى الأكبر. وَلَا أصغر حتّى... وَإِزاء الأَرجل الطويلة لا أَعترض، هذا جميل جدًا.

يبدو، بالنسبة لرجل الأعمال الوقور، المُحترف الرائع في مجال إمداد الكمبيوتر بالمعلومة، لم يخطر بباله تمامًا، بأن كل هذه النوعيات ببساطة لا يمكن أن تكون بشخص واحد. كما هو معروف، لا يوجد أشخاص مثاليون بوجه عام. لكن، كما يُقال، إذا كنت تحلم، فلا ترفض لنفسك شيئًا.

ضحك أندريه على ابن خالته، لكن في أعماق روحه قد فهمه - لو أنه سيلتقي في طريق حياته فتاة بهذه المواصفات، هو، من المُحتمل، سيود أن يتزوجها. لكن، خلافًا لديما، الذي مؤخرًا، كما يبدو، يهتم جدّيًا بالخطط الزوجية، أندريه لا يزال لا ينوي أن يتزوج. استولت عليه اهتمامات لهدف آخر كليًا.

قيل قليل، عندما، كان يتوجب على أندريه التدريب في الصالة الرياضية وأن يسبح في المسبح، غير ملابسه بعد الاستحمام وفكر على مهل، بماذا سينشغل في الوقت القادم من يوم السبت هذا الذي قد بدأ للتو، غير أن هاتفه قد رن. نظر أندريه إلى شاشة جواله ورأى، بأن الرقم مجهول. من الغريب. لم يحدث هذا منذ مُدة طويلة. يمكن، أن لا أُجيب؟

لكنه على الرغم من ذلك قد أجاب - وسمع في سماعة الهاتف بغير وضوح صوتًا عاليًا معروفًا مصحوبًا بنبرات معدنية بغیضة.

- مرحبًا، أندريوشا، - تحدّث في سماعة الهاتف - كيف يمكن أن نلتقي؟ يوجد عمل شيق...

- أرجو المَعذرة، مع مَنْ أتحدّث؟ - لم يفهم.

- مِنْ الْمُعِيبِ، مِنْ الْمُعِيبِ أَنْ تَنْسَى الْأَصْدِقَاءَ الْقَدَامَى، يَا
أَنْدْرِوْشَا. أَلَمْ تَعْرِفْنِي؟ رَاذِدُوبُودُكُو لَقِيْ. أَرْنُوْلُدُ بِيْتْرُوْفِيْتِشْ - تَتَذَكَّرُ
شَخْصًا بِهَذَا الْاِسْمِ؟

- مَنْ يَنْسَاكُمْ، - ضَحَكَ أَنْدْرِيه - وَسَأَكُونُ فَرْحًا، لَوْ يَحْدُثُ -
دَائِمًا يَظْهَرُونَكُمْ فِي التَّلْفَازِ...

- وَمَا عَسَايَ أَفْعَلُ، يَا عَزِيزِي - فِي السَّمَاعَةِ خُيِّلَ إِلَيْهِ ضَحْكُ
مَرْتَجٍ. - الْوَضْعُ يُجْبِرُ، النَّائِبُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ شَخْصِيَّةً عَامَةً. أُنَلِّقُ؟
نَقُولُ، خِلَالِ بَضْعِ سَاعَاتٍ. أَنَا الْيَوْمَ أَنْوِي الذَّهَابَ إِلَى الْحَمَّامِ الشَّعْبِيِّ،
فِي بَرِيْسِنِيْنْسْكَايَا، وَلَدِيْهِمْ هُنَاكَ مَطْعَمٌ لَطِيفٌ لِلْغَايَةِ. نَجْلِسُ، وَنَتَنَاوَلُ
الطَّعَامَ، وَنَتَذَكَّرُ مَرَحَلَةَ الشَّبَابِ، نَتَنَاقِشُ فِي الْعَمَلِ.

أَوَّلُ مَا خَطَرَ فِي بَالِ أَنْدْرِيه أَنَّهُ لَا تَوَجَّدُ لَدَيْهِ أَيُّ أَعْمَالٍ مَعَ رَاذِدُوبُودُكُو
وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ، لَكِنَّهُ أَمْسَكَ لِسَانَهُ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ. هَلْ كَانَ
يَتَوَجَّبُ أَنْ يَتَصَرَّفَ مَعَهُ بِصَرَامَةٍ، أَيْعْقَلُ هَذَا؟ نَعَمْ، وَقْتُ مَا تَصَرَّفَ
أَرْنُوْلُدُ مَعَهُمَا بِصُورَةٍ غَيْرِ جَمِيلَةٍ لِلْغَايَةِ، لَكِنْ مِنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ انْقَضَى
قَرَابَةُ عَشْرِينَ سَنَةً. وَكَانَتْ أَوْقَاتُ كَهْذِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بِشَكْلِ
آخِرٍ - التَّسْعِينِيَّاتِ الْعَصِيْبَةِ، الْكُلُّ يَخَادِعُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. الْآنَ كُلُّ
شَيْءٍ مُّخْتَلِفٌ... وَهُوَ مَعَ دِيْمَكَ لَا يَعُودُ أَوْلَئِكَ الْأَوْلَادُ طَرِيبِي الْعُودَ،
الَّذِينَ افْتَتَحُوا شَرَكَةً، بَلْ أَنَاسٌ وَقُورُونَ يَمْتَلِكُ الْاِمَالِ وَالْحِرَاسَةَ. غَيْرِ
أَنْ رَاذِدُوبُودُكُو الْآنَ أَصْبَحَ شَخْصًا مُّخْتَلِفًا، لَيْسَ شَخْصِيَّةً مُّبْهَمَةً مَا
بِمَسْحَةِ إِجْرَامِيَّةٍ... كَلَّا، يَجِبُ أَنْ نَلْتَقِيَ، لَا بُدَّ أَنْ نَلْتَقِيَ. لَكِيْ أَعْرِفُ
بِالضَّبْطِ مَا يَرِيدُ أَرْنُوْلُدُ التَّحَدُّثَ بِهِ.

في الواقع ظهر المطعم التابع لحمام بريسنيسكي، الذي لم يسبق لأندريه لأمر ما أن يلقي نظرة عليه، لطيفًا ومُريحًا، وطعامه لذيذ. ولكن الناس قليلون - الغداء في الثالثة والنصف يُعدّ وقتًا مُتأخرًا، بينما العشاء مُبكرًا. أرنولد، الذي كان ينتظر أندريه، جلس إلى طاولة عند النافذة في زاوية هادئة، حيث لا يستطيع أحد أن يُعيق حديثهما. الشبان المُفتولون العضلات الذي يرتدون بدلات سوداء كانوا يحرسون بعناية مدخل المكان الشعبي.

بصورة مُدهشة، لم يتغير رازدوبودكو كليًا رغم مرور عقدين تقريبًا - النحافة تلك، وتلك الصلعة، وملامح الوجه غير المُعبّرة والناعمة، وَحَتَّى النظارات ذات الطراز نفسه. وزجاج النظارات كان يومض بشكل بغيض وبشماتة.

«كم يمكن أن يكون عمره؟ - فكر أندريه - قُرابة الستين، رُبّما، يمكن، إلى حدّ ما قُرابة الستين. يعني، حين تعرفنا عليه آنذاك، في الساونا، كان تقريبًا في ذلك السنّ، الذي أنا فيه الآن. وكان يبدو عجوزًا...»

على أي حال، عندما أنهى أرنولد ثرثرة الترحيب الفارغ وانتقل للحديث عن العمل، لم يكن أندريه يفكر حتّى بالاستدلال العقلي، كيف يطير الوقت بسرعة.

لدى رازدوبودكو عرض له - ملموس، ويجب أن يعترف، بأنه عرض مُغرٍ للغاية. شخص من مدينة سانت بيتربورغ استهوته فكرة شراء مجموعة «ام كا اي». ويود هذا الشخص الراغب بالشراء أن

يبقى مجهولاً في الوقت الحالي، وهو إنسان وقور جداً ورفيع المقام (كالمُعتاد كما كان يحدث هذا لدى أرنولد). وموقع «يديناميشلينيكي» اهتمَّ به كثيراً، وباتَ مُستعدّاً أن يعطي بسخاء لقاءه، بالتمام والكمال - ثلاثمائة مليون دولار.

- كم - كم؟ - أعاد أندريه السؤال بانفعال. في الآونة الأخيرة عرضوا عليه وعلى ابن خالته مراراً بيع الشركة، ووعدهما بمبلغ ليس بالقليل، لكن لم يصل الأمر إلى مبالغ خيالية كهذه أبداً.

- بالمقدار تحديداً، المقدار الذي سمعته، - أوماً رازدوبودكو. - من البديهي، أن تهمة الشركة كلياً. عند الضرورة القصوى الحصة المهيمنة من الأسهم.

- أترون، يا أرنولد بيتروفيتش... - كان أندريه قد بدأ، لكن المُتحدث لم يدعه يكمل حديثه.

- تمهل، أنا لم أُنهِ حديثي بعد. طبعاً، نحنُ، - هو شدد على هذه الكلمة، - نعلم، كيف قُسمت الأسهم في شركتكما. لا أحد منكما يمتلك الحصة المهيمنة. لكنه يمكن أن يظهر المالك، إذا أنت لم ترتكب حماقة. كما يبدو، لدرجة ما أنا أعرف، ذلكما السهمان «الذهبيان» خاصتكم، كما أنتما أسميتموها، الاثنان بالمائة لا أحد يمتلكهما إلى حدّ الآن؟

أندريه، المُندهش بمعرفة كهذه للمُتحدث، لم يحر جواباً. مع ذلك، لم يكن أرنولد بحاجة إلى هذا.

- أنا قررت أن أتحدث معك عن هذا بالتحديد - أتم هُوَ - لوحذك.
لأن مع ابن خالتك شريكك في العمل لن أتمكن من الاتفاق معه.
أفكاره، كالمعتاد، مشحذة فقط في الكمبيوتر. بينما أنت لا زلت تترك
في كما في الأوقات القديمة الطيبة انطباعاً كفتى ذكي. وإذا اتخذت
قراراً صائباً، فيمكنك أن تضمن لنفسك مُستقبلاً لا بأس به...

- وأي مُستقبل بالتحديد؟- اهتمّ أندريه، مُحاولاً بكل قوّته، لكي
لا يظهر في صوته اضطراب، بل التهكم. حدث الاضطراب، على أي
حال، ليس مُهمّاً.

- أولاً، الأموال. ثلاثمائة مليون - تتفق معي على أنها أموال
مُعتبرة. مُمكن أن تعيش بمبلغ كهذا كلياً، حتّى إذا خطرَتْ ببالك فكرة
أن تقاسمه مع ابن خالتك ضعيف الإرادة. في أيّ حال تكفي لبُرين
نفطيين. أعتقد، لا ينبغي أن أشرح لك، بأن الوقت الحالي ليس زمن
التسعينيات، لا تحشر نفسك في العمل الخاصّ بالنفط ببساطة هكذا،
لن يأخذوك إلى هناك من الشارع. لكن إذا أنت تعاونت معي - وقتئذ
سيكون عملاً آخر. آه، أليس من الصحيح، أن الوضع الاجتماعي لمالك
العمل النفطى سيكون أكثر اعتباراً، من وضع مالك لصفحات الإنترنت
المُسلية بالنسبة لمُهندس تقني منبوذ في مكتبه...

ومن جديد أراد أندريه أن يجيب المُتحدث، لكن مرّة أخرى لم
يدعه يفتح فمه.

- هذا الأمر الأوّل، - قال هُوَ. - أما الأمر الثاني - في سنواتك
حان الوقت أن تهتم بالسياسة. ليس فقط نظرياً، جالساً على الأريكة

أمام التلفاز، بل، بإذن التكلم، عمليًّا. ولم لا؟ أنت شاب، وعاقل، وقوي العزم، وجذّاب. من حيث المبدأ توجد لديك جميع الحظوظ.

- أي حظوظ بالضبط؟ - ضحك أندريه. - أن أكون رئيس روسيا الاتحادية؟

- تذكر، ما قاله سوفوراف^(٦٦)؟ - أجاب المُتكلم - الجندي السيئ ذاك، الذي لا يحلم أن يصبح جنرالًا.

- وتنتظرنى حياة رغيدة في الحال - تتمم أندريه، شاربًا المياه المعدنية. - أبيع الشركة - وتنهال عليّ، كالسيل المنهمر، كل الثروات الحياتية المُمكنة وغير المُمكنة... وماذا يحدث إن رفضت ذلك؟

- لا أنصحك، - نظارات أرنولد برقت باللمعان المعدني المعروف ذاك، - بصراحة لا أنصحك. هذا عمل منذر بالعواقب. رفضك يمكن أن يغضب الشخص الجيد، ولا يجب أن ترفض للناس الجيدين أمرًا؛ لأنه سيكون للأمر تداعياته... الآن، طبعًا، ليس زمن التسعينيات، لكن، يمكن، في أيامنا أن تحدث أمور غير سارة لرجال الأعمال. قد يفجرون سيارة ما أو يقتل القناص أحدًا ما وقد تتحطم الطائرة وهي تقل أحدًا ما. وقد ندهام وحدات الشرطة الخاصة مكتبًا ما وتكون العاقبة وخيمة...

(٦٦) ألكسندر فاسيليفيتش سوفوراف (١٣ [٢٤] تشرين الثاني ١٧٣٠ - ٦ [١٨] ايار ١٨٠٠) - قائد جيش روسي، واضع النظرية العسكرية الروسية. بطل روسيا القومي. حاز على رتبة قائد الجيوش الأعلى (١٧٩٩)، جنرال مارشال (١٧٩٤)، جنرال مارشال الامبراطورية الرومانية المُقدّسة (١٧٩٩)، المارشال العظيم لقوات البيدمونتية، حصل على جميع الأوسمة الروسية في زمنه، طوال مسيرته بوصفه قائدًا للجيوش لم يهزم في أي معركة، خاض أكثر من ٦٠ معركة. معروف برعايته للجنود. (المُترجم).

- ماذا أنتم تقولون؟ تهددونني؟! - اعترض أندريه بشدة.

- مَنْ؟ أنا؟ - وجه رازدوبودكو عبرَ عن اندهاش للغاية. - معاذ الله، يا أندريوشا، وَمَنْ أنا، حَتَّى أَهددك؟ ببساطة أعطيك نصيحة صديق. أو كما يقال، رفيق قديم.

أيتوجَّب القول، بأن أندريه غادر هذا اللقاء، وَكان في داخله اضطراب نفسي تام؟ نبدأ مِن ذلك، بأنه قد ضجر مِن «يديناميشلينيكى» منذ مُدَّة طويلة. غير أن المشروع، بالطبع، جاء بالمكسب، وَمكسب مُعتبر، وَالأموال، كما قال أحد أباطرة الرومان، لا تفوح منها الرائحة - أيَّ اختلاف، كما بدا، بأيِّ شيء بالضبط تكسب؟ لكن بكل حال مِن الأحوال أندريه في قرارة نفسه مؤخرًا كان يخجل مِن عمله التجاري، لأنه إلى حدِّ ما اعتبره فاقداً لأهميته، بأن وجدَ أرنولد اللعين وسيلة لوخزه بالتحديد في نُقطة الضعف: مع ذلك، مواقع التواصل الاجتماعي - هذه ليست نفطاً، وَلَا غازاً، وَلَا معادن وَهلم جرا. ليست عملاً جدياً إلى حدِّ ما.

لكن، مِن الطبيعي، لم يكن سبب فقدان أندريه الاهتمام تجاه عمله التجاري مُتعلقاً في هذا فحسب، بل امتلك أسباباً أُخرى. وَلانه قبل عام وَنصف العام - لعامين خامرته أفكار بيع هذه الشركة برمتها التي ضاق بها ذرعاً، التي بذل بها عملاً مُضنيّاً وَجهداً، وَأَن يُغادر روسيا إلى مكان ما في أوروبا. هُناك، حيث المعاملات المُتحضرة، دُون أولئك الموظفين الفاسدين، الذين يسعون لوضع أيديهم الطماعة في جيبيك، دُون أولئك البلطجية البلداء الذين يظهرون مِن وقت لآخر أمام عملك،

وَدُونَ هذا غياب الاستقرار الاقتصادي والقانوني المُرمن، حين لا تعرف، ما ينتظرك يوم غد، لو لم يكن هناك كل ذلك لكان مُمكنًا إطلاق مشروع جيّد جديد ما... لا يزال العمل غير واضح تمامًا، لكن لا بُدَّ أن يبتكر شيئًا ما. وَها هُوَ ذا عرض أرنولد. الأمر المفهوم، أندريه ليس ساذجًا لتلك الدرجة، لكي يثق في النفط، والسياسة وامتيازات أُخرى، لكن كل شيء جائز... في الواقع يمكن أن أبيع المجموعة، ما داموا يطلبونها بالحُسنى؟ وَإِنْ تبدأ بالعناد - ففجأة، في الحقيقة ستنفجر سيارة «بيتلي» ذات الطراز المُتكامل وَأَنْتَ بداخلها.

في الآونة الأخيرة جرت بينه وبين ديمَا جدالات جدّية لمرات عديدة بشأن الإدارة المُقبلة للعمل التجاري. والعناد المتعذر إقناعه لابن خالته قد أغضبَ أندريه بصورة تفوق الوصف. كلا، هُوَ فتى، طبعًا، جيّد ومُتخصص مُمتاز في مجال عمله، لكنه ليس رجل أعمال بأيّ شكلٍ مِنَ الأشكال! لا مرونة عملية، ولا تفكير واعد. حاولَ أندريه مرارًا أن يلمح لابن خالته بأن ليس مِنَ السيئ بيع العمل التجاري ومغادرة المكان، ديمَا كان يدرك عَلَى الدوام بصورة واضحة، بأن شركتهما عزيزة عليه، وأنه بذل الكثير مِنَ الجهد في هذا الموقع وَلَا ينوي أن يبيع أيّ شيء.

- كما يقول الإنكليز: لا تلمس شيئًا، ما دام يعمل جيّدًا - أَجَابَ بتفاخر عَلَى عرض أندريه. هذا المُغفل لا يعي الأشياء الأساسية - اليوم تعمل، بينما يوم غد سيأتي أناس مُحترمون جدًّا وَيلتهمونها، مثل سمك قرش السردين.

بعد لقاء أرنولد حاولَ أندريه مرّة أُخرى التحدث مع ابن خالته،

كما تُسمّى، يحاول المُحاولة الأخيرة. سرد في الحديث كل الحُجج المُمكنة، ساعيًا إلى أن يفطن ديمكا، بأن الأمور إذا كانت تسير الآن بصورة جيّدة، هذا لا يعني مُطلقًا، بأنها ستستمر على هذا النحو على الدوام.

- تفهم، هذا مثلما يحدث مع نجوم المنوعات الموسيقية - كان يُحاول إقناعه- أولئك الذين يغادرون عملهم وَهُم شبان، وَفي أوج مجدهم، يقعون في التاريخ. أولئك، مثل فيسوتسكي^(٦٧) أو، لنقل، مايكل جاكسون. أو أولئك، الذين قلّ عطاؤهم منذ مُدّة طويلة، ينتهون مثل الفنانين، الذين فقدوا جُمهورهم، لكن إلى الآن لا يزالون يعتلون خشبة المسرح وَيحاولون أن يصوروا مِنْ أنفسهم أمرًا ما، - أولئك يظهرون بمظهر مُثير للشفقة للغاية...

- عفوًا، لكني لأمر ما لم أستطع أن أفهم فكرتك- ديمكا، كالمُعتاد، يتحدّث معه، ناظرًا إلى شاشة الكمبيوتر- ما الصلة بين المنوعات الموسيقية ومجموعتنا؟

- هي ذاتها! ها هي ذي الآن وسائل التواصل الاجتماعي مثل الموضة، أليس كذلك؟ لكن ستمر بضعة أعوام بعد - والاهتمام بها سينخفض كثيرًا.

- حسنًا، أولًا، هذه ليست الحقيقة- اعترض ديمما- في الغرب،

(٦٧) فلاديمير سيمونافيتش فيسوتسكي (ولد ٢٥ كانون الثاني/ يناير ١٩٣٨ في موسكو. توفي ٢٥ تموز/ يوليو ١٩٨٠). شاعر سوفيتي وممثل ومؤلف منفذ للأغاني؛ مؤلف النتاجات النثرية. (المُترجم).

عَلَى أَيِّ حَالٍ، هَذَا الْإِهْتِمَامُ لَا يَزَالُ إِلَى الْآنِ يَتَزَايَدُ. وَثَانِيًا، حَتَّى إِذَا حَدَثَ شَيْءٌ كَهَذَا، نَحْنُ نَسْتَطِيعُ دَائِمًا أَنْ نَتَدَبَّرَ أَمْرًا جَدِيدًا، وَبَسْهُولَةٍ نُغَيِّرُ اتِّجَاهَ نَشَاطِ شَرِكَتِنَا وَنُدِيرُ مَشْرُوعًا جَدِيدًا. وَهَلْ هَذِهِ أَوَّلُ مَرَّةٍ تَحْدُثُ مَعَنَا؟ تَذَكَّرْ، نَحْنُ بَوَاجِهٍ عَامَ بَدَأْنَا مِنْ تِجَارَةِ الْكُومْبِيُوتَرَاتِ. وَكَمْ نَوْعًا مِنَ النِّشَاطِ غَيْرِنَا طَوَالَ هَذَا الْوَقْتِ؟ لَا عَلَيْكَ، سَتَتَدَبَّرُ الْأَمْرَ.

- مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذِهِ الثِّقَةُ؟- نَهَضَ أُنْدَرِيهَ مِنَ الْكُرْسِيِّ وَعَرَجَ عَلَى مَكْتَبِ ابْنِ خَالَتِهِ- وَإِذَا لَمْ نَتَدَبَّرِ الْأَمْرَ؟ إِذَا لَمْ نَصْمَدِ إِزَاءَ الْمُنَافَسَةِ؟ سَيَتَخَطَّانَا الشَّبَابُ سَلِيطُوا اللِّسَانَ... وَفِي نِهَآيَةِ الْمَطَافِ، أَنَا وَأَنْتَ تَعْدِينَا سَنَ الْأَرْبَعِينَ، لَمْ يَعْذِ الرَّأْسُ ذَاكَ كَمَا كَانَ فِي الْوَقْتِ السَّابِقِ. سَتُظْهِرُ تَقْنِيَاتٍ جَدِيدَةً مَا.

- لَا شَيْءٌ يَدْعُو لِلْقَلْقِ! - أَشَارَ دِيمَا بِتَفَاوُلٍ - سَنُضْطَلَعُ بِالتَّقْنِيَّاتِ الْجَدِيدَةِ. أَنَا لَا أَنْوِي أَنْ أَقْفَ مَكْتُوفَ الْأَيْدِي، سَأَفَكِّرُ، وَسَأَقْدِرُ عَلَيْهِ...

- طَيِّبٌ، يَا دِيمُونُ، دَعْنَا نَتَحَدَّثَ بِجَدِيدَةٍ - كَفِ أُنْدَرِيهَ عَنْ ذِرْعِ الْمَكْتَبِ ذَهَابًا وَإِيَابًا وَجَلَسَ عَلَى حَافَةِ الْكُرْسِيِّ. - يَوْجَدُ عَرْضَ عَرْضِ شَيْقٍ لِلْغَايَةِ.

- مِنْ مَنْ؟

- لَيْسَ مُهِمًّا مِنْ مَنْ. الْمُهْمُ - كَمْ. ثَلَاثُمِائَةِ مَلْيُونِ.

- أُنْدَرِيُوخُ، نَحْنُ قَدْ تَحَدَّثْنَا عَنْ هَذَا الْكَثِيرِ مِنَ الْمَرَّاتِ... - تَأَفَّفَ دِيمَا- كَمْ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ أَكْرُرَ الشَّيْءَ ذَاتَهُ؟ لَا أَنْوِي أَنَا أَنْ أَبِيعَ الشَّرِكَةَ!

- دِيمُونُ، أَنْتَ، كَمَا يَبْدُو، لَمْ تَسْمَعْ الْمَبْلَغَ؟ لَذَا سَأَكْرُرُ: ثَلَاثُمِائَةِ

مليون. دولارات، يا ديمكا، دولارات، وليس بالروبل!

- وليكن خمسمائة! - ضربَ دميتري الطاولة بيده بانزعاج - لتكن دولارات، ولتكن باليورو، ولتكن بالين! لن أبيع أنا شركتنا لقاء أي أموال! لا أريد! كيف يمكن أن أشرح لك هذا، لكي تفهم؟
- اللعنة، يا لك من عنيد؟ مثل حمار.

انفجر ديمكا فجأة بالقهقهة.

- هذا أنا العنيد؟ مُمكن التفكير، هذا أنا مرّة في الشهر أضجرك بالانتظام المستحب جدًّا «لنبيع لنبيع». حسب رأيي، بالضبط كل شيء على العكس. وَالْحَمَارُ هُنَا لَسْتُ أَنَا تَمَامًا... مِنَ الْمُحْتَمَلِ، أَنَّ هَذَا الْعَرَضَ الْمُغْرِي بِالنَّسْبَةِ لَكَ يَبْدُو أَنَّهُ خُدْعَةٌ. إِذْ أَنْتَ لَا تَوَدُّ أَنْ تَقُولَ مَنْ عَرْضَهُ عَلَيْكَ، يَعْنِي، الْأَمْرُ مُنَافٍ لِلْقَانُونِ.

- اغرب عن وجهي! - لم يحتمل أندريه، وخرج بسرعة من المكتب. في تلك اللحظة كان حائقًا للغاية على ديمكا. وقرّر بحزم بالنسبة له، أن يبيع الشركة، مهما كلفه الأمر.

يمكن، كل شيء كان سيمر بسلام، لو لم يذهب ابنا الخاليتين في ذلك المساء إلى الاحتفال الرفيع المقام، حيث كرّموا الفائزين بمُسابقة «أفضل عمل - مشروع العام». عرفَ دميتري وأندريه منذ مُدَّة طويلة، بأنهما سيظهران في عِدَادِ الْحَائِزِينَ عَلَى الْجَوَائِزِ، وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ، أَنَّ الْحَضُورَ كَانَ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِمَا ضَرُورِيًّا. فِي هَذِهِ الْحَالَةِ وَجِبَ بِعَجَلَةٍ أَنْ يَتَصَالَحَا - وَلَا يَظْهَرَا لِلنَّاسِ خِلَافَهُمَا! عَلَى هَذَا النِّحْوِ أَتِيَا مَعًا، لَكِنَهُمَا

دخلا متفرقين، وَبِنشاط وقفا لالتقاط الصور أمام الحاضرين وَمُمثلي وسائل الصحافة وَالإعلام بوصفهما شركاء مثاليين، اللذين لا تربطهما روابط قرابة وَعلاقات عمل فحسب، بل علاقات صداقة حقيقية.

ديمكا، كما يبدو، في الحقيقة اعتبر عَلَى هذا النحو. عَلَى أي حال، تحدّث مع ابن خالته بالشكل الْمُعتاد - هُوَ بوجه عام كان سريع العفو بطبيعته، نادراً ما يتخاصم مع أحد، وَسُرعان ما ينسى الخلافات، لا سيما تلك، التي يمكن بطريقة ما تسويتها. بينما كان أُندرية عَلَى النقيض منه. حين دعوهما إِلَى المنصة، لكي يهنئوهما بالفوز، كان مقدما الحفل، مُمثل مشهور وَمقدمة برامج تلفازية معروفة نوعاً ما، يقاطعان بعضهما البعض وكانا يعظمان جودة مشروع «يديناميشلينيكي». لكن، كما بدا لأُندرية، تحدّثا فقط عن مآثر ديمكا، عقله، موهبته، وَتفكيره المُبتكر، وَعن، كيف قيموا في عصرنا الناس بذكاء عالٍ، القادرين عَلَى إنشاء ابتكارات جديدة وَضرورية للبشرية. وَتحدّثوا قليلاً عن مآثر أُندرية الغاضب، الذي، في الحقيقة، أسس جانب العمل التجاري للمشروع برمته. وَبعد انتهاء مراسم الاحتفال، حيث بدأت التهاني غير الرسمية، استمرت كل الأمجاد لتكون مِن نصيب ديمكا - عَلَى أي حال، بالتحديد هكذا تراءى لأُندرية. نعتوا ابن الخالة الأكبر بالمُتميز، العقل الكمبيوترى، وَالنخبة الفكرية لروسيا وَنعتوا أُخرى مادحة - بينما لم يتطرقوا بالحديث عن ابن الخالة الأصغر عَلَى وجه الدقة. أجهزت الصحافية الشقراء الشابة كلياً عَلَى أُندرية، التي تعمل في إحدى المجلات الدورية اللامعة.

- لديّ إليكم سؤال بشأن ابن خالتكم، دميتري سالاب- تحدّثتُ

هي بصورة سريعة- قولوا لي، كيف هذا - العمل في مكان واحد مع العبقري؟

- صعب، من المُفترض، - أجابَ أندريه. - لكن لماذا أنتم، تسألوني عن ابن خالتي؟ ألا يمكن أن تسألون عني شخصيًا؟

- وَلَمْ نسألکم؟ - صفقتُ الشقراء برموش عينيها الطويلة- كما يبدو هُوَ صاحب فكرة مشروع «يدينا ميشلينكي»، نصفه بالعقل المُفكر. كما يبدو فكرة إنشاء وسائل التواصل الاجتماعي قد خطرت في رأسه في وقت مُبكر، مِن هذا... حسنًا، كيف يسمّونه... مِن فيلم... تسوكيرمان.

في وقت آخر كان سيفسّر أندريه، لرُبّما، لهذه الجاهلة بابتسامة مُتشامخة، غير أنها فتاة جميلة، بأن اسم مؤسس الفيسبوك ليس تسوكيرمان، بل مارك تسوكيربيرغ، وأن فكرة مواقع التواصل الاجتماعي ظهرت في وقت مُبكر جدًّا مِن الأحداث، التي تحدّث عنها الفيلم. لكنه كان في مزاج سيئ وَلذا بصورة غير مُتوقعة كشف عما في داخله:

- وَمَاذا يعني، بأن دميتري - صاحب فكرة المشروع؟ وأنا - مُنفذه. بالتحديد أنا جسدتُ فكرة العمل التجاري عَلَى الواقع، وَطَوّرتها، أوصلتُ الموقع إلى أفضل ثلاثة مواقع، وَحَقَّقَ أرباحًا لا مثيل لها. لماذا المُبرمج يهتمكم أكثر مِن رجل الأعمال؟

- ... - ذُهلَّت الفتاة الشقراء. - رُبّما، لأن رجال الأعمال كثيرون، وَدميتري سالا ب واحد...

طبعًا، في قرارة نفسها لم تنو أن تغضب أندريه، هي تفوهت بكلام كهذا، غير مُفكرة، لأنها تمر ببساطة بمرحلة الشباب ولا تمتلك الخبرة. لكن بالنسبة لكوليكون تصرّحها هذا كان القطرة الأخيرة، التي أفاضت قدح الصبر. مُتكلّمًا مِن بين أسنانه بشيء ما غير مفهوم، أتمّ الحوار الصحفي على عجل وغادرَ الحفل، غير مُنتظر نهايته.



الفصل الثامن

أنا التقيتكم - وهذا كل شيء...

كان مزاج أندريه مُعكراً كلياً. تقريباً لأول مرّة يشعر بأنه مُعكر جدّاً في حياته لهذه الدرجة. لم يُود شيئاً: لا أن يتصل بحبيباته (على الأقلّ أن يلتقي معهن)، ولا أن يتعرّف على جُدد، ولا يذهب إلى المطعم أو النادي الفخم، ولا يمارس الرياضة، ولا يلتقي أصدقاءه... باختصار، لا شيء من هذا القبيل، الذي كان يمنحه شعور المُتعة في وقت سابق. طوال اليوم بعد الحفل، كان هذا يوم سبت، قضاءه في البيت، الذي ليس من عادته تماماً أن يبقى فيه، رغم أن لديه في المسكن كل ما يحتاجه - عُرف رحبة، مُصممة ومؤثثة حسب ذوقه، مسكن يقع في الطابق الثالث والستين لواحد من مباني مجمع «برج فيديراتسيا» في المركز التجاري الدولي «موسكو - ستي». يطل من النوافذ الكبيرة التي تغطي تقريباً كل الجدار، منظر على العاصمة من ارتفاع شاهق، الذي يجعل بعض الناس مُبتهجين، بينما يُثير الرعب لدى البعض الآخر. ينتمي أندريه للفئة

الأولى، راقَتْ له شقَّتَه للغاية، موقعها وَتصميمها - لكنه اليوم لم يشعر بأيّ انفعالات إيجابية، حين جال بالغُرف وَتطلع حوله.

منذ الصباح، تارة يجلس، وَتارة يضطجع عَلَى الأريكة، وَكان يشرب القهوة وَالكونياك، وَيُشاهد التلفاز، وَتارة يشاهد فيلمًا ما - لكن لم ينل اهتمامه أيّ فيلم، أو برنامج. وعلى هذا النحو، بالكاد ضغط عَلَى زر الإغلاق في جهاز تحكم التلفاز، لم يستطع أُنديره أن يتذكر، ما رآه قبيل دقيقة. طارحًا جهاز تحكم التلفاز، مشى إِلَى الحمام، نازعًا ملابسه في أثناء السير وَقاذفًا إياها حيثما وصل، تمدد عَلَى طوله في الجاكوزي، لكن حَتَّى الماء الدافئ، لم يشغله عن الأفكار البغيضة. غضب أُنديره عَلَى ابن خالته - تمامًا كما كان يحدث في الطفولة، حين امتدحوا ديمكا وَأثنوا عليه: «آه، يا له مِن فتى ذكي!» وَقتئذ تبين لأُنديره الصغير، بأن هذه الكلمات في الحقيقة تمتلك هدفًا واحدًا موحّدًا - الإدانة، الموجهة إِلَيْه، لأُنديره. كأنه، مع الأخذ في الاعتبار ذكاء وَمواهب ابن خالته، وَأَن البالغين يسعون إِلَى إظهار هذا، بأن أُنديوشا، بالمُقارنة بديما غبي، صغير وَعديم النفع...

«أسافر، إِلَى مكان ما... - فكر أُنديره، مُتقلّبًا في الجاكوزي سواء بهذا الشكل أو بذلك، لكي يجعل جسده مُمسدًا بتأثير سيل الماء وَالبخار. حَتَّى أبعد... وَأرتاح مِن الأعمال، وَمِن سلاب... يا لها مِن فكرة!».

لا يود أن يُسافر لوحده إِلَى الخارج، يُفَضِّل أُنديره أن يتسلى دائمًا لوقت طويل بصحبة أحد ما. وَأَن يذهب لبضعة أيام إِلَى بيتير في عز

أيام الليالي البيضاء^(٦٨) - فكان ذلك الخيار الأفضل بالنسبة له. لا سيما أن الأعمال في العاصمة الشمالية قد أُنجزت. والأمر الأساسي منها كان اللقاء مع المُشتري المُحتمل لمجموعة «ام كا اي»، الذي عزم رازدوبودكو أن يجمعه به. اتخذ أندريه قرارًا حاسمًا بالذهاب إليه وأن يُناقش كل شيء شخصيًا، وليس عبر الوسطاء. في نهاية المطاف، الطلب لا يُكلف مالاً^(٦٩)، وهو لن يعد بشيء، ومن الضروري أن يُدقق التفاصيل.

قُضي الأمر. في صباح اليوم التالي استقل أندريه قطار «سابسان» وخلال بضع ساعات وطأت قدماه رصيف محطة قطار موسكو فسكي. كانت جميع اللقاءات العملية مُخططًا لها أن تبدأ فقط من يوم غد، لأنه كان لديه الكثير من وقت الفراغ. وصلَ أندريه إلى الفندق، الذي كالمُعْتَاد كان يمكث فيه على الدوام، استحم، وغير ملابسه وذهبَ للتسكع في المدينة. كان شهر حزيران/ يونيو، الوقت الرائع للزهور والخضرة النضرة الغزيرة. كان الطقس مُمتازًا، فنادراً كما هو معروف أن يحدث في بيتربورغ، وسيكون ببساطة إثمًا إن لم يغتنم فرصة كهذه. كان أندريه يسير على مهل في الشوارع مُفكرًا بمشكلاته، مُلاحظًا في الوقت ذاته في قرارة نفسه، بأنه هنا سيُفكر بطريقة ما أسهل مما لو كان في موسكو. في البيت كانت تُساوره شكوك ما باستمرار، وتناقضات... بينما هنا في

(٦٨) الليالي البيضاء - ظاهرة تحدث في سانت بيتربورغ إذ تأبى الشمس أن تغيب فتكون ساعات النهار أكثر من الليل وأحيانًا تبدأ من نهاية شهر أيار/ مايو إلى منتصف شهر تموز/ يوليو. (المُترجم).

(٦٩) مثل روسي. (المُترجم).

الحال أصبح واضحًا، بأنه لا يمكن أن يكون رأيان - مجموعة «ام كا اي» يجب أن تُباع. وَعَلَى عجلة، دفعة واحدة لأجلها يعرضون أموالًا جيّدة كهذه. يمكن أن لا تكون فرصة ثانية كهذه. وَدِيمكا لا يعي هذا - أن ذلك سيكون أسوأ بالنسبة له. يتحتم أن نضعه أمام الأمر الواقع. في الحقيقة، ما دام لديه مع ابن خالته فقط تسعة وأربعون بالمائة من أسهم المجموعة، لا يستطيع أندريه أن يبيع شيئًا دُونَ موافقة الشريك. لكن، كما قال رازدوبودكو، مُمكن التغلب عَلَى هذه العقبة. لأجل هذا يكفي فقط أن أحصل عَلَى ملكية هذين السهمين «الذهبيين» من الاحتياط المؤمن للشركة. مع ما يمتلكه أندريه ستصبح النسبة واحدًا وخمسين بالمائة، يعني الحصة المهيمنة، وَحينئذ كل المشاكل ستُحل. يجب التفكير بِصُورة حسنة فحسب، بالتحديد الاستحواذ عَلَى هذه الأسهم. كما يبدو ليس من دُونَ سبب أخذهما من الخزائنة بكلمات: «تدري، يا ديمون، أنا قررت - أصبح الآن السهمان لي». حَتَّى بغض النظر عن أنه مع ابن خالته يمتلكان وثائق مُصدّقة من كاتب العدل، التي تؤكد، بأن لا أندريه كوليكوف، وَلَا ديمتري سالاب يعارضان نقل الأسهم لشخص ثالث آخر. ورقة كهذه هُما ادخراها تقريبًا في الحال بعد تأسيس الشركة، في حال، إذا فجأة يحتاج إلى تسجيل السهمين لشخص ما في أسرع وقت مُمكن.

في سير التأمّلات هذه، عندما كان يتنزه في وسط المدينة ويتفرج عَلَى بيتربورغ القديمة، لم يلاحظ أندريه نفسه، كيف وصل إلى شارع أبتيكارسكي. في مطعم «Ginza Project» قد افتتحوا شرفة صيفية

مُريحة. جلسَ أُنْدرِيه إلى واحدة من الطاولات وطلب مشروب
الويسكي المحبوب بالنسبة له.

مُرتشفًا المشروب، تطلع في القاعة ساهيًا. عبر طاولتين منه تجلس
فتاة، أفلتَ نظرة تجاهها، التفت، وبعد ذلك من جديد نظر إلى الفتاة
عفويًا. جذبت انتباهه بشيء ما بكل ما فيها. على أي حال، ليس فقط
انتباهه - لم يكن يتوجب بصورة خاصة إلى حد ما أن تُحدّق، لكي
تُلاحظ، كيف أن جميع الرجال الموجودين في الشرفة من حين إلى
حين يتطلعون تجاهها بنظرات مُهتمة.

من المظهر كان سنّ الفتاة تقريبًا عشرين عامًا على الأكثر. يشد
جسدها ثوب ضيق قصير، مثل قفاز يد، هيئة مُغربية لقوام رشيق، وكعب
عالٍ أبرز الطول غير الحقيقي للأرجل الممشوقة. الشعر الأشقر،
المُنسدل بسهولة على الأكتاف والنازل حتّى وسط الظهر، تراءى طبيعيًا
بصورة مُطلقة، في الوجه الحسن لم يتم ملاحظة آثار للبوتكس أو أي
تدخلات أخرى لجراح العمليات التجميلية، بدا الوجه شابًا ونضرا.
كانتُ تقرأ كتابًا ما بمظهر ذكي وبتركيز، كما بدا، لم تلاحظ شيئًا
مما حولها. تطلع أُنْدرِيه إليها أكثر انتباهًا. هذه الفتاة تُذكره بصورة
مُدْهشة بشخص ما، لكنه لوقت طويل لم يستطع بأيّ حال من الأحوال
أن يدرك، مَنْ تشبه هي. رُبّما، هي مُمثلة أو عارضة أزياء وهو قد رآها
على شاشة التلفاز أو في مجلة لامعة؟ أو شيء من هذا القبيل. لم يسبق
لهما أيضًا أن التقيا، لكان قد تذكرها. ومع ذلك يوجد تشابه، مع واحدة
ما من معارفه... شيء ما بعيد، يمكن أن يكون، من مرحلة الشباب...

باللعنة، طبعًا! هذه الفتاة تشبه دينا بصورة مُدهشة. لكنها لا تشبهها حين أصبحت سيدة مُسنة، التي تشبّت مثل مُتطفل، في ديمون لسنوات كثيرة على نحو يائس تُحاول الزواج منه، بل تشبهها، حين هي كانت قبيل عشرين عامًا... حتّى أكثر، قبيل ثلاثة وعشرين عامًا، حينها اعترف أندريه بمُتعة كبيرة، بأنه قضى معها بضعة أسابيع في الفراش. على الرّغم من أنه صادق دينكا ليس لأنها أعجبتّه، بل بصورة استثنائية بهدف إزعاج عاشقها ديمون. أخ، أي أوقات جميلة كانت...

فجأة خطرت برأسه فكرة، التي بدت في بادئ الأمر مُضحكة، بل حتّى سخيفة وخرقاء. لكن بعد بضع جدالات فكر أندريه: «ولم لا؟» لم تكن فكرة سيئة التي فكرتُ بها... طبعًا، ينبغي أن يكون كل شيء كما يجب أن أفكر مليًا وقبيل كل شيء أن أجري استطلاع المعركة... لكن إذا أعطى الاستطلاع نتيجة ايجابية، فيجب أن يكون كل شيء تحت التجربة. كما معروف، لا ضير من المُحاولة.

استمر بمُراقبة الفتاة وسرعان ما أدرك أنها غير مولعة بكتابها مُطلقًا، مثلما تُريد هي أن تُظهر هذا. في الحقيقة هي سرعان ما تظاهرت، بأنها تقرأ، لأنها من حين لحين بالكاد بصورة ملحوظة تنظر في الصفحات وفي الوقت نفسه تطالع الحاضرين. وفي لحظة ما أفلتت نظرة منها ناحية أندريه. الانفلات - توقف على وجهه لوقت طويل نوعًا ما، من وجوه الحضور الباقين، ومن هذه النظرة سرت بظهر أندريه قشعريرة مدغدة في تلذذ. بينما شاحت الفتاة بتلك الأوقات بوجهها ومرة ثانية تعمقت بكتابها. لكن أندريه قد عرف، أن هذا سيدوم لوقت قصير.

وَهَذَا مَا حَدَثَ. سُرَّعَانَ مَا رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا نَحْوَهُ مَرَّةً أُخْرَى. بِالْكَادِ ابْتَسَمَ أُنْدَرِيهِ بِصُورَةٍ مَلْحُوظَةٍ لِلْفَتَاةِ الْغَرِيبَةِ، ابْتَسَمَتْ لَهُ لَوْ قَدْ قَصِيرٌ وَبِخَجَلٍ. دَارَ رَأْسُ أُنْدَرِيهِ بِسُرُورٍ جَرَاءِ شَرَابِ الْوَيْسَكِيِّ، جُلَّ الْمَشَاكِلِ أُرْجِئَتْ لَوْ قَدْ أُخِرَ. فِي الْحَقِيقَةِ، لَمْ لَا تَنْتَسِلْ قَلِيلًا؟ الْفَتَاةُ، كَمَا يَبْدُو، لَيْسَتْ بِالضَّدِّ تَمَامًا. وَهِيَ نَحْنُ ذَا الْآنَ نَتَفَحَّصُ الْأَمْرَ...

اسْتَدْعَى النَّادِلَ وَطَلَبَ أَنْ يَجْلِبَ لَطَاوِلَةَ الْفَتَاةِ الْغَرِيبَةِ كَأَسِ Rose . خِلَالِ بَضْعِ دَقَائِقٍ تَمَّ تَنْفِيزُ الطَّلَبِ، وَاقْتَرَبَ النَّادِلُ مِنْ طَاوِلَةِ أُنْدَرِيهِ.

- طَلَبْتُ أَنْ أُنْقَلَ لَكُمْ هَذَا. - وَضَعَ عَلَى الطَّاوِلَةِ قِصَاصَةً وَرَقَ مَكْتُوبًا فِيهَا رَقْمَ هَاتِفِ جِوَالٍ.

مُفَكِّرًا لَوْ قَدْ قَصِيرٌ، أُنْدَرِيهِ تَنَاوَلَ هَاتِفَهُ وَكَتَبَ الْأَرْقَامَ الْإِلَازِمَةَ.

- لَمْ أَتَوَقَّعْ، أَنْكُمْ سَتَتَصَلُّونَ هَكَذَا بِسُرْعَةٍ - صَوْتُ نِسَائِي لَطِيفٌ فِي أَنْ وَاحِدٍ عَلَا فِي سَمَاعَةِ الْهَاتِفِ وَدَوَّى مِنْ جَانِبِ طَاوِلَتِهَا.

- لَمْ أَرْغَبْ أَنْ أَهْمَلَ حَظِي، قَالَ أُنْدَرِيهِ أَوَّلَ مَا خَطَرَ فِي رَأْسِهِ.

- لَكِنْ تَتَفَقَّهُونَ مَعِي، مِنَ السَّخِيفِ هَذَا - أَنْ نَتَحَدَّثَ بِالْهَاتِفِ، فِي حِينِ تَفْصِلُنَا عَلَى الْأَكْثَرِ طَاوِلَتَانِ. بِالْمُنَاسَبَةِ مَا اسْمُكُمْ؟

- أُنْدَرِيهِ.

- لِي الشَّرَفُ بِمَعْرِفَتِكُمْ، وَاسْمِي فَيْكََا^(٧٠).

- مَاذَا سَتَفْعَلُونَ الْيَوْمَ مَسَاءً، يَا فَيْكََا؟

(٧٠) فَيْكََا، فَيْكُوسِيَا - تَصْغِيرٌ وَتَحْيِيْبٌ اسْمُ فَيْكُتُورِيَا. (الْمُتَرْجِمُ).

- دعني أفكر... من المُحتمل، أَلتقي بكم، - ضحكت الفتاة بتغنج.
- إذن، يمكن، أن لا نؤجل الأمر ونبدأ لِقاءنا مُباشرةً الآن؟ - اقترح
هُوَ باستمالة.

- كلا، اعذرني، الآن لا أستطيع بأي حال من الأحوال - أجابت -
ينبغي عليّ أن أغادر بسرعة. دعنا نلتق في السّاعة السابعة، جيّد؟
- بالتأكيد. أين؟

- في بادئ الأمر مُمكن هُنا. وبعد ذلك نُقرر.

- اتفقنا!

ضابغةً على زر إنهاء المكالمة، ابتسمت له فيكا مرّة أُخرى،
ارتشفت ما تبقى من القهوة التي أمامها، وبعد ذلك استدعت النادل
وطلبت الحِساب. انتظر أندريه بفضول، ما سيحدث فيما بعد. يلمح
المعارف الجدد غالبًا في الظروف المُشابهة، ويعرضون عليه دُون
مُواربة دفع حِسابهم. لكن فيكا لم تفعل شيئًا من هذا القبيل. هي فتحت
مجلد الحِساب، ونظرت إلى الوصل بداخله نظرة خاطفة، أخرجت
حافطة النقود، وسحبت منها ورقة ذات خمسمائة روبل، ووضعتها في
مجلد الحِساب، نهضت من مكانها وسارت إلى الخارج - وطوال هذا
لم تتطلع ناحية أندريه. باستثناء لفطة كلمح البصر عندما خرجت من
الشُّرفة، وبابتسامة لوحت بيدها له وتوارت عن الأنظار.

بقي أندريه راضيًا للغاية بما رآه.

«ماذا، يا فتاة، - هُوَ ذهنيًا اتجه نحو فيكا - أوّل امتحان اجتازته

بدرجة «امتياز». إذا استمر الأمر عَلَى هذا النحو، كما يبدو، سيحدث
لديّ كل شيء...»

السّاعة السابعة إلّا ربّعاً كان أندريه يجلس إلى طاولة المطعم، لكن
في هذه المرّة لم يجلس في الشُّرفة، بل في الداخل - كان المساء لا يزال
مُنْعَشاً. أتت فيكا مُتأخّرةً بالضَّبْط خمس دقائق. في هذه المرّة كانت
ترتدي ثوباً آخر، في آن واحد أكثر حشمةً، وأكثر أناقةً.

- أنتناول الطعام؟ - اقترح أندريه، عندما جلستُ عَلَى الكرسي
قبالته - أنا شخصياً لم أنعش بعد.
- إذا أمكن شيء ما خفيف... سلطة فواكه، عَلَى سبيل المثال.
وقهوة.

- مع الكونياك؟

- أوه كلا، إلّا الكونياك! - اختلجت الفتاة.

- ألا تُحبين الكونياك؟ - انتقل أندريه بطريقة ما غير ملحوظة إلى
مُخاطبتها بـ «أنت».

- ليسَ لأنّي لا أحبه... لديّ بسببه شيء ما بمثابة حساسيّة.

- إذن كأس من النبيذ؟

- هذا مُمكن.

- أيّ نوع؟

- الأفضل نبيذ مَرّ.

- بالتأكيد.

أعطى الطلب للنادل وبابتسامة ودية تحوّل إلى رفيقته.

- وماذا، فيكا، حدثيني عن نفسك...

- لا أعتقد أن هذا سيكون بالنسبة لكم شيئاً شيقاً- غضت الفتاة بغنج بصرها.

- أنا أودُّ للغاية أن أعرف عنك كل شيء.

- ماذا بالضبط؟

- على سبيل المثال، ماذا تفعلين، تعملين أم تدرسين؟

- أنهيتُ جامعة الثقافة والفنّ. - لعبتُ أصابع فيكا بزاوية المندبل المُخرم الناصع البياض - قسم إدارة السياحة العائلية.

- كيف تُلفظ بصورة رزينة - باعد أندريه بصورة مُضحكة بين يديه، مُمثلاً التعجّب - وماذا، هل تعملين بالاختصاص؟

- ما زلت لا أعمل. أنا فحسب في العام المنصرم حصلت على الشهادة الحمراء، بالمُناسبة، - ابتسمت فيكا بغنج.

- يا له من إنجاز...

جلبوا لهما المقبلات وقنينة نبيذ فرنسي مُمتاز. مُنتظراً، أن يملأ النادل الكؤوس، أخذ أندريه كأسه وأعلن عن النخب:

- وماذا؟ أنشرب نخب تعارف الصدفة بيننا، لكنه لطيف جداً؟

- بكل سُرور. لي الشرف للغاية بهذا التعارف أيضاً.

تلامس الكأسان برنين رخيم.

مُحتسبًا قليلًا من النبيذ، واصل أندريه أسئلته:

- أتعيشين مع والديك؟

- كلا، أعيش لوحدي. آلت الشقة إليّ بالورثة من جدتي، هنا في
حي بيتراغرادسكي. ليست شقة جيّدة، طبعًا، صغيرة، والمبنى عتيق...
غير أنها في وسط المدينة.

- وماذا عن والديك؟

- أطباء بيطريون. لدى بابا عيادة خاصّة، ماما تعمل في مستوصف
البلدية.

«هذا، طبعًا، ليس الخيار الأفضل... - جال في بال أندريه - من
الجيد، طبعًا، عائلة ميسورة جدًّا. على الرغم من ذلك، ربّما، لا بأس به.
طبيب بيطري... كلاًّ مهنة مُتنوّرة. عسى ولعل تنفع فيما بعد».

- أندريه، الآن دوركم تحدّثوا عن أنفسكم، - أشارت فيكا، حين
ملاؤا كأسيهما مرّة ثانية.

- حسنًا، هذا لن يكون مُمتعًا للغاية - ضحك هو - ليست أُمّي -
طبيبة بيطرية، ولا أملك شقة في حي بيتراغرادسكي، ولا شهادة حمراء.
لا أستطيع أن أتباهى بشيء.

- كفوا عن التظاهر بالتواضع - ضحّت فيكا بالضحك - أنا أرى،

أنكم لا تحلقون «بموس حلاقة شيك^(٧١)». كما يبدو أنكم رجل أعمال، أليس كذلك؟

- حزرت. لديّ حقيقة عمل تجاري ليس كبيراً في موسكو.

- أيضاً لأمر ما حزرت في الحال، أنكم من العاصمة - أومأت

الفتاة. - وستمكثون هنا لوقت طويل؟

- لبضعة أيام على وجه الدقة - أعطى هو مسبقاً جواباً جاهزاً -

وهناك - مثلما تسير الأمور...

- بصورة واضحة. أممکن أن أعرف، ماذا أنتم بالضبط تعملون؟

- بمثابة أعمال صغيرة. - أندريه، من الطبيعي، لم ينو أن يكشف

أمامها كل الأوراق.

- في أيّ مجال؟ - استمرت فيكما بمحاولة الاستكشاف.

- في الكمبيوترات.

- هذا، ربّما، مُمتع...

- ليس مُمتعاً للغاية ومُضنّ جداً - لوح أندريه بيده - من الأفضل أن

نتحدّث عن أمر آخر. قولي، على سبيل المثال، أنت لم ترغبي أبداً أن

تكوني ممثلة؟

- طبعاً، أردت. لكن، برأيي، جميع الفتيات يودنّ هذا... ما الأمر؟

(٧١) موس حلاقة مُستورد وهو الأوّل، ظهر في الاتحاد السوفيتي منذ ثمانينيات القرن الماضي وكان يُعدّ في حينه موضة، لكن الآن لم يعد أحد يستعمله ومن يستعمله دلالة على التخلف. (المترجم).

- لا شيء حاليًا- أجاب أندريه، جاعلاً التوكيد على الكلمة الأولى.
- فقط لا تقولوا، بأنكم تنوون تصوير فيلم وتريدون دعوتي لدور البطولة- ضحكت فيكا.

- وَلِمَ لا؟

- لأنني بكل الأحوال لا أصدق. أمر كهذا يحدث فقط في السينما.
- آه، يا فيكا... - تأوه أندريه بتصنع- أنتِ تقولين هذا، ولا زلتِ شابة. لو عشتِ مثل حالي- لعرفت مع بلوغك الشيخوخة، أن في الحياة أشياء كثيرة...

- اوي، وأنتم تتحدّثون أيضًا، عن الشيخوخة... ما زلتم بعيدين عن الشيخوخة جدًّا جدًّا.

- كم عمري، برأيك؟

- حسنًا، ثلاثون تقريبًا. أعلى تقدير ثلاثة وثلاثون. حزرتُ؟

- تقريبًا.

من جانب كان مُمكن أن يظهر حديثهما فارغًا، ثرثرة لا معنى لها للرجل والمرأة المُتعارفين للتو، اللذين اهتمَّ أحدهما بالآخر والآن يُحاولان في صيغة مؤدبة لحدّ ما أن يشغلا الوقت، الذي يفصلهما عن السرير. غير أن في الحقيقة كل شيء حدث بشكل آخر. ببساطة لم يكن الحديث بالنسبة لأندريه مع فيكا ثرثرة بمسحة المُغازلة، بل بالمسامرة لانتقاء المرشحة للدور المُهم جدًّا. والفتاة ذاتها، لا إرادياً مُشاركة في توزيع الأدوار هذا، وبدأت بالحدس تفهم، أن هنا لن يكون كل شيء سهلاً، كما يبدو في النظرة الأولى...

جلسا في المطعم إلى وقت مُتأخر، بعد ذلك طلب أندريه سيارَة
أجرة وأوصل فيكا إلى البيت. كلما كان أقرب من مدخل المبنى
خاصَّتها (أرجو المعذرة، إلى المدخل الأمامي، كما يبدو جرى الأمر
في سانت بيتيربورغ)، سيكون أكثر تشويقاً لأندريه. كان من الفضول أن
يعرف، كيف ستتصرف، حين يحطم التصور النمطي، كما يسمَّى، ولا
يظهر المُبادرة ويستبق الأحداث؟

- ها هو ذا مسكني - أرت فيكا مبنى ليسَ عاليًا جدًّا ذا بناء عتيق،
قبيل مائة عام تقريبًا، من المُمكن، كان يُعدَّ جميلًا للغاية.

دخلت سيارَة الأجرة إلى الفناء وتوقفت عند الباب المطلوب. فيكا
وأندريه نزلا من السيَّارة وودعا بعضهما البعض.

- شكرًا على السهرة الرائعة - قالها فقط لامسًا إلى حدٍّ ما يديها،
لكن لم يفعل أي مُحاولات أكثر للتقرب - كان لي الشرف الكبير أن
أتحدَّث معك.

- ماذا دهاكم، هذه أنا التي يجب أن أشكركم على هذا المساء
اللطيف - أجابت فيكا.

سادت في الهواء فترة صمت. انتظرت الفتاة بصورة جلية المواصلَة،
صمتَ أندريه بتعمد، نظر إليها فقط وابتسم.

- إذن أتمنّى لك ليلة سعيدة - قالت فيكا بلطف، ولم يتعال في
صوتها شعور بالمرارة، ولا الضجر، ولا الدهشة. سحبت الفتاة الباب
الثقيل، ودخلت إلى المدخل الأمامي، وسرعان ما ترامى إلى أندريه

عبر النافذة المفتوحة عند السلم صوت طقطقة كعبيها - المصعد، كما يبدو، لم يكن موجودًا في هذا المبنى.

«ممتاز! - أسر أندريه في نفسه. - كما يبدو، إني محظوظ - أنا وجدتُ بالضبط ما أحتاجه!»

سمح الجدول الحياتي لأندريه البقاء في بيتربورغ لبضعة أيام أخرى، وهُوَ بسرور انتَهز فُرصة كهذه. غير أنه لم يستعجل بالاتصال بفيكا، على الرغم من أن رقم هاتفها محفوظ في ذاكرة هاتفه. انتظر أندريه، ليدع الفتاة تُعرِّف عن نفسها بنفسها. لكن فيكا لم تقل شيئًا.

خلال يومين أجرى أندريه جميع اللقاءات العملية المُخططة، التي في أثنائها أكدت كل كلمات أرنولد. «الشخص الجيد»، الذي تحدّث عنه رازدوبودكو، في الحقيقة كان شخصية رفيعة المُقام للغاية، في الواقع أبدى اهتمامه للغاية بشراء شركتهما وفي الحقيقة كان مُستعدًا لدفع ثلاثمائة مليون دولار لِقائها. لكن، من المُفترض، حسب شروط شراء المجموعة بشكل كامل، وليس نسبة التسعة وأربعون الزهيدة من الأسهم. وعد أندريه أن يُفكر ويعطي الجواب في الوقت القريب، في غضون شهر أو شهرين. وخرج من اللقاء في قناعة راسخة، بأنه لا بُدَّ أن يحل هذه المُشكلة. ليس لديه خيارات أخرى.

بعد هذه المُحادثات المُهمة ببساطة كان من الضروري أن يسترخي، وفي مساء يوم الثلاثاء تعرّف أندريه على وجه الدقة أيضًا، في المطعم، بفتاة جميلة باسم أليينا. استمر التعارف تقريبًا حتّى الصباح، وطوال هذا الوقت عكف أندريه باستمرار، أن يُقارن بين

أَلْبِينَا وَفِيكَ. صديقته الحالية في مساء واحد بدتْ مُثْلَةً عَادِيَةً مِنْ طَبَقَةِ الْمَوْلَعَاتِ بِالرِّجَالِ الْمِيسُورِينَ، الَّذِينَ يَعْبُجُونَ إِلَى حَدِّ مُعَيَّنٍ فِي مَطْعَمٍ مُعْتَبَرٍ مَا، فِي حَانَةِ أَوْ نَادٍ. فِي أَثْنَاءِ التَّعَارُفِ قَدَّمتْ أَلْبِينَا نَفْسَهَا عَلَى أَنَّهَا طَالِبَةٌ فِي الْجَامِعَةِ التَّقْنِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهَا وَاجَهَتْ مُشْكَلَةً كَبِيرَى فِي تَحْدِيدِ الْوَقْتِ الْمُتَبَقِيِّ عَلَى رَفْعِ الْجُسُورِ فِي الْمَدِينَةِ^(٧٢). هِيَ فَهَمَتْ بِحِمَاسٍ عَرَضَ أَنْدَرِيهِ لِلْعِشَاءِ مَعًا، طَلَبَتْ أَعْلَى الْوُجِبَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ وَفِي الطَّرِيقِ إِلَى فُنْدُقِهِ، كَانَتْ مَخْمُورَةً، بَدَأَتْ تَشْكِي بِأَنَّ «لَدَيْهَا بَعْضُ الْمَشَاكِلِ فِي الْحَيَاةِ» - أَنَّ تَدْفِعَ أَجُورَ الدِّرَاسَةِ الْبَاهِظَةِ، لَا تَمْتَلِكُ مَلَابِسَ أَنْيَقَةٍ لِلْإِحْتِفَالِ الْمُقْبَلِ فِي الْمَعْهَدِ، وَأَيْضًا هِيَ يَوْمَ أَمْسٍ أَسْقَطَتْ هَاتِفَهَا، الَّذِي اصْطَدَمَ بِحَافَةِ الرِّصِيفِ وَالْآنَ يَتَوَقَّفُ بِاسْتِمْرَارٍ عَنِ الْعَمَلِ. أَنْدَرِيهِ، مِنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ تَعُودُ عَلَى هَذَا النُّوعِ بِكَثْرَةٍ، لَمْ يَرَفْ لَهُ جَفْنَ لِلْكَلامِ الْفَرْدِيِّ الْإِنْفِعَالِيِّ الْمُؤَثِّرِ. قَرَّرَ مِنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، أَنَّ يَدْفِعَ لِهَذِهِ الْفَتَاةِ فَقَطْ لِقَاءَ الْجَنْسِ، وَهَذَا الدَّفْعُ سَيَكُونُ بِصِرَاحَةٍ مُتَعَلِّقًا بِمَدَى إِعْجَابِهِ بِمَا تُقَدِّمُهُ لَهُ فِي الْفِرَاشِ. لَا تَسْتَحِقُّ أَلْبِينَا الْكَثِيرَ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ. لَكِنْ، عَلَى أَيِّ حَالٍ، مُقَارَنَةٌ بِهَا بَدَتْ فِيكَ أَكْثَرَ مُتَعَةً... وَبِصُورَةٍ جَلِيَّةٍ أَكْثَرَ تَشْجِيْعًا.

فِي مَسَاءِ يَوْمِ الْخَمِيسِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ اتَّصَلَ عَلَى هَاتِفِ فِيكَ. عَرَفْتَهُ الْفَتَاةَ فِي الْحَالِ وَفَرَحَتْ بِالِاتِّصَالِ. تَحَدَّثَا قَلِيلًا بِأَمْرِ مَا وَقَرَّرَا الْذَهَابَ إِلَى السِّينِمَا، كَانَ يُعْرَضُ فِيلْمٌ «قِرَاصِنَةُ الْبَحْرِ الْكَارِيْبِيِّ».

(٧٢) تَرَفَعَ الْجُسُورُ فِي مَدِينَةِ سَانْتِ بِيْتِرِبُورْغٍ مِنْ أَجْلِ مَرُورِ الْبَوَاخِرِ وَالسَّفْنِ وَهُنَا يَقْصِدُ الْكَاتِبُ مَوْعِدَ الْفِرَاقِ. (الْمُتَرْجِمُ).

أمر طبيعي، لأجل هذا الهدف تم اختيار أفضل دار عرض سينمائي في المدينة وصالة VIP مريحة.

بعد العرض عرج أندريه وفيكَا على مطعم، ناقشا في أثناء تناول العشاء الفيلم الذي شاهدوه للتو وتطابقت آراؤهما، بأن أي فكرة مُمتازة، مُمكن أن تفشل، إذا استمر استغلالها إلى ما لا نهاية.

«لو أن ديمكا يدرك أخيراً هذا... - جال في بال أندريه - لما تعلق في موقعه المشؤوم هذا «يديناميشلينكي»، مثل قرادة، ولا يود أن يعرف شيئاً آخر...»

إذن، كما ناقشته مُحدثته بشأن الفيلم، راق لأندريه للغاية أيضاً. بغض النظر عن السنّ الشاب، لم تكن الفتاة غبية للغاية، وهذا أعطاها فرصة إضافية. ولأندريه، طبعاً، أيضاً.

بعد المطعم لم يعد يتظاهر بالأدب، في الحال دعاها لمواصلة السهرة في عُرفته. وفيكَا، لمتعته الكبيرة لم ترفض. في الفراش فاقت كل توقعاته. طبعاً، أندريه، بخبرته الغنية للحديث مع الجنس الناعم، يعرف النساء جيّداً، استطاع مُسبقاً أن يستشف، كيف تتصرف تلك السيدة أو غيرها في موقع العاشقة، ومن النادر أن يخطئ في تنبؤاته. لكن فيكا أذهلته ببساطة - خبرة كهذه وشهوانية ناضجة، التي عادة تختص بها امرأة أكبر في السنّ، هو لم يتوقع هذا من امرأة شابة. غير أنه على الأغلب لم يرق له إتقانها، بل راق له تصرفها نحو ما يجري. لم تذهب فيكا إلى الحدود القصوى، التي تمتاز به على هذا النحو السيدات الشابات. هي لم تقدّم نفسها للعاشق مثل جوهرة ما، هدية

فريدة، التي لأجلها يتحتم عَلَى الرجل الآن أن يكون ملكها مدى الحياة. لم تفهم العلاقات الحميمة مثل فريضة بَغِيضَة، التي يجب أن تنفذ فقط لأجل كسب المال. وَلَمْ تعتبر، مثل بعض الفتيات الساذجات، أن الجنس - هُوَ بَصُورَة استثنائية ظهور للحُبِّ وَيَعْنِي، في أَثْنَائِهِ يجب حتمًا أن يهمس بعضهما البعض كلمات رقيقة معتوهة مُخْتَلَفَة وَأَنْ يُبَيِّن مَنْ يُحِب الآخر أكثر، وبالنَّهَاية يتكلمان عن حفل الزفاف. استمتعتُ فيكا ببساطة بالاتصال الجسدي مع العاشق الجيّد وَحَصَلْتُ مِنْ جِراء هذا عَلَى الْمُتعة.

حين نهض أُنْدَرِيه المِسْرور للغاية مِنَ الفراش المدعوك، دفعةً واحدة أفرغ ما تبقى مِنَ قِنِينَةِ المِياه المعدنية الموضوعة عَلَى الطاولة الملحقة بالسُرير. وَعَرَضَ عَلَيْهَا:

- أترغبين بالذهاب معي إلى موسكو؟

- فيكا، لامةً أَقْدَامُهَا الطويلة، جَلَسْتُ فِي وَضعية مؤثرة، مُسْتَنْدَةً بظَهرِهَا عَلَى الوسادة وَجَدِيًّا كَانَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ:

- فِي أَيِّ ظُرُوفٍ؟

- هَا هُوَ ذَا الْمَسْلِكُ الْعَمَلِي! - ضَحَكَ أُنْدَرِيه - أَحْسَنْتِ، أَيَّتُهَا الذَّكِيَّة. فِي الْحَالِ أَدْرَكْتُ بِأَنَّكَ ذَكِيَّة.

هَزَّتِ الْفَتَاةُ كَتِفَهَا الْعَارِي.

- شُكْرًا. لَكِنْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ أَوْدُ أَنْ أَسْمَعَ الْجَوَابَ عَلَى سُؤَالِي.

جلسَ أندريه بجانبها عَلَى الفراش، وَارتَمَى بِكُل قُوته عَلَى ظهره وَوَضَعَ يديه خَلْف رَأْسه.

- أَتَرين، يَا فيكا... أَنَا أَستطِيع أَن أَكون مَعكَ صَريحًا؟

- وَهَذَا مَا أُرِيدُه.

- مُمتاز. أَتَرين، يَا فيكا... أَنتِ، طَبْعًا، أَعجَبَتَنِي، لَكِن فِي هَذِهِ الحَالَةِ أَنَا أَحاول لَيْسَ لِنَفْسِي.

- هَكَذَا، أَمْر مُمتع... لِأَجْلِ مَنْ؟

- لِابْنِ خَالَتِي. لِنَفْهَمِي، دِيمَكَا فَتَى جَيِّدٌ جَدًّا، وَبِالْمُنَاسِبَةِ، شَخْصٌ مِيسُورٌ لِلغَايَةِ، لَكِنه غَيْرٌ مَحْظُوظٌ فِي حَيَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ بِصُورَةٍ مُستَديمَةٍ. هُوَ يَحْلُم أَن يَتَعَرَفَ عَلَى فَتَاةٍ جَمِيلَةٍ، وَذَكِيَّةٍ وَمُتَمَتِّعَةٍ، مِثْلِكَ، لَكِن لَا يَحْدُثُ مَعَهُ بِحَالٍ مِنَ الأَحْوالِ. غَيْرِ أَنِّي وَاثِقٌ، بِأَنَّهُ مَا أَن تَلْتَقِيَا، فِي الحَالِ سَيَعْجَبُ أَحَدُكُمَا بِالأُخَرِ. مِنَ الطَّبِيعِيِّ، هَذَا اللِّقَاءُ أَنَا أَنْظِمُهُ. حَسَنًا، وَبِنَفْسِي، أَدْفَعُ لَكَ أَجُورَ الطَّرِيقِ، وَالإِقَامَةِ فِي فُنْدُقٍ جَيِّدٍ وَكُلِّ مَا تَبْقَى.

- يَعْنِي أَنتَ تَريدُ أَن تَدْسِنِي لِابْنِ خَالَتِكَ... لَدَيْكُمْ عِلَاقَاتٌ مُضحِكةٌ فِي العَائِلَةِ، - قَهْقَهَتْ فِيكََا.

- وَلَمْ هَذِهِ الكَلِمَةُ الحَمَقَاءُ - «أَدَسْ» - اِمْتَعِضْ أُنْدرِيه بِتَصْنَعِ - أَنَا أُرِيدُ فَقْطُ أَن أَعْرِفَكُمَا. وَسَأُكونُ فَرَحًا لِلغَايَةِ، إِذَا جُمِعَ شَمْلُكُمَا. دِيمُونُ لَدِينَا إِنْسَانٌ مُنْتَظَمٌ وَيَسْعَى لِلزَّوْاجِ مِنْ كُلِّ فَتَاةٍ تَنَالُ إِعْجَابَهُ.

- وَمَاذَا، هَذَا دِيمُونُكَ أَعُورٌ أَوْ أَحولُ؟ لِمَاذَا لَا يَمْكُنُهُ أَن يَتَعَرَّفَ

بِنَفْسِهِ؟

- كل شيء لديه على ما يرام. ببساطة خجول بطبيعته. ويعمل كثيرًا، لا وقت لديه للتعرف.

- وماذا يعمل؟

- هكذا، مالك شركة صغيرة... تريدان، أن أريك إياه الآن؟

تطلعت فيكما في الغرفة بوجل.

- لا تخافي، إنه ليس هنا! - ضحك أندريه. - أريك الصور، في الإنترنت. ها هو ذا، تطلعي.

أخذ من على الطاولة المكتبية الحاسوب الشخصي، شغله، وولج إلى الإنترنت وخلال لحظات عرض للفتاة صورًا من احتفال يوم الجمعة البهيج، حيث قلدوا «يديناميشليتيكي» كواحدة من أفضل مشاريع العمل التجاري في العام.

- يا سلام! - هتفت فيكما، متأملة الصور وقارئة النص المرافق - أنتما تمتلكان موقع التواصل الاجتماعي «يديناميشليتيكي»؟
- نملكه - ابتسم أندريه.

- أنت لا تخدعني؟ - تجهمت فيكما. - ناولني الحاسوب!

بابتسامة مد لها الكمبيوتر، والفتاة، واطعة إياه على ركبتيها العاريتين، وبسرعة فتحت محرك البحث وأدخلت الطلب باسم ابن الخالة. أندريه أشار مرة أخرى، بأن فيكما ليست غبية. ربّما، حتى ليست غبية للغاية لأجل ذلك الدور، الذي عينه هو لها. لن يخطر على بالها أن تعقد الأمر... على أي حال، ليس من المؤكد أن لديها شيئًا ما سيحدث.

- اقتنعت بأنني لا أخدعك؟ - ضحك.

رفعت الفتاة نظرة متأملة تجاهه.

- أندريه، ثمة شيء ما... اعذرني، لكنني بكل الأحوال لا أثق بك.

- تعتقدين، أنا نصاب، الذي يقدم نفسه رجل أعمال؟

- كلا، ليس الأمر في هذا. أنا أثق بأنك في الحقيقة أندريه كوليكوف، مالك مجموعة «ام كا اي». كم من الصور لديك في النت... لا أفهم شيئاً آخر - لِمَ أنت بحاجة إليّ؟ ليكن كلاهما في بيتير، أنا لن أندعش، بأنك، عندما تمارس الجنس معي، قررت أن تدسني لصديقك، أو مَنْ هُوَ بالنسبة لك هُنَاكَ، ابن خالتك، غالباً يحدث أمر كهذا. لكن أن تجرني إلى موسكو، وتدفع أجور النقل، والفندق وما إلى ذلك... هذا شيء ما كثير.

- وَلِمَ لا؟ الأمر ليس عجباً؟ - ابتهج أندريه - في كورشييفيل^(٧٣)

يملاؤن الحافلات بالفتيات، من المُحتمل، تعلمين، عن ذلك؟

- أعلم، طبعاً، كما يُقال، لدى الأغنياء نزواتهم. لكن القضية ليست في هذا. اعترف: الحيلة في ماذا؟ ابن خالتك مُنحرف، أكل لحم بشر مهووس ما؟ وأنت تُريد أن تستدرجني إلى موسكو بمثابة ضحية له؟ - أهذا ديمكا؟ - فقهه أندريه. - هُوَ لا يُسيء للذباب! طيّب، لا تعاني هكذا، الآن سأروي لك كل شيء.

(٧٣) كورشييفيل - مصيف جبلي في سلسلة جبال الألب من جهة فرنسا. (المُترجم).

الفصل التاسع

تاريخ المحظية

في الحقيقة، لم يخطئ أندريه في اختيار المُرشحة. مُمكن حتّى القول، إنه محظوظ بصورة عجيبة، بأن التقى فيكا. ما دام أن فيكتوريا كورابليفا ذات الاثنين والعشرين ربيعاً بسلوكها، ونمط حياتها وتكوين شخصيتها كانت محظية، وزد على ذلك كانت محظية مُحترفة، بكل معاني هذه الكلمة - لأنها لم تكسب أبداً في الحياة بطريقة أخرى ما ولم تنوِ فعل هذا في المُستقبل، ولأنها أصبحت مُتخصصة حقيقية في مجالها - يُمكن القول، ببساطة أنها بارعة. كان من المُمكن، لو أنها رغبت، لحاضرت في دورة قصيرة للتعليم ومُتعلمي النظام الخاص للتدريب «كيف تُنظم حياتك على حساب الرجال الميسورين». لكن، من الطبيعي، لم تكن لدى فيكا رغبة كهذه. يجب أن تثمر المُنافسة للغاية. يتحتم عليها أن تُصارع باستمرار الكثير من الغريمات لأجل الحصول على مكان تحت الشمس... بالأحرى، الحصول على رجل ثري، الذي يضمن لها المكان. وبهذه الحالة، لكي يكون هذا المكان دافئاً، وجافاً، ومريحاً، ومُناسباً ولا يهب فيه حتّى تيار هواء من أي جهة.

عَلَى أَيِّ حَالٍ، لَمْ تَخْشَ فَيَكَا الْغَرِيمَاتِ بِصُورَةٍ مُفْرَعَةٍ، مَا دَامَ أَنَّهَا
كَانَتْ تَمْتَلِكُ إِزَاءَهُنَّ أَفْضَلِيَّةً كَبِيرَةً. فِي كُلِّ شَيْءٍ، بَدَأَ مِنْ سِيرَةِ حَيَاتِهَا.
كَمَا يَبْدُو هِيَ لَمْ تَنْشَأْ فِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، فِي طَرَفِ مَدِينَةٍ مَا فِي تِيْتَوْشِي^(٧٤)،
فِي مَبْنَى مِنَ الْخَشَبِ دُونَ وَسَائِلِ رَاحَةٍ كَامِلَةٍ، وَلَمْ تَعِشْ حَيَاةَ مُعَذِّبَةٍ
مَعَ أُمِّهَا، وَلَمْ يَكُنِ الْأَبُ مُدْمِنَ خَمَرٍ عَتِيدًا - وَلَا إِخْوَةُ أَعْضَاءِ عَصَابَةِ
شَبَابِيَّةٍ، مِثْلَ جُزْءٍ خَطِيرٍ لَغَرِيمَاتِهَا - أَسْمَاكَ قَرَشَ الْبِرَاكُودَا، اللَّوَاتِي
يَذْهَبْنَ إِلَى هَدْفِهِنَّ بِاسْتِقْتَالٍ. وُلِدَتْ فَيَكَا فِي مَدِينَةِ سَانْتِ بِيْتِيرِبُورْغِ،
الَّتِي كَانَتْ تُسَمَّى حَيْنَنْدُ لِينِنْغِرَادِ، وَكَانَتْ طِفْلُوتُهَا سَعِيدَةً كَلِيًّا، وَفِي
الْبَيْتِ أَحْبَوَهَا... مَعَ بَعْضِ مِنَ الْحُبِّ الْخَاصِّ.

أُمُّ فَيَكَا كَانَتْ أَكْبَرَ مِنْ زَوْجِهَا بِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَتَزَوَّجَتْهُ فِي ذَلِكَ السَّنِّ،
وَكَانَ هَذَا الْفَرْقُ مَلْحُوظًا. كَانَ عَمْرُهَا ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ، وَعَمْرُهُ - سَبْعَةٌ
وَعَشْرِينَ. هِيَ - فِي الظَّاهِرِ قَلِيلَةُ التَّعْبِيرِ، سَاكِنَةُ مَدِينَةِ لِينِنْغِرَادِ طَوِيلَةٍ
وَنَحِيفَةٍ، وَمَالِكَةٌ لَشَقَّةٍ لَيْسَتْ كَبِيرَةً، لَكِنِّهَا مُنْفَرَدَةٌ فِي مَبْنَى خِرَاسَانِي. هُوَ
- فَتَى مُؤَثَّرٌ، الْقَادِمُ إِلَى بِيْتِيرِ مِنْ مُقَاطَعَةِ بِيْسْكُوفِ. تَعَارَفَا فِي الْمُسْتَوْصَفِ
الْبِيْطَرِيِّ، حَيْثُ عَمَلَا، وَوَقَّعَا عَقْدَ الزَّوْاجِ ذَا الْمَنْفَعَةِ الْمُتَبَادَلَةِ. هُوَ حَصَلَ
عَلَى سَقْفِ يَأُويِهِ، وَإِقَامَةِ زَوْجَةٍ مُعْتَنِيَةٍ، مُدْبِرَةَ مَنْزِلٍ، لَكِنِّهَا غِيُورَةٌ
لِلْغَايَةِ. هِيَ حَصَلَتْ عَلَى زَوْجٍ وَسِيمٍ شَابٍ، مَوْضِعٍ لِلْحَسَدِ وَلِلْإِهْتِمَامِ
الزَّائِدِ لِلصَّدِيقَاتِ، وَالنِّسَاءِ الْمَعْرُوفَاتِ وَغَيْرِ الْمَعْرُوفَاتِ. لَمْ تَكُنْ تَهْتَمُ
بِقَطْعَةِ مَرِيضَةٍ أَوْ كَلْبٍ، مَا إِنْ تَصَلَّ إِلَى الْمُسْتَوْصَفِ الْبِيْطَرِيِّ كَانَتْ تَنْسَى

(٧٤) مَدِينَةُ تَقَعُ فِي جُمْهُورِيَّةِ تَنَارِسْتَانِ وَتُعَدُّ مِنَ الْمَدَنِ النَّارِيخِيَّةِ الرَّوسِيَّةِ. (المُتَرْجِمُ).

وعكات حببيها وتبدأ دُونَ أن تعباً بشيء مُغازلة الايباليت^(٧٥) - الوسيم.

مُدركةً وضعها غير المُستقر لدرجة ما، أم فيكا تعجلت بولادة طفل، لكي تشد زوجها بقوة إليها. وقد آتت هذه الوسيلة أكلها. على أي حال، الأب الحديث تعلق ببنته بشدة وأمضى الوقت بسرور معها.

مُحاولين أن يكونا أبوين جيدين، الأم والأب قاما بتربية فيكا بصورة غير عادية للغاية - لم يوبخاها أبداً جراء السلوك السيئ، بل شجعاها على السلوك الحسن. لملمت ألعابها - أنتِ ذكية، ها هي ذي الحلوى لك. وإن لم تُللم - وما هذا، أنتِ مُذنبه، لن تحصلي على الحلوى. غسلت الأواني - ستحصلين على النقود للذهاب إلى السينما. وإذا أنهيت العام الدراسي دُونَ درجة مُتدنية، فيمكنك أن تحصلي لقاء هذا على هدية جيّدة ما، دراجة هوائية، على سبيل المثال.

طبعاً، الوالدان اللذان، ربّما، بصورة لا شعورية نقلا إلى البنت نظام تعاملهما مع زوار العيادة البيطرية، تحدّثا على هذا النحو مع فيكا من الدوافع الحسنة للغاية. بدا لهما، أن الفتاة المُهذبة بالشكل المُماثل منذ السنوات المُبكرة ستدرك، بأن جميع المباهج في هذه الحياة يجب أن تُكسب، وأن تكبر مواظبة، ومثابرة، ويقظة. غير هذا أن ما حدث كان بشكل مُغاير تماماً، ما دام أن فيكا الصغيرة اتخذت من النظام التربوي لوالديها درساً آخر تماماً - إذا أنا جيّدة كهذه، يعني، سأُمنح لقاء هذا شيئاً ما. وزد على ذلك بصورة مُستمرة.

(٧٥) ايباليت - شخصية الطبيب البيطري من قصة الكاتب الروسي كورني ايفانافيتش تشوكوفسكي.

(المُترجم).

بالمظهر هي كانت تشبه والدها، كانت ببساطة طفلةً فاتنةً. وإذا أحد ما من المارين أعجب بها في أثناء النزهة: «آه، يا لها من صبية لطيفة!» - فكانت فيكا واثقة تمامًا، بأنه يجب أن تحصل لقاء هذا على شيء ما لذيذ أو هدية صغيرة. وكيف إذا حدث العكس؟ كما يبدو امتدحوها، وماذا سيحدث لو لم تحصل لقاء هذا المدح على شيء؟ في الصفوف الدراسية الأولى، عائدةً إلى البيت من المدرسة، كانت تصرخ على الدوام من عتبة الباب: «ماما، ينبغي عليك أن تعطيني ثلاث هدايا»، لأنني حصلتُ اليوم على ثلاثة تقديرات جيّدة.

أرضت الطبيعة فيكا في المظهر، وفي العقل أيضًا، والمواهب. درستُ لغاية الصف السادس بسهولة جدًّا، تقريبًا لم تبذل جهدًا، ودائمًا كانت تمتلك حيال هذا نوعًا مُختلفًا لمُكافأة إضافية. في بداية الأمر على حدة، وبعد ذلك في الحجم المُضاعف، من الجانبين، لأن والديها قد انفصلا بكل شيء. امتلكا مسوغات لتلك المشادات الهائجة للغيرة، التي كانت تُضني بها الأم الأب باستمرار، لم تكثر فيكا بهذا للغاية. الأمر الأساسي بالنسبة لها في الوضع العائلي كان بأن الوالدين المتشاجرين حتّى النهاية حاولا أن يسحباها كلٌّ إلى جانبه. وفي هذا الصراع ليس في الحياة، بل في الموت، الذي، للأسف، ليس نادرًا على هذا النحو يُصاحبهما الطلاق ويكون الطفل غالبًا السلاح الأساسي له، كل واحد منهما استعمل وسيلته المؤثرة للغاية - الرشوة.

- إذا لم تُجيبني على الهاتف، حين يتصل أبوك، ولا تتحدّثي معه، فأنا سأشتري لك دمية جديدة، - أوعزتُ الأم.

- أقنعي أمك أن تدعكِ تذهبين معي إلى المنزل الريفي، - استمال الأب- هُناك تنتظركِ مُفاجأة.

طبعًا، أرادتُ فيكا الدُّمية، والمُفاجأة الخفية في آن واحد. وهي تعلمتُ الكذب والتحايل، لكي تحصل على كلا الشيئين. وفي المُستقبل - سيكون الأكثر. خلال بضع سنوات أُضيف الابتزاز لطريقتها للتأثير على والديها.

- وماذا سيكون لي لقاء هذا؟ - سألتُ هي الأب، حين أراد أن يأخذها معه في عطلة نهاية الأسبوع. - كلا، أنت الآن قل، وأنا سأفكر، أريد أنا هذا أم لا. لأنه إذا لم أكن أريد، فأنا لن أذهب.

- إذا أنتِ لم تشتري لي بنطال جينز جديدًا، أنا سأغادر للعيش مع أبي! - أشارت البنت ذات الأحد عشر ربيعًا لأُمها- أبي طيب، هُو دائمًا يشتري لي كل شيء، ليس مثلك.

وَبقيتُ الأم في حيرة فحسب، كيف حدث هذا، بأن ترعرع لديها طفل جشع كهذا...

ما إن كبرت اكتشفت اكتشافًا غير سار للغاية. أدركتُ، بأن والديها، كما لم تتصوّرهما، بكل الأحوال ليسا في وضع يضمن تلبية جميع رغباتها. ليس لأنهما لا يرغبان، بل لأن هذا في الواقع ليس في مقدورهما، وإمكاناتهما المالية لا تسمح. راتب الأم، التي عملتُ في عيادة البلدية، لم يكن كبيرًا، ولم يكف للملابس الأنيقة، وللتسلّيات الباهظة الثمن. الأب، الذي يُمارس عمله الخاص، يكسب أكثر بقليل، لديه حتّى ما يمكنه أن يأخذ البنت مرّة في العام إلى مصر أو تركيا ويهدي

لها هاتفًا محمولًا وكومبيوتر - لكنه لم يمتلك لا سيّارة باهظة الثمن ومُعاصرة، ولا شقّة فاخرة بجاكوزي وشاشة لوحية في كل جدار، ولا بطاقة ائتمان مصرفي. وسواء شئت أم أبيت، لكن يتوجّب أن تتقبل هذا. حتى سنّ الخامسة عشرة أدركت فيكا كليًا، بأنها خلقت بصورة استثنائية للحياة الجميلة. لا ترغب أن تنشأ في فقر، وأن تعيش حياة مُتقشفة، وأن تعمل نهارًا وليلاً لقاء أجر زهيد - مُستقبل كهذا ليس لها. وإذا لم تكن محظوظة على هذا النحو مع عائلتها ولا يستطيع والداها أن يؤمنا لها كل «الأمر الضرورية»، فيتحم أن تصنع مصيرها بيديها. وبأقدامها الجميلة، والطويلة والممشوقة.

تطلعت حولها وسرعان ما وجدت الهدف، الذي بدا لها كليًا ترشيحًا ملائمًا لدور مصدر رفاهيتها. الهدف يعيش في البيت المُقابل لبيتها، امتلك سيّارة «تويوتا» رصاصية، صاحب كرش من جراء شرب البيرة، وصلعة ملحوظة وميل كبير تجاه الفتيات الشابات. راقبته فيكا مرارًا، كيف يأتي بالفتيات تقريبًا بعمرها إلى بيته، يمكن أكبر بقليل. هو لم يدع فيكا نفسها تمر مرور الكرام أيضًا، في أثناء اللقاء كان يُعريها بعينه على هذا النحو. وهي قررت أن تُجرّب - ولم لا؟

مُرتديةً بصورة أكثر إغراءً، ذهبَت فيكا إلى الفناء وسرعان ما صادفت ما تبحث عنه. الجار بالضبط قفل عائداً إلى البيت - وبالفرح فيكا! كان اليوم لوحده. ما إن ركن سيارته، حتى سارت الفتاة بجانبه لبضع مرات على مهل، مانحةً إياه التمتع بمنظرها الفاتن، الذي تقمصته، بعد ذلك وقفت الفتاة جانبًا وبدأت بنفسها حديثًا لعوبًا. تبادلًا أطراف

الحديث - وعرض الجار عليها أن تصعد معه. وافقت فيكا برضاها،
وبرغبتها احتست كأسًا من شراب الليكيور^(٧٦)، الذي قدّمه لها مالك
الشقة المضيف. بيد أنها تنحت بحزم، حين شرعَ باحتضانها.

- على مهلكم! أنا ما زلت عذراء...

- يا سلام؟ - استغرب هو- ولم إذن جئت؟

- أحتاج إلى المال للغاية... - بسذاجة صفقت فيكا بـرموشها.

- وكم تحتاجين؟

- عشرة آلاف روبل. - في ذلك الوقت هذا المبلغ بدا لها ببساطة
كبيرًا.

حدّق الجار فيها بأعين شبهة.

- وأنت موافقة؟ .. معي؟ .. لقاء عشرة آلاف؟

- طبعًا. وإلا لم جئت إليك؟

- أنا سأعطيك هذا المبلغ، - وعدّها، احتضنها بعنف مُتحمسًا
انحناءات جسدها الفتى - سأعطي... إذا كنت فتاة حسنة... وأصغيت
إليّ...

موقف كهذا للمسألة كان بالنسبة لفিকা مُعتادًا عليه كُليًا. لذا هي
فقط أغلقت عينيها واستعدت للتحمل. لدهشتها، بدا الأمر ليس مؤلمًا
هكذا. على أي حال، ليس لهذه الدرجة، كما تروي صديقاتها.

(٧٦) شراب الليكيور - شراب مسكر محلي. (المُترجم).

حصلتُ وهي خارجة على العشرة آلاف المنشودة خاصتها مع
نظرة ضراعة، التي شيعها بها الجار.

- هل ستأتين مرةً أخرى؟ - سألها، وتعالَت في صوته نبرة التماس.
- سنرى، - ضحكتُ فيكا.

في هذه اللحظة أحسْتُ للوهلة الأولى بنفسها امرأة. امرأة، التي
جمالها يمتلك سُلطة لا حدود لها على الرجال - إذا، طبعاً، تمكنت أن
تستخدمه.

بعد يومين، عائدة من المدرسة وضاربةً برجلها الأوراق الذهبية
الأولى، التي سقطت من شجرة القيقب الكبيرة التي نمَتْ في فنائهم،
لاحظت الفتاة من بعيد الجار، الذي يسير ذهاباً وحيثاً حول مقدمة بيتها،
وفي الحال أدركتُ لِمَ هو يقف هنا.

- فيكوسيا، - بدأ يدمدم، مُلقياً نظرة التماس في عينيها. - أنا
كنت أنتظرك... يمكن، أن تعرجي إليّ؟
- وماذا سأملك لقاء هذا؟ - ضيقتُ فيكا عينيها بغنج.
- أعددتُ لك هدية...

في هذه المرة لم تشعر بالألم مُطلقاً. حتّى، ربّما، شعرت باللذة،
على الرغم من ذلك، من الطبيعي، أن الجار لم يعجبها إطلاقاً. لكن
بدا، أنه عندما يشترون لك مجموعة فواحة من العطور لمستحضرات
التجميل ذات جودة عالية، الموضوعة على الطاولة بجانب السرير،
وفي هذا السرير ذاته مُمكن الحصول على المُتعة مع ذلك الرجل، الذي

بالنسبة لك ليس لطيفاً للغاية.

مع ذلك، كان لدى فيكا توق في تلك اللحظة للحياة أيضاً. ها هو ذا قرابة العام ونصف تتواعد زميلتها في الصف الدراسي داشكا^(٧٧) ماروزافا مع طالب من المؤسسة التعليمية الخاصة بالمسرح، فحل مثل هذا، وسيم، مثل أنطونيو بانديراس. في سن التاسعة عشرة نجح الفحل في التمثيل بفيلمين وثلاثة مسلسلات، على الرغم من ذلك، في الحقيقة، في أوار ثانوية، لكن كان هذا كافياً للفتيات، لكي يعدنه نجماً سينمائياً. كان لدى داشكا مع الفحل حب حقيقي، ومن الطبيعي، أن يكون موضع انتباه وحسد طالبات الصف الدراسي الواحد. وفيكا هنا لم تكن استثناء. منذ مدة طويلة، مُتطلعة إلى هذين الاثنين الجميلين، فكرت، كيف تستولي على الفحل من داشكا. وماذا بالتحديد وجدَ فيها، في هذه الضعيفة ماروزافا؟ هي، فيكا، أفضل منها بكثير - وأطول، والأرجل لديها أطول، والشعر أكثر كثافة...

«المواعدة» مع الجار ألهمت فيكا، فجأة شعرت بنفسها امرأة مغوية للرجال، التي إزاء فتنتها لا يستطيع رجل واحد أن يصمد. حتى المشابه لبانديراس. وسرعان ما خطرت في بالها فكرة، كيف يمكن أن تُحقق حلمها الحالي.

في عطلة نهاية الأسبوع القريبة غادر والدا صديقة فيكا إلى المنزل الصيفي، وبقيت الشقة تحت التصرف الكامل للفتيات. كان يتحتم عليها أن تغتنم هذه الفرصة. أقنعت فيكا بسهولة صديقتها بإقامة حفلة

(٧٧) داشكا، داشا - تصغير وتحبيب اسم داريا. (المترجم).

مسائية وتدعو أشخاصًا شتى في ضيافتها، من ضمنهم، طبعًا، داشكا وفحلها.

حبكت فيكا خطة الإغراء حتّى أدق التفاصيل وبدأت بالملبس المذهل، الذي تم شراؤه من متجر لماركة مشهورة ودفع الجار أجره. ظهرت فيكا بمظهر أنيق، وبتسريحة شعر خاصّة للحفلة، وبدأت مُثيرة للغاية وأطلت في الحفلة المسائية، أثارت الإعجاب الحماسي الحقيقي. وبعد ذلك حدث كل شيء ليس مثلما أرادت. وغرّها الشيطان بشرب الكونياك للشجّع! لم تذوق فيكا أبدًا الكونياك في وقت سابق، مع الأصدقاء كانت تحتسي البيرة فقط أو أحيانًا الفودكا، بينما الجار كان يُقدّم لها دائمًا إما الليكيور، أو الشمبانيا. وهُنا جاء أحد ما من الشباب بقنينة «ارارات»، وهي قررت أن تذوقها - يُقال في الحقيقة، بأن رائحة قوية تفوح منه؟ اتضح، أنها أكذوبة، كانت رائحة الكونياك كليًا مُعتبرة، والمذاق لا بأس به أيضًا. احتست فيكا كأسين كبيرين - ومنذ تلك اللحظة لم تعي شيئًا بشكل أكبر. فاقت في البيت فحسب، عائدة إلى شعورها بفضل أمها. بعد ذلك روت الفتيات بقهقهة، بأن فيكا تحمست بشكل كامل، تعرّت تقريبًا من كل ملابسها، ورقصت على الطاولة وطوال الوقت ترتمي على فتى داشكا، حتّى وجب أن يبعدها جبرًا. ضحكّت فيكا معهن، لكن في قرارة نفسها لعب الفأر في عيها. وشعرّت بالخجل، طبعًا، لكن على الأكثر - من المؤسف، بأن خطة رائعة كهذه للإغراء قد فشلت. منذ ذلك الوقت هي لم

تضع الكونيك في فمها - وَلَا بحال مِن الأحوال، وَلَا بحال مِن الأحوال، إذ بسببه هكذا يجن جنونها...

علاقتها الغرامية مع الجار، إذا كان من الممكن أن تُسمى علاقات كهذه، علاقة غرامية، استمرت زهاء عامين. طوال هذا الوقت فيكا كما ينبغي اشترت بعض الملابس وتعلمت من مُعلمها معارف عميقة في علم الجنس. وقررت لنفسها، أن المحادثات مع هذا الشخص بالنسبة لها ستكون كافية. عشيقها ليس غنيًا نوعًا ما، هُوَ أَوَّل عن آخر مُدير قسم المبيعات في شركة ليست كبيرة، وقد ضاقتُ به ذرعًا... كلا، يكفي مماثلة، حان الوقت أن تجد شخصًا ما أكثر غنى. تصرفُ فيكا بانتظام وَذهبتُ للاصطياد في واحدٍ من أغلى المطاعم، التي بالكاد تعرفها. وفي أَوَّل مساء تعرّفتُ بمرشح مُناسب كليًا.

منذ ذلك الوقت طوال خمسة أعوام وأكثر بقليل تبدل لديها قُرابة دَريّة من الرجال المُتكفلين بها^(٧٨). طوال هذا الوقت نجحتُ فيكا في إنهاء الجامعة، المُختارة حسب مبدأ: بصورة رصينة، وغير متوترة. نوع دراستها كان مقابل دفع أجور، لكن هذا لم يُربك الفتاة - دفع رعاتها المال طوال الأعوام فحسب. واحد منهم حتّى نجح بالاتفاق، لكي يمنحها شخص محسوب تابع له شهادة ليست اعتيادية، بل الشهادة الحمراء^(٧٩). بعد ذلك، في الحقيقة، كما وصل إلى سمع فيكا، موظف

(٧٨) رجل متكفل بها يعني رجل يفوق عمره الخمسين أو الستين ويقوم بصرف الأموال على الفتاة مقابل علاقة. (المُترجم).

(٧٩) الشهادة الحمراء - هي أعلى شهادة تمنح في المؤسسات التعليمية الروسية بدرجة امتياز. (المُترجم).

الكلية، الذي كان يعمل أشياء كهذه مقابل الرشى، تم طرده من العمل بفضيحة، بيد أنها في تلك اللحظة لم تكثرث لهذا، لأن «الشهادة» المنشودة قد امتلكتها بين يديها. على أي حال، كانت الفتاة بحاجة إليها بصورة استثنائية من أجل وضعها الاجتماعي، لأجل ذلك، في أثناء التعارف المتتالي مع المرشح في صفة المُتكفل بها كانت تفلت بتهاون منها كلمة: «لديّ الشهادة الحمراء». هذا في الحال رفع ثمنها في السوق. لم تكن فيكا بحاجة إلى التعليم بصورة أكبر، لن تعمل بالاختصاص الحاصلة عليه، وهي لا تنوي العمل - كيفما اتفق.

مع ذلك، أدت الجامعة لها خدمة طيبة بعد - بالتحديد هناك تعرّفت على فالوديا^(٨٠). في حفل التخرج، فيكا في الحال اهتمت بالفتى الوسيم الطويل الذي يمتلك كاميرا تصوير فوتوغرافية احترافية في يده. طوال خمس سنوات من الدراسة التي ضاقت بها ذرعًا أخيرًا أصبحت من الماضي، الفتيات الثملات من جراء شرب كميات غزيرة من الكحول والشعور ذاك بسرور اتخذن له وضعية، التي حاولن بها أن يُقلدن النجمات، اللواتي يُصوّرُن للمجلات. كاد الشاب يُصيبه الدوران من كثرة الوجوه الوسيمة وغير الوسيمة، وهُنا أدركت فيكا: أنه سيتعيّن عليها هذه المرّة أيضًا أن تمسك بزمام الأمور نفسها...

تسكعا في المدينة طوال الليلة البيضاء. لم يكن في حياة فيكا أبدًا شيء من هذا القبيل. التنزه حتّى الصباح، السهر في المطاعم والنوادي الليلية، وحفلات السكر الصاخبة «في الهواء الطلق»، في مكان ما على

(٨٠) فالوديا، فوفكا، فوفا - تصغير وتجبب اسم فلاديمير. (المترجم).

اليخوت أو في منازل خارج المدينة - لهذا الأمر الحسن كل ما تشتهي النفس. وَها هُما ذا يسيران مشيًا عَلَى الأقدام عَلَى امتداد الكورنيش وَيَتحدَّثان، لم يصمتا، لبضع ساعات عَلَى التوالي، لم يحدث هكذا شيء. لأوَّل مرَّة في حياتها عشقتُ فيكا، تأملتُ، كيف مِنَ الجيّد أن تعيش مع فوفكا، أن يمتلكا مسكنًا مُشتركَا، يذهبا للاستجمام معًا، يمكن أن يكون، حتّى أن يتزوَّجا ويولد لهما طفل... لكن كل هذه الأحلام قد خابتُ بفعل الواقع القاسي. لم تكن لدى فالوديا أموال، وَلَا علاقات، وَلَا آفاق مُستقبلية... لم تكن لديه حتّى سيارَة، وَلَا شقَّة وَلَا مكان عمل دائم. كان مصوِّرًا حرًّا، يعمل مُستقلًّا، صوّر مجموعات مُختلفة للحفلات، باعَ صوره، تعاون مع مجلات عديدة، لكن لم تعده واحدة منها بضمه لعاملِيها. «أنا أكسب بِصُورة اعتيادية، تكفي للمعيشة» - قال فالوديا، لكن فيكا لم تُصدقه. كيف يمكن أن تكفي لحياة إنسان، الذي لم يُسدّد ديون كاميرته بعد؟ خاصَّةً حين تظهر فتاة لديه، المُتعوّدة عَلَى حياة مُشبعة وَجميلة؟

خلافًا لفالوديا، بكل عام كانت احتياجات فيكا تزداد فحسب. نظريًّا امتلكتُ كل شيء، الكثير الذي يحلم به أقرانها فقط، - شقَّة مُنفردة، وَسيارة خاصّة، وَالّماس - «الأصدقاء المُفضّلين لدى الفتيات» - وَخزانة مليئة بالثياب وَالإكسسوارات لماركات تجارية مشهورة. لكن في الواقع كل هذا لم يظهر بهذا الشكل وَبصُورة حسنة. الشقَّة، التي آلَتْ إليها بالوراثة مِنَ جدتها، كانت ضيقة وَغير مُريحة، وَالسيارة نوع «فيات» عتيقة منذ مُدَّة طويلة دنا أَجلها، بينما مجموعة الزينة بدتُ

مُملة مُهينة. لم يستطع فالوديا حل هذه المشاكل الحياتية المُهمة عَلَى الإطلاق. لم يستطع حَتَّى أن يسكن معها تحت سقف واحد: رفضتُ فيكا الانتقال إليه في الشقة التي تسكنها أكثر مِن عائلة، وَهُوَ لم ينتقل للعيش في شقَّتْها، لأنَّه لم يستطع أن يهجر عائلته - أم مُسنة وَجدة طاعنة في السنّ، أصابها الشلل بعد سكتة دماغية.

- استأجر لهم جليسة، - اقترحتُ فيكا.

- هذا باهظ الثمن للغاية، أنا لا أقدر، - اعترض فالوديا.

- إذا شئت، أنا سأدفع لها، - عرضتُ هي.

- ماذا دهاك، لا أرتضي...

مع ذلك، طوال وقت تعارفهما، الذي استمر قُرابة عام، فالوديا تدريجيًّا صار أَقْلَ وَأَقْلَ حرصًا عَلَى التزام الشكليات. لم يربكه، بأن فيكا تدفع جزءًا كبيرًا لتسليتهما، خاصَّةً الباهظة الثمن، وباستمرار تُقدِّم له الهدايا. لم يسأل فالوديا مِن أين لها كل هذا المال. عَلَى الرَّغم مِن ذلك، أَحسَّتْ فيكا، بأنَّه قد حَزَرَ.

في ذلك اليوم مِن شهر أيار/ مايو الصحو، نامتُ فيكا نومًا كافيًّا كالمُعتاد، ارتدتُ لباسًا حسنًا، وَتَزِينْتُ وَاتَّجِهْتُ للاصطياد. هي منذ مُدَّة طويلة كانت تبحث بِصُورة فعالة عن راعٍ لها - المُتكفل الحالي لم يرضها مِن جميع النواحي، قبيل كل شيء، لأنَّه كان ببساطة جشعًا بشكل غير اعتيادي. كل مرَّة، عندما تطلب فيكا شيئًا ما، حَتَّى شيئًا ما تافهًا مثل حذاء جديد، كان يقطب حاجبيه الكثيفين ويأخذ بتوبيخها:

- أنا بالكاد يوم أمس الأول أعطيتك خمسمائة دولار! فيم أنفقتها
هكذا بسرعة؟ ماذا أنا، بنظرك، أأطبع النقود؟

- أنت افتح لي حسابًا، - تحدّثت فيكا برقة في إجابتها- سيكون
لك هذا الأمر أكثر ارتياحًا - أنا سأسحب النقود من البطاقة وأكف عن
إزعاجك في كل مرّة بأشياء تافهة.

- لا تحلمي! - استاء المُتكفل - أعرفك أنا، في هذا الحساب في
اليوم الأوّل، لن يبقى فيه في أول ساعة كايكا واحدة.

ولم هي تقاسي جراء شخص مُضجر كهذا؟ ها هي ذي فيكا بدأت
تبحث عن بديل له.

جذب أندرية كوليكوف في الحال انتباهها.

بغض النظر عن سنّها الصغير، كانت فيكا ضليعة بامتياز بالرجال،
بالأحرى، استطاعت بسهولة ودون أخطاء أن تُحدد مستوى رفاهيتهم
ومقدرتهم على الدفع. يمكن أن يحسد موهبتها هذه أيّ حارس، الذي
يتفحص وجوه الحاضرين عند باب النادي الليلي، أو مُفتش مصلحة
الضرائب. وكما يبدو اليوم لم يُحالفها التوفيق. أضاعت تقريبًا أربع
ساعات في «Ginza Project»، نوت فيكا أن تُغادر، ما دام أن عينيها لم
تقع على هدف مُناسب واحد. بعض البلداء المساكين، الذين حدقوا في
عينيها على هذا النحو بشبق سال منهم اللعب. وفجأة دخل هو! فيكا
ميزت في الحال أسلوبه الواثق، ساعته الفاخرة، وملابسه ذات الماركة
التجارية وهاتفه الباهظ الثمن - حتّى لم يتوجّب أن تتفحص على نحو

خاصّ. ها هُوَ ذا مَنْ يستطيع أن يضمن لها مُستقبلاً هائلاً بطريقة دقيقة
وَلَا تقبل الخطأ!

التعرف على المُرشح ذي المُستقبل الواعد في صفة المُتكفل لم
يكن صعباً عليها، هي اعتادت أن تنال إعجاب الرجال. كان الأصعب
في الواقع أن تنال اهتمام أندريه هذا، لكن تعارفهما لا يُحدد بليلة واحدة
وَيُبضع أوراق مالية مدفوعة، بل أن يكسب التعارف الاستقرار، الذي
يُعبر عنه في الأوقات، وأيضاً في المال.

كانت مَحظيّة مُحترفة، درست فيكا ليس الرجال فحسب، بل
وغيرماتها أيضاً. الأمر الثاني تمثّل حتّى أكثر أهمية - من الضروري
أن تعرف العدو من وجهه. والكثير من الغريمات، اللواتي راقبتهن،
استدعين لدى فيكا ازدراء تاماً. هؤلاء الفتيات لبسن وجملن وجوههن
بالمساحيق، مثل رصيف مصبوغ، مازجات بصورة جليلة الابتذال مع
النشاط الجنسي - على أي حال، ماذا تريد منهن؟ كما يبدو، الأغلبية
العظمى منهن أتين من المُحافظات، غالباً من الريف، لذا بدأن يتصرفن
على هذا النحو كما استطعن. بالكاد يُضاف بأن عليهن تقع نظرة مُهتمة
للرجل، هن أقبلن يطلبن النقود منه بإلحاح - للدراسة، لعلاج الأخ
الأصغر غير الموجود، للهاتف المحمول العاطل، لتذكّرة توصّلها إلى
البيت، لأجل شراء شراب الكوكتيل... ليس مُهمّاً، لأجل ماذا، وحتّى
ليس مُهمّاً كم، الأمر الأساسي - هات، هات، هات!!! الرجال أحياناً
كانوا يعطون، وأحياناً لا، لكن في أي حال، استغلوا فتيات كهؤلاء،
خلعوهن من أنفسهن، على وجه الدقة مثل جوارب عتيقة، وبعد خمس

دقائق من الفراق ينسون وجودهن إلى الأبد. الأسلوب المُشابه للعلاقات لم يرض فيكا بأيّ حال من الأحوال. هي لم تجد نفسها مرمية في حفرة القاذورات ولا تعتزم أن تُبادل نفسها لقاء أموال زهيدة. جسدها الشاب، وقدمها الرائعتان الطويلتان وخبرتها في الفراش تُساوي أعلى بكثير، من عشاء في مطعم أو سيارة أجرة تنقلها إلى ناحية بيتراغرادسكي؛ لأنها كانت تتصرف بما يقتضي.

في الطفولة، في سنّ الثانية عشرة، وقع نظرها بطريقة ما على كتاب عتيق بلا غلاف، وبلا عنوان وبلا اسم كاتبه. هذه كانت قصة حول الحياة القديمة، عن شقيقتين - توأم، المُتشابهتين مثل قطرتي ماء، واحدة منهن كانت راهبة، بينما الثانية - مومس^(٨١). فيكا بكل فضول في مرحلة المراهقة قرأت قصة الموضوع المحظور من الأم - حاولت الأم أن تربيها بصرامة، على الرغم أن في زمننا، حينما يرتبط الأطفال باستمرار بالتلفاز، وبالإترنت، وبالصحافة الصفراء، تعد هذه المُحاولة ببساطة أمرًا مُضحكًا. ذلك الجزء أحدث انطباعًا كبيرًا جدًا لدى الفتاة، فهمت أن الكثير من الرجال، الذين يدعون إليهم امرأة فاسقة، يجبرونها على ارتداء لباس راهبة - بفضل هذا هم كانوا يتخيلون، بأنهم حازوا على أختها التوأم الطاهرة. حين كبرت، وضعت فيكا الذكية هذا المبدأ في نظامها، مُعززة الانطباع من الكتاب بتوصيات كثيرة للمجلات اللامعة. أدركت أنها إذا تظاهرت بأنها صعبة المنال وتسمح للرجل أن يُصارع من أجلها، النتيجة ستكون أفضل بكثير، من

(٨١) الحديث يدور عن قصة ستيفان تسفايغ «أسطورة الشقيقات - التوأم».

إذا وافقت بعد أول عبارتين على الذهاب إليه. ولأن فيكا لم تطلب أبدًا من المُتكفل المُحتمل الأموال في الحال، لم تقفز إلى الفراش من أول دعوة، بل حاولت أن تُثير الفضول قليلًا، وأن تُثير الاهتمام بنفسها وفي النتيجة أن لا تمنح رفيقها مُضاجعة لمرة واحدة، بل علاقات طويلة مُتبادلة المنفعة. أحيانًا، طبعًا، السمكة لا تبتلع الطُعم، المُرشحون لا يبدون مبالغين للعب حسب قواعدها - لكن على الأغلب كان يحدث مثلما تُريد فيكا.

حدث الأمر ذاته مع أندريه، على كل حال، في أثناء المواعدة الأولى. غير أنه إلى تلك اللحظة، حين أوصلها إلى المنزل، أدركت فيكا بالحدس - هنا يجري أمر ما غريب. لماذا لم يدعها للذهاب معه إلى غرفته ولا يلح بنفسه على فنجان قهوة، على الرغم من أنه يعلم، بأنها تعيش لوحدها؟ أيخجل؟ كلا بالطبع، ليس شبيهًا بشخص خجول، ولا بحال من الأحوال. يمكن، هي لم تعجبه؟ أقل مقبولة. رُبما، لديه مشاكل ما في الجنس، مع الرجال تحت سن الأربعين يحدث هذا غالبًا... قد يكون غير قادر وقتئذ على إغرائها؟ على أي حال شعرت وقتئذ، بأن هذا النوع يحتاج منها أمرًا ما. لكن ما هو على وجه التحديد - فيكا لم تستطع أن تفهم بعد.

شيء يدفعها للاتصال به في يوم آخر أو رُبما في اليوم التالي، بيد أن فيكا ببعد نظر لم تفعل هذا. بفضل الخبرة الواسعة عرفت جيدًا، كيف من المُهم أن تكون انطباعًا مُرضيًا عن نفسها بالتحديد في المرحلة الأولى للتعارف. إن بدت للرجل في الحال ملحاحة ومُصرة في مُتطلباتها، فإن

رغبة أن يعاشرك (وهذا يعني أن ينفق عليك) ستقل كثيرًا. ويعني، يجب أن تصرفني على هذا النحو بالضبط، مثلما ينصحون في المجلة اللامعة، - يعني بصورة غير ملحّة. انتظرتُ فيكما ثلاثة أيام فعُوضتُ لقاء صبرها. في هذه المرّة، قررتُ ألا تتعب نفسها - فسرعان ما حصلتُ على عرض أذهلها إذهالًا عظيمًا.

لم يخيبَ الحُدد أمل فيكما، أندريه بدا أكثر من هدف مُستحق للاهتمام. لأوّل مرّة وقع في شباكه طير كبير بهذا المقدار! فضلًا عن ذلك قد أعجب الفتاة، وهي بكل سُرور اضطجعتُ معه في الفراش. غير أن العرض، الذي قدّمه أندريه لها بعد مُمارسة الجنس، اتضح في إطار إدراكها. الذهاب إلى موسكو، لكي تصبح صديقة، ويمكن أن تكون خطيبة شخص ميسور الحال للغاية، مالك عمل تجاري معروف كهذا، مثل موقع التواصل الاجتماعي «يديناميشلينكي»... كل هذا دوى حسب الطريقة السينمائية للغاية، كي تكون حقيقةً.

من الجيد، ان أندريه بدّدَ بسُرعة الشكوك وفَسَّر ما يريده منها في الحقيقة. أصختُ فيكما السمع، وبارتياب أومأت برأسها، لكن في قرارة نفسها تأثرتُ بشكل كبير بفكرة هذه المُغامرة. لِمَ سألها أندريه في اللقاء الأوّل، أتودّ في وقت ما أن تصبح مُمثلة! الآن اقترح عليها دورًا في لعبة مُسلية للغاية، والأجر لقاء هذا الدور بدا عاليًا جدًّا.

- حسنًا، لنفترض، أنا أثق بك، - أشارتُ هي، عندما صمت أندريه. - مع أن كل ما تقوله، مشابه أكثر لرواية نائية، من الواقع. إن كلامك معسول زيادة...

- فيكا، أنتِ تشكين في كلامي؟ - تظاهر أندريه بأنه ساخط لقلة ثقتها- لكني، لمعلوماتك، أشرف رجل من رجال الأعمال في العالم! أسألي مَنْ تشائين، ليكن بيل غيتس، ليكن...

- طيب، حالما أراهم، في الحال سوف أسألهم، - عززت فيكا النكتة. - لكن قل لي... إذا أنا فجأة لم يعجبني ابن خالتك؟ ماذا سيحدث وقتها؟

- حسنًا، وقتئذ أعيدك إلى منزلك بهدوء. أمنحك نقود الرحلة، طبعًا، ولا أطلب أن تعيدها إليّ. فقط في مصالحك ابذلي كل جهودك، لكي يُعجب بك ديمون. ألا ترغبين أنتِ بالزواج من شخص كهذا؟
- أرغب، طبعًا! مَنْ يرفض شخصًا مثله؟

- يا للروعة. يعني، اتفقنا؟

- ليس كليًا. - اتخذت فيكا مظهرًا جديدًا، مظهرًا كان غير مناسب في هذه الحالة - فهي إلى ذلك الوقت جلست عارية على سرير الفندق الكبير، فقط ألقّت على نفسها ملابسة السرير. - أنت لم تقل لي الأمر الأساسي.

- يا للدهشة؟ - رفع أندريه حواجه بدهشة. - ماذا بالتحديد؟
- ذلك، لأجل ماذا تحتاجني لكل هذا الشيء. أنا لست غبية لهذه الدرجة، لكي أصدق، بأنك تجرني إلى العاصمة بصورة استثنائية لأجل الحبّ الأخوي. بماذا سأكون مدينة لك لأجل كل هذا الشيء؟

- أشياء تافهة، أشياء تافهة موجودة، - تملّص أندريه - أمر تافه كهذا، الذي لا يستحق الآن حتّى أن نتحدّث عنه.

- ومع ذلك؟

- حسنًا، أترين... - بدأ أندريه بوضوح على مضض - إذا حدث كل شيء بينك وبين ديمكا، ففي حفل الزفاف أنا وهُوَ سنهديك ورقتين...

- أي ورقتين بعد؟ - هنا اهتمت فيكا.

- لا شيء شيق، مجرد، وثائق مضجرة. توجد بصورة استثنائية لأجل الإجراءات الشكلية ولا تساوي شيئًا، مجرد تخيل. لا يمكنك أن تبيعها، ولا تستطيعين أن تتفعي بها... ولم أنت بحاجة إليها، حين يكون لديك زوج ثري كهذا؟ سيبي ديمكا لك بيتًا، تريدين - في روسيا، تريدين - في الخارج، تريدين - في أمكنة عديدة في الحال. ستركيبن سيّارة نوع «بيتلي» بسائق شخصي. وأن تعيشي، كما يحلو لك... إذا أعجب ديمون بك، فستصبحين زوجته، وإذا لم يعجبك - ستفصلين. سن بقي لك عقد الزواج، الذي بعد الطلاق سيؤول إليك كل المُلْك. أنا أعرف محاميا شاطر، هُو مُتخصص في أمور كهذه...

- وماذا بشأن الأوراق؟ - ذكرته فيكا.

- ها أنت تزعجين نفسك بهذه الأوراق! لست بحاجة إليها! ستقلّينها إلي بسرّعة - وهذا كل ما في الأمر. ومُستقبلاً ستعيشين، معزّزة ومكرّمة.

- الآن كل شيء مفهوم...

في النهاية وافقت فيكا كلياً على العرض المغري. ولأسباب عديدة في الحال. ولأنها كانت بطبيعتها مُغامرة، ولأنها أرادت أن تستحوذ مرة واحدة على مبلغ كبير جداً. لا تنتمي فيكا إلى عِداد مُحبي موطن تدمر الشمالية^(٨٢)، آلت إليها هذه المدينة الباردة جداً، والرطبة، والكثيية، حيث كان من الصعب أن تُحدد الفتاة الجميلة مصيرها بحاجيات اعتيادية. المُثقفون المساكين، هؤلاء سكان بيتربورغ الحقيقيون، الذين تفاخروا على هذا النحو بوضعهم الاجتماعي، لم يثروا اهتمامها، يكفيها فالوديا لوحده. وطغاة المال في العاصمة، الذين يرغبون أحياناً ارتياد مدينة بيتير، بحثوا هنا فقط عن الترفيه، لكن لم تكن لديهم علاقات جدية بأيّ حال من الأحوال. على الرغم من ذلك يُقال بصورة صحيحة - كل الأموال تدور في موسكو. يجب الذهاب إلى هناك. في نهاية المطاف، إذا لم تنجح بعرض أندريه، هي ستبحث بنفسها في العاصمة عن خيار ما آخر - في موسكو مع ذلك هم أكثر، من هنا. الأمر الأساسي، ينبغي أن تتشبث بها.



(٨٢) تدمر الشمالية - الاسم الشعري لمدينة سانت بيتربورغ. (المُترجم).

الفصل العاشر

الألعاب التجسسية

ما إن عاد أندريه من سانت بيتربورغ، حتى أقبل هنا على تنفيذ خُطته وبدأ تدريجيًا يستميل ديما. «إيصال الزبون إلى الحالة المطلوبة»، كما سمى هو هذا، ذاكرًا الفيلم المحبوب لكل أجيال الروس «اليد الماسية».

تبادل كلمات الترحيب مع أولئك الموظفين عندما وصل إلى المكتب، الذين التقى بهم في طريقه، وعَرَّجَ على مكتب ابن الخالة. هوَ كالمُعتاد كان لا يبرح مكانه في هذا الوقت ليوم كامل. خلافًا للتصوُّر النمطي الشائع، الذي يؤكد أن جميع خبراء الكومبيوتر-بصورة استثنائية هم من نوع «بومة»^(٨٣) بالإيقاع الحيوي، يُفضّلون العمل ليلاً، ويستيقظون قبل وقت الظهر، كان ديما على وجه الدقة من نوع «طائر القبرة»^(٨٤)، يستيقظ بسهولة في الصباح ويصل دائماً

(٨٣) البومة - تقال عن الشخص الذي ينام ويستيقظ متأخراً. (المُترجم).

(٨٤) طائر القبرة - تقال للشخص الذي يستيقظ باكراً. (المُترجم).

إلى المكتب السّاعة العاشرة، ما لم يتطلب حُضوره لقاء عمل ما. ليس مثل أندريه - الذي بالضّبط أحب النشاط الليلي، لكن على الأغلب، طبعًا، كان يُكرس هذا الوقت للراحة، وليس للعمل. ولهذا نادرًا ما يظهر في جناح العمل الخاصّ في زاموسكفوريثيا قبيل السّاعة الواحدة ظهرًا.

كان أندريه مُستعجلًا أن يبدأ الحديث مع ابن الخالة، لكن لدى ديمون، على سبيل الإغاضة، كان هناك اجتماع هيئة خبراء البرمجة الخاصّ بهم. وَجب عليه الانتظار، ما دام أن العقول النيرة تُناقش الجانب التقني لألعاب الإنترنت الجديدة المُتتالية، التي يعتزمون إدخالها في الموقع. ما هذه اللعبة بالتحديد، التي لم تُثر اهتمام حتّى كوليكوف، الذي كف منذ مُدّة طويلة عن أن يفتن في أشياء تافهة كهذه؟ شغلوا اللعبة - أحسّتهم، أمر جيّد. اجتذبت في الموقع أناسًا كثيرين - أمر مُمتاز. كل هذا مُباشرةً ينعكس في أرباح المجموعة. أيّ قواعد لدى هذه اللعبة بالضّبط، الصور، أيّ محتوى للرسوم المُتحركة، لم يتطرق لها أندريه تمامًا. حدث، عندما كانت تسنح دقيقة فراغ، التي لم يستغلها بشيء، أن تسلى بلعبة إلكترونية في الموقع الخاصّ - مثل مستخدم، لكنه أبدًا لم يكن على دراية بإعدادها. لا يتعلّق جانب محتوى موقعهما به.

وأخيرًا انتهت المُناقشة، والموظفون قد تفرقوا، أندريه هنا تحرك سريعًا نحو المكتب الفارغ.

- مرحبًا! - بفرح ألقى ديمكا عليه التحية - فرح لرؤيتك. كيف كانت الرحلة؟ كيف الطقس في العاصمة الشمالية؟

- الرحلة كانت مُمتازة - أجاب أندريه، جالسًا، كمعاده، على حافة النضد - وأنجزت كل الأعمال، وفلحت بأخذ قسط من الراحة. والطقس كان مُدهشًا...

أوماً ديمكا شاردًا ومن جديد عادَ إلى شاشة الكمبيوتر. ها هو ذا كما يبدو الشخص المُضجر، شعور كهذا، بأن لا يُثير اهتمامه شيء في هذا العالم، عدا الكمبيوترات! طيّب، أندريه سيتفحص الأمر الآن، أهكذا هو في الواقع...

- تعرّفتُ في بيتير على صديقتين، - على غير انتظار استمر هو - ببساطة فتيات رائعات! حسناوات، وذكيات، كما يُسمّى، ساكنات سانت بيتيربورغ أصليات. سفيتا وفيكا. كما يبدو أنا، وقعتُ في حُب سفيتا، نوعًا ما، على كل حال، يوجد بيننا شيء ما كهذا... وعلى العموم، أنا منذ مُدّة طويلة لم أشعر بشيء من هذا القبيل. بينما فيكا، صديقتها، - حسب ذوقك تمامًا. هذا، أقول لك، أمر ما! حتّى تأسفت، بأنها صديقة سفيتكا، لكنت قد غازلتها بكل سُرور لولا هذا. لو رأيت أنتَ هذه البنت - الطول متر وثمانون، حجم نهدها ثلاثة، أرجلها طويلة، تُمارس الرقصات الكلاسيكية والأميركية والأجنبية. وكل جمالها طبيعي، لا سليكون، ولا شيء من هذا القبيل، حتّى لا تضع المكياج تقريبًا. جيّدة، مثل عارضة أزياء، - لكن مع ذلك أيضًا ذكية

للغاية. تعرف الكثير، ومُتحدثة شيقة، أنهت جامعة الثقافة بالشهادة الحمراء. كما يبدو، والداها علماء بشيء ما...

كما توقع أندريه، السيرة المُمائلة لا يمكن أن لا تُثير اهتمام ديمكا. كما يبدو على وجه الدقة هو صَوَّرَ في حكايته النموذج المُفضل لابن خالته، الذي كان يصفه له باستمرار. ابتعد ديمكا في لحظة عن شاشة الكمبيوتر وُحْدَقَ في ابن خالته.

- تحدّثتُ مع فيكا بصراحة نوعًا ما - استمر أندريه باستدراجه، - هي ببساطة فتاة مُذهلة! ليست مثل البقية، مثلما تسميهن دينكا، أسماك القرش المُفترسة، اللواتي يهمن في الرجل فقط حِسابه في المصرف. فيكا في الحياة ذات طبع جدي للغاية، ولا تعترف بعلاقات دُون حُبٍّ، وتُحلم بعائلة سعيدة، وبالأطفال... أعتقد أنها ستكون أمًّا رائعة، ومُعنتية، وذكية...

لاحظَ أندريه بمُتعة كبيرة، أن ابن خالته يستمع له أكثر انتباهًا. - نعم، محظوظ مَنْ يلتقي بفتاة كهذه - قالَ ديمكا بعد التوقف عن الحديث.

- بالمناسبة، ستأتي فيكا إلى موسكو لقضاء بضعة أيام - عَقَّبَ أندريه بصوت الشيطان المغوي. - لديها هُنا أعمال ما. انفقتُ معها على أن نلتقي، وعدتها أن أريها المدينة... ألا أتود، أن أُعرِّفك عليها؟ أفلت ديمكا فأرة الكمبيوتر من يده، ما أن تطرق في الحديث عن اهتمامه الشديد.

- وَهَلْ هَذَا مُنَاسِبٌ؟

- وَلِمَ لَا؟ - عَبَّرَ أُنْدَرِيه عَنْ دَهْشَتِهِ.

- حَسَنًا، كَيْفَ... أَتُنْتُمُ تَنْوِيَانِ اللَّقَاءِ كَشْخَصَيْنِ - بَيْنَمَا أَنَا هُنَا.

- دِيمَكَا، أَنْتَ، رُبَّمَا، لَمْ تَفْهَمْ. لَا يَوْجَدُ لَدَيَّ مَعَ فَيْكَأ شَيْءٌ، هِيَ
كَمَا يَبْدُو صَدِيقَةٌ سَفِيَّتَا، فَتَاتِي. نَحْنُ بِيَسَاطَةِ أَصْدِقَاءَ، لَا أَكْثَرَ. هَكَذَا، إِذَا
نَالَتْ إِعْجَابَكَ فَجْأَةً، لَنْ تَكُونَ أَمَامَكَ أَيَّ عَقَبَاتٍ.

- أَنَا أَشُكُّ فِي شَيْءٍ مَا... - أَوْمَأَ دِيمَا بِرَأْسِهِ - إِذَا كَانَتْ هَذِهِ
الْفَتَاةُ فِي الْحَقِيقَةِ جَيِّدَةً عَلَى هَذَا النِّحْوِ، كَمَا تَقُولُ أَنْتَ، فَهِيَ بَلَا رَيْبٍ
مُتَزَوِّجَةٌ. أَوْ فِي أَسْوَأِ الْحَالَاتِ يَوْجَدُ لَدَيْهَا خَطِيبٌ. وَإِلَّا لَا يُمْكِنُ أَنْ
يَكُونَ هَذَا الْأَمْرُ بِهَذِهِ الْبَسَاطَةِ.

- أَحْيَانًا يُمْكِنُ. وَهُنَا بِالضَّبْطِ الْحَالَةُ ذَاتَهَا. أَنَا لَمْ أَكُنْ عَلَى بَيْنَةٍ
بِالتَّفَاصِيلِ، لَكِنْ سَمِعْتُ فِي أُذُنِي، بِأَنْ شَيْئًا مَا قَدْ حَدَثَ فِي حَيَاتِهَا
الشَّخْصِيَّةِ... - كَذَبَ أُنْدَرِيه بِإِلْهَامٍ. - لَذَا هِيَ الْآنَ حُرَّةٌ، مِثْلَ طَائِرٍ.

- حَسَنًا، إِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا، - هَزَّ دِيمَا كَتْفَيْهِ - فَطَبْعًا، أَنَا سَأَطْلُبُ
مِنْكَ أَنْ تُعَرِّفَنَا عَلَى بَعْضِنَا الْبَعْضِ.

- بِالتَّأَكِيدِ، يَا رَجُلُ! - رَبَّتْ ابْنُ الْخَالَةِ عَلَى كَتْفِهِ، وَأَشَارَ فِي قَرَارَةٍ
نَفْسِهِ بِفَرْحٍ: «لَقَدْ حَدَثَ! انْطَلَى الْأَمْرُ عَلَيْهِ! أَخِيرًا الثَّلَجُ قَدْ ذَابَ، أَيُّهَا
السَّادَةُ الْمُحَلِّفُونَ!» (٨٥).

(٨٥) جُمْلَةٌ مُقْتَبَسَةٌ مِنْ رَوَايَةِ «اِثْنَا عَشَرَ كَرْسِيًّا» لِلْكَاتِبِينَ الرُّوسِيِّينَ إِيْلِيَا أَرْنُولْدَافِيْتِشْ إِيْلَفْ وَيَفِينِي
بِيْتْرُوفِ الْمَكْتُوبَةِ عَامَ ١٩٢٨. (الْمُتَرْجِمُ).

حين غادرَ أندريه غُرفةَ مكتبه، عادَ ديمًا مرَّةً أُخرى إلى عمله، لكنه لم يستطع أن يُركزَ عَلَى المَهْمة بأيِّ حالٍ مِنَ الأحوال. فيكا الفتاة الرائعة، التي وصفها هكذا ابن خالته بصورة بهية، لم تبرح رأسه. ألا يمكن أن يتغاضى أندريوخا عن وجود مخلوقات رفيعة كهذه في مكان ما في الدنيا في الحقيقة، اللواتي بمقدورهن تحريك المشاعر الحقيقية، اللواتي لا يكثرن بضعفاء الإرادة وأشخاص كالدمى، بل يكثرن بالكتب والفنّ ولا يبحثن في الرجل عن محفظته المحشوة بالنقود، بل يبحثن عن الحُبِّ، وَالْمُسَانْدَةِ وَالتفاهمِ وَمُسْتَعْدَاتِ بأنفسهن لتحمل مسؤولياتهن؟ مِنَ الصعب بصراحة تصديق أمر كهذا...

عَلَى أيِّ حال، عندما عاد دميتري إلى المنزل وفتح الباب، رأى الضوءَ وَفِي الحال فهم، في البيت يوجد أحد ما. ليسَ مِنَ البساطة أن يوجد شخص ما في شَقَّتِه، فهذا مُمكن أن يدل عَلَى أمر واحد فحسب... بلعَ ريقه، ودخلَ غُرفةَ الضيوف واقتنع، بأنه لم يخطئَ في توقعاته.

سادتُ إضاءة خافتة في الغُرفة، هي استضاءات فقط ببضع شموع ذات عبق، موضوعة بالزوايا. كانت المائدة قد بسطت لشخصين - قنينة نبيذ، وَإِناء مزهرية لفواكه موضوعة عَلَى نحو مُعبر، قطع طعام في أعواد مُختلفة الألوان، وَسُلْطَة ما في وعاء زجاجي شفاف، وَكؤوس عالية، وَطَقْمان لأدوات الطعام، المُغطاة بالمناديل، وَفِي الوسط باقة كبيرة لزهور الزنبق. عَلَى الأريكة في وضعية غنْج اضطجعتُ دينا، انفتحت أطراف الثوب الفضفاض الأسود شبه الشفاف، كاشفةً مِنَ العلو أقدامها المُسْمرة. أقدام دينا إلى هذا الزمن كانت لا تزال جميلة، هي بعناية

اهتمتُ بها وَظهرتُ بِصُورةٍ لا بأسَ بها، لكن دميترى تطلع إلى المرأة، التي أحبها حُبًّا جَمًّا في وقت ما، دُونِ أيِّ لذة. اليوم، بوجه عام الوقت الأخير، لم يود أن يراها مُطلقًا. وَهذا العشاء الرومانسي، الذي عزمتُ عليه، ظهر في غير أوانه بِصُورةٍ مُدهشة. وَهذه الرائحة في شقَّتِهِ، للعبق القابض للصدر، وَالْعَذْب وَالْخَانِق، الذي امتزج مع فوح رائحة زهور الزنبق، وَالشموع وَعطور دينا، المُشابهة أَكْثَر لَأريج شرقي، مِنْ العطور العصرية. كم مرَّةً لمح لها، بأن هذه الرائحة لا تعجبه، أَهداها في الأعياد المُختلفة عطورًا لماركات تجارية نخبوية - استمرت دينا بِإصرار أن تدهن نفسها بهذه العطور الشنيعة...

- ما مُناسبة الاحتفال؟ - اهتمَّ دُونِ أيِّ فرح في صوته.

- هكذا دُونِ مُناسبة - نهضتُ دينا مِنْ الأريكة بِحركة مستميلة شبيهة بِقطة، اقتربتُ، وَالتصقتُ بِجسد حار، مُغرقةً دميترى في رائحة ثقيلة للعطور - أنا بِبساطة جئتُ لِأقول، إِنني اشتقتُ إِلَيْكَ. إِنني أحبك... بدأتُ تُقبله مرارًا في رقبته، عَلَى ياقته، لكن دينا تنحى جانبًا بلطف.

- اعذريني، أنا متعب... -

- أنا أعرف. الحَمَّام جاهز. تستحم - وَنَجلسُ لِأَكل. وَنَحْتَسِي النُبِذ...

كانت لديها كلمات تجذبه عَلَى الدوام. «تستحم» بدلًا مِنْ «تغتسل» أو «تأخذ حَمَّامًا»، «تأكل» بدلًا عَنْ «تناول الطعام»، «نُبِذ» بدلًا عَنْ «النُبِذ»... كَأَنما تتحدَّث مع طفل صغير.

- دينا، لا أريد أن أكل. وبوجه عام لا شيء لا... - بدأ هو، لكن سكت في منتصف الكلمة، مُقررًا، أن يأخذ، رُبّما، هو الآن، الحمام. أجل، كان يمكن أن لا يكون سيئًا للغاية - أن ينغمس في الماء الدافئ، وأن يسترخي في الرغوة ذات العبير... وبعد ذلك تُدلك دينا أكتافه، وتزيل الشد الأبدي في الكتف الأيمن من جراء الاستخدام المُستمر لفأرة الكمبيوتر...

- طيّب، حسنًا، سأذهب لأستحم، - قال ذلك وهو يلعن نفسه لضعف الإرادة والتردد. والتفت، لكي لا يرى تعبير الاحتفال، الذي بلمح البصر لاح على وجه دينا.

فيما بعد، نائمًا على الوسادة المجاورة بجانبها، ومُستمعًا للتنفس المسموع المُرتاح للحبيبة، دميتري الذي في هذه المَرّة أعطى لنفسه وعدًا أن يتحلّى بالرجولة وأن يقطع هذه الصلة المُتواصلة على نحو فاحش. يجب في النهاية أن يقرر ويتحدّث مع دينا عن أن علاقتهما قد انتهت منذ مُدّة طويلة. وسيكون من الأفضل لكليهما، إذا هُما افترقا.

خلال بضعة أيام وصلت فيكا بسلام إلى موسكو على متن قطار «سابسان». استقبلها أُنديره في المحطة وقادها إلى الغُرفة المحجوزة مُسبقًا في فندق «Ritz Carlton». كانت الفتاة في ابتهاج. أعجبها القطار المُريح للغاية، والفندق الأنيق، مثلما موجود في الخارج. كان المُتكفلون بها الكرماء للغاية، أحيانًا يأخذونها إلى الخارج، في وقت سابق، في فنادق لائقة أيضًا، لكن العيش في ترف كهذا في الوطن لم تحصل عليه بعد.

حين استحمّت فيكا وأبدلت ملابسها، ذهبا إلى مطعم الفندق.
الآن، عندما لم يعد يتوجّب عليها أن تمثل أمام أندريه دور المخلوق
الملائكي، كما كان هذا في مسائهما الأوّل، كفت الفتاة عن إخفاء أنها
تمتلك شهية جيّدة، وطلبت لنفسها غداء كاملاً من أفضل الأطباق.

- ألم تُغيّري رأيك؟ - اهتّم أندريه، حين أخذ النادل الطلب الكبير،
وابتعد عن طاولتهما.

- طبعاً، لا، - صفقت فيكا برموشها. - من يرفض تحقيق الأحلام؟
- يا لك من ذكية. إذا كنت جيّدة وفتاة تسمع الكلام، فجميع
أمنيّاتك ستتحقق. ثقي بي، أنا سأهتم بهذا الأمر.

ردت عليه فيكا مهمهمة فحسب. لو أن أندريه يعرف، كم مرّة في
حياتها سمعت بالضبط هذه الكلمات ذاتها...

- هأنذا فكرت هنا... - استمر في هذه الأثناء مُحدثها، وهو يأخذ
المقبلات التي قدّمها النادل - ربّما، إذا حدث لدينا كل شيء، أنا سأقدّم
لك هدية جيّدة ما. نقول، شقّة في موسكو. وما حاجتك إلى شقّة، إذ
ستزوّجين وتسكنين مع ديمكا؟ الأفضل أن تكون سيّارة، تُناسبك؟

- أيّ سيّارة؟ - اهتمت هنا فيكا، في لحظة ناسية سلطتها.

- أيّ واحدة، أيّا ما تريدن! فكري، اختاري الماركة والطرّاز، ما
دام العرض لا يزال ساريًا. وفي حفل الزفاف ستحصلين مني ليس على
هدية واحدة، بل اثنتين.

- وما الهدية الثانية؟

- يا إلهي! أنا في بيتير قد تحدّثت لك بكل شيء! «الفتاة، قد نسيت؟» - اقتبسَ هُوَ نكتة مشهورة. - أنا اتفقت معك على كل شيء. بما يخص الورقتين، حسنًا، أسهم شركتنا.

- كلا، أنا أذكر. فقط أنتَ لم تقل لي وقتها، أن هذه المُستندات - هي أسهم شركتكم؟

لم يعجب أندريه للغاية الشرار الذي اتقد في عيني فيكا في أثناء هذه الكلمات. فقالَ بصرامة:

- لا تُفكري بفعل شيء من تلقاء نفسك! ولا تُفكري ببناء خطط ما خاصّة لك على هذه الأسهم! ليس في مصلحتك أن تُجادليني وأن تُحاولي فعل شيء ما من خلف ظهري. في الحال بعد حفل الزفاف أنتِ ستنقلين إليّ الأسهم. وإلا لن يفلت من العقاب لا أنتِ، ولا أمك ولا أبوك، ولا جميع الحيوانات الصغيرة في عيادتهما.

- ماذا دهاك، ماذا دهاك، يا أندريه! - بدأتَ تتمتم فيكا بصورة مذعورة. - لم تكن لديّ أفكار أن أخدعك! أنا كما يبدو لست حمقاء، أفهم، مع أيّ شخص أتعامل...

يُقال هكذا، لم تخالف فيكا ضميرها للغاية. طبعًا، فكرة أن تستحوذ على أسهم شركة كبيرة كهذه، مثل «ام كا اي»، قد خطرتُ ببالها. بيد أن فيكا امتلكتُ فكرة ضئيلة للغاية عن العمل التجاري، وكان عقلها محدودًا، لكي تفهم هذا. الأسهم - هذه كما يبدو ليست أوراقًا نقدية لعملة الدولار التي تصدر أصواتًا هشة، وليست شهادة ملكية لشقّة أو

بطاقة ائتمانية. وهي لا تفهم، ماذا تفعل بهذه المُستندات، حتَّى إذا هي أصبحت بين يديها في وقت ما. تطلب بها نسبة من ربح مجموعة «ام كا اي»؟ أتبيعها؟ لكن كيف، أين، لمن؟ لم تعرف أمورًا كهذه. ولم تعرف، من حُسن حظ أندريه، حتَّى القيمة التقريبية للأسهم. ولهذا لم تدرك، بأنها إذا امتلكت في أيديها حق الملكية من الجزء الصغير جدًّا لشركة كهذه، مثل «ام كا اي»، ببساطة يمكن أن تستأجر فريقًا كاملاً من المُستشارين، والقانونيين والاقتصاديين، الذين يمكنهم أن يُفسِّروا لها، في ماذا جوهر الأمر وكيف تتعامل، وبعد دفع أجورهم يبقى لديها وسائل كافية بصورة أكبر، لكي تؤمّن لنفسها كل ما تبقى من حياتها. لكن لم تفكر فيكا بهذا، بل بشيء آخر كليًّا. فكرت، بأن أندريه على حق - هو لن يسمح لها بأيّ حال أن تبقى مالكة للأسهم. وإذا رفضت هنا أن تعيدها إليه فورًا، هو سيربها نجوم الظهر. بالنسبة له، بصورة صارمة، هذا لا يُساوي شيئًا، لم تعرف فيكا هذا... من الأفضل هكذا أن لا تغضبه وأن توافق على شروطه. وإلا مُمكن أن تفقد، كما يبدو، فرصة حقيقية كهذه كليًّا لبناء حياتها. طيّب، إذا احتاج أندريه إلى هذه الأسهم هكذا - ليأخذها، بالعافية. الأمر الأساسي، سيكون لديها زوج ثري، بيتها وبوجه عام كل ما تشاء. وهذا أفضل بكثير من أوراق ما غير مفهومة كليًّا...

- يبدو لي أنها ببساطة لن تأتي بشيء، هذه الأسهم، - أنهت فيكا حديثها، مُتخذةً مظهرًا ملائكيًّا.

- هكذا بالضبط - أوماً أندريه - لن تحتاجي إليها تمامًا. وإذا ضُم هذان الاثنان بالمائة إلى تلك التسعة والأربعين، التي توجد لديّ، - هذا سيعني شيئاً ما... لا تقلقي، هذا لا يخصك.

- طبعاً، لا يخصني - وافقتُ فيكا بصوت مسموع، وأندريه تنفس الصعداء. حامداً الله، لأنها قالت الحقيقة.

آه، لم يكن هذا الحديث سهلاً عليه! هو فهم بصورة مُمتازة، عندما بدأ كل هذه المكيّدة بأنه يلعب بالنار. لو كان لدى هذه "المُزة" الذكاء بالاستيلاء على الأسهم، فسُتباء خُطته بالفشل. وفيكا - ليست حمقاء كهذه، يعني وضع خطر، خطر للغاية. الله يعلم، ما الذي تفكر فيه... طبعاً، كان سيكون من السهل للغاية، أن تكون في مكان فيكا فتاة أكثر حمقاً، - لكن حينئذ لن تكون فُرص، بأن تنال إعجاب ديمكا. يا للجنة، كل شيء قد تعقد!..

- أنت من الأفضل أن تقول، كيف تنوي أن تعرّفني بابن خالتك؟ - سألت الفتاة في أثناء ذلك.

ابتسم أندريه:

- أنا قد تحدّثتُ له عنكِ. ذررتُ الرماد في عينيه، وزعمتُ بأن صديقتك المُفضلة سفيثكا قد عرّفتنا على بعضنا في بيتير. أليديك صديقة باسم سفيثكا؟

- كلا ولم تكن لديّ أبداً.

- يعني، ستكون - قهقهه أندريه - نحنُ لن نكشف لديما كل

أسرارنا، صحيح؟ - أضافَ هُوَ بصورة مداعبة وَغَمَزَ للفتاة.

- لن نكشف، - أومأت فيكا بصورة مُتفهمة.

بعد الغداء صعدا إلى عُرفتها وَعكفا عَلَى مُمارسة الجنس الجامح ذاته. كل شيء كان ببساطة رائعًا. تأسف أندريه لأنه سيتحتم عليه أن يعطي امرأة مُلتهبة وَمحنكة في سلوى الحُبِّ لشخص آخر، حتَّى وَإِنْ كان ابن خالته ديمكا. لكن، بوصفه شخصًا عمليًا، هُوَ بسهولة تقبل تأسفاته. مهما قلنا، فإن الفتيات الجنسيات يوجدن بكثرة، لكن ها هي ذي الأسهم «الذهبية» لمجموعة «ام كا اي» اثنان بالمائة فقط، ولا بد من الاستيلاء عليها. إلى ذلك الوقت كانت هذه فكرته اللجوجة.

في المساء ثلاثتهم - ابنا الخالتين وفيكا - التقوا في السَّاعة الثامنة في ذلك المطعم. وصل أندريه مع ديمكا مُسبقًا، واقتربت الفتاة بعد قليل من الوقت وَعَبَّرَتْ عن الفرح بصورة طبيعية للغاية للقاءها أندريه، عَلَى وجه الدَّقة كأنها في الحقيقة تراه للمرة الأولى بعد وصولها إلى موسكو، وكأنهما لم يفترقا قبيل ساعة وَنصف، حين غادر هُوَ فراشها عَلَى مضض.

- فيكا، تعرّفني، هذا ابن خالتي دميتري، - قدَّمَهَا أندريه.

- سعيدة بلقائك - ابتسمت هي بافتتان.

ديمكا قَبَّلَ يديها بارتباك واحمر وجهه.

عندما جلسوا إلى الطاولة، غرَّدَتْ فيكا بفرح، من وقت لآخر مُتطلعةً بغنج إلى ديمكا. مُتبعَةً عَلَى وجه الدَّقة التعليمات، التي أعطها

إياها أندريه، حاولت بكل قواها أن تكون فاتنة وتظهر نفسها ذكية، ومُتحدثة شيقة ظريفة. لم ينزل ديما عينيه عنها، ورغم إرادته كان نظره من حين لحين ينزلق تارة اتجاه الديكولتية^(٨٦)، وتارة أخرى على الركبة المغرية للفتاة.

- أنا فرحة للغاية، بأنكما أريتموني موسكو! - زقزقت فيكا بفرح.
- اعترفت بصراحة، أنا لم أعرف العاصمة مُطلقًا. كنت هنا لبضع مرات فقط، وطوال الوقت خلال طريق المرور، كما تعرفون، حين كنت أسافر، بينما لم يكن هناك طيران مُباشر إلى بيتير أو من بيتير. وفي الحقيقة، اعترفت بحرج، لم أر متحفًا موسكوفيًا واحدًا! فقط لا تضحكا عليّ، أنا نفسي من الخجل مُستعدة أن تبتلعني الأرض. يا لها من فضيحة - عشت حتّى الثانية والعشرين عامًا ولم أكن أبدًا في معرض تريتياكوفكا للوحات! كنت في متحف اللوفر، وفي متحف القاهرة المصري، وفي متحف الإرميتاش، ومن الطبيعي، أنا بوجه عام لا أتحدّث عنه لأنه يقع في المدينة التي أسكن فيها - ولم أكن في تريتياكوفكا. وفي مسرح البالشوي^(٨٧) - لم أكن ولا مرّة. شاهدت فقط «بحيرة البجع»، حين أتوا هم في جولة فنية. ديما، أتحب الباليه؟

- الباليه؟ لا أعرف...

- بينما أنا أحبه للغاية، - استمرت فيكا - وإلى الآن أتأسف، بأنني لم أفصح أن أكون راقصة باليه. أردتُ ذلك في الطفولة للغاية، لكنهم لم

(٨٦) الديكولتية - مقورة فستان يظهر الصدر أعلى الفستان. (المُترجم).

(٨٧) مسرح البالشوي - المسرح الكبير في موسكو. (المُترجم).

يقبلوني، لأنني كنت كبيرة. وتوجب عليّ ممارسة الرقصات الكلاسيكية
والأميركية واللاتينية.

- أعدكم، بأننا حتمًا سنصحبكم إلى مسرح البالشوي! - أخيرًا
نطق ديما.

- اوي، هذا سيكون رائعًا! - أولته فيكا بتلك النظرة، بأنه بالكاد لم
يحمر وجهه من جديد.

أندريه بصراحة تسلى، مُراقبًا هذا المشهد. ما دام أن كل شيء كان
يجري ببساطة بصورة مُمتازة، مُستأجرًا له مُمثلة كانت تتصرف بامتياز
وتؤدي دورها، مثلما كُتب لها.

- فيكا، أأنتِ ستبقين لوقت طويل في موسكو؟ - استفسر ديما.
- اوي، لا أعرف حتّى... - أجابت هي بارتباك. - أودُّ أن أبقى
لوقت أطول، لكن فندقًا كهذا باهظ الثمن...

- إذا أردتم، يمكنكم أن تبقوا في شقّتي، - تفوه ديما فجأة بكلام
غير لائق.

واصل أندريه إصغاءه - بصورة مُمتعة، مُنتظرًا ما سيحدث فيما
بعد. ورأى، كيف ومضت الفتاة بعينيهما بغيط.

- ماذا تقصدون؟ - عقدت حواجبها بعجرفة، استعلمت فيكا - ألا
يبدو لكم، أنكم خلطتم بيني وبين أحد ما؟

- ماذا دهاكم، ماذا دهاكم؟ - لوح ديما المُرتعب بيديه - أنتم لم
تفهموني بصورة صحيحة. أنا لم أرغب بالحديث بهذا الشيء بتاتًا...

الأمر ببساطة أنني منذ مُدَّة وجيزة اشتريتُ شقَّة، ورمتها وأثنتها، لكنني لم أَسكن هُناك بعد، هي لا تزال فارغة... هأنذا فكرت، بأن يمكنكم... أن تسكنوا فيها... اعذروني، إن أغضبتكم دُون قصد.

هُوَ في الحقيقة تصبب عرقاً مِن جراء الاضطراب. كانت تنقصه خبرة الحديث مع الجنس الناعم بِصُورة واضحة.

- ماذا دهاكم، يا ديماء، أنتم اعذروني. - لمستُ فيكما يديه برقة - هذه أنا أغلظت القول اتجاهكم. لكن لا تغضبوا وتفهموني بِصُورة غير صحيحة. أنا، كما يُقال، مَنْ لسعته الأفعى يخاف مِن الحبل. يحدث الكثير جدًّا مِن جميع النواحي للعروض الفاحشة... المُختلفة. لأمر ما الرجال يعتبرون، إذا لم تكن الفتاة بشعة وتبقى حُرَّة، لا تنطوي على نفسها - يعني، هي مُستعدة لفعل كل شيء.

حين توارثُ فيكما في حجرة النساء، التفت أندريه إلى ابن خالته وَقَالَ:

- أنت، يا ديمون، كن معها أكثر حذرًا. أنا قلتُ لك، أن فيكما - فتاة ليست سهلة، وليست مولعة بمحفظة نقودك. هي تعرف قدرها وتبحث عن علاقات جدية، وليس مغامرات الفراش. يجب أن تظفر بفتاة كهذه مِن بداية الأمر... وبعد ذلك كَوْن معها عائلة. هذه الطريقة الوحيدة.

- ماذا أنا، بنظرك، أبله كليًّا؟ - تهيج ديماء. - أنا أفهم بنفسي هذا بِصُورة رائعة. عبَّرت بِصُورة غير موفقة، يحدث... يبدو لي، هي لم تغضب جدًّا... كيف تعتقد أنت؟ أيبدو أنها لم تغضب؟

- اهدأ، لم تغضب، - أكد أندريه، ضحك في قرارة نفسه. كما يبدو، السمكة قد ابتلعت الطعم والآن بثبات تعلق في الشص.

وَدَيْمًا فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ سَحَبَ هَاتِفَهُ، وَاتَّصَلَ بِسَكْرَتِيرَتِهِ الْمُسْنَةِ الْعَابِسَةِ وَأَوْعَزَ لَهَا أَنْ تَطْلُبَ ثَلَاثَ تَذَاكِرَ لِمَسْرَحِ الْبَالَشُوي فِي الْأَيَّامِ الْقَرِيبَةِ. عِنْدَمَا سَمِعَ أُنْدَرِيهَ ذَلِكَ، أَدَارَ بِسُرْعَةٍ رَأْسَهُ وَرَفَعَ اثْنَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ.

- لا-لا-لا، يا شيخ، لا أطيق هذه الزيارات الجماعية! ليس ثلاث تذاكر، بل اثنتين. أنا والمسرح، وبعد أيضًا بالشوي - أشياء مُتنافرة. أنا، طبعًا، أحبك مثل أخي وأتعامل مع فيكا جيّدًا - لكن ليس إلى هذه الدرجة، لكي أجر قدمي معكما إلى شيء تافه ما بمثابة أوبرا، أو شيء أسوأ من ذلك، الباليه.

- طيّب، مثلما تريد - عادَ دَيْمًا إِلَى الْحَدِيثِ بِالْهَاتِفِ - يَعْنِي، لَيْسَ ثَلَاثَ تَذَاكِرَ، بَلْ اثْنَتَيْنِ. وَاسْتَعْلَمِي. هَلْ يَعْضُونَ الْآنَ فِي مَوْسُكُو شَيْئًا مَا مُمْتَعًا مِنَ الْحَيَاةِ الثَّقَافِيَّةِ بَعْدَ مَا هُوَ؟ وَمَنْ هَذَا؟ حَسَنًا، وَاضِح. أَيْنَ، تَقُولِينَ، هَذَا الْمَعْرُضُ؟ جَيّد، شُكْرًا.

أَنْهَى الْمَكَالِمَةَ وَاتَّجَهَ لِفَيْكَا الْعَائِدَةِ:

- مُسَاعِدَتِي تَقُولُ إِنَّ مَعْرُضَ اللُّوْحَاتِ بِشَارِعِ سَالِيَانْكَا يُقَامُ الْآنَ لِفَنَانِ شَابٍ مُعَاصِرٍ مَا...

- مَنْ بِالْتَحْدِيدِ؟ - اسْتَعْلَمْتُ فَيْكَا بِمَظْهَرِ كَهَذَا بِطَرِيقَةٍ جَدِيدَةٍ، كَأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ جَمِيعَ الرِّسَامِينَ الْمُعَاصِرِينَ فَحَسَبَ، بَلْ وَبَابْتِهَاجٍ كَانَتْ عَارِفَةً تَفَاصِيلَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.

- هي سمّت الاسم، لكنني قد نسيتَه، - باعد دميتري بين يديه دلالةً عَلَى الذنب.

- لا شيء يدعو للخوف - طيّبت الفتاة خاطره - أنا أعتقد، هذا عَلَى أي حال سيكون مُمتعًا. كيف سيكون الأمر في ما يتعلق بيوم غد؟ - رائعًا، أنا بالضبط لا عمل لديّ غدًا.

- وأنت، يا أندريه، ستأتي معنا؟ - تحوّلت فيكا نحوه.

- كلا! - أوما هو برأسه. - الفنّ المُعاصر - هذا ليس بموهبتي أيضًا. هكذا يا أصدقائي، أنتمًا، أنتمًا، اذهبوا مِن دُوني!

قُرابة السّاعة الحادية عشرة والنصف اعتذرت فيكا، مُشيرة إلى أن لديها يومًا صعبًا، وَغادرت الجلسة. بينما جلس ابنا الخالتين بعد لوقت طويل إلى الطاولة وَناقشا تعارفهما الحالي. لم يخطئ أندريه - ديمكا في الواقع أُعجب بفিকা جدًّا. هُوَ فحسب تحدّث عنها بالضبط بشيء ما وَرشق ابن خالته بالأسئلة، مُهتَمًّا بشخصيتها وَذوقها وَمُستشيرًا أندريه، كيف مِن الأفضل أن يتصرف. ذاك، مِن الطبيعي، أعطاه نصائح مُسهبة وَوعدَ مِن جانبه أن يعطي لابن خالته أفضل التوصيات وَأَن يُساعده بشتى الوسائل، لكي تهتم فيكا بديما. افترقا بعد منتصف الليل، لكن، رغم أن الوقت كان مُتأخرًا، عندما جلس أندريه في السيّارة، وَبكل الأحوال اتصل بفিকা.

- أَلَمْ تنامي بعد؟ - استعلمَ هُوَ. - ا، مضطجعة... لا شيء، بكل الأحوال لتتحدث. يتوجب عليك أن تعملِي ما دمت أخذت المال.

بوجه عام، أحسنت، ما دام كل شيء يسير حسب الخطة. نستمر بالروح ذاتها. الأمر الأساسي - لا نستبق الأحداث. الإغراء، والغنج، والتأجيج - هذا بقدر ما نستطيعين. لكن لا تستسلمي بأي حال من الأحوال!

هذه حقيقة قديمة، مثل العالم، بيد أن الرجال في الحقيقة لن يتزوجوا أبدًا أولئك النساء، اللواتي يحصلون عليهن بسهولة للغاية. إن حصل ديمًا على كل شيء في المساء الأول، فإن الرغبة بربط قيود الزواج بالتحديد مع فيكا بسهولة يمكن أن تنفصل. ووقتئذ جميع خطط أندريه ستتجه نحو الهاوية.

- يجب أن تسير عمليتنا دون أخطاء، - استمر أندريه. - واحد: الإثارة، اثنان: الاستدراج، وثلاثة: الزواج!

- يا دكتور، من تعالج أنت، - أجابت فيكا بصورة متعبة. - أنا أعرف كل هذا أفضل منك... لنكتف بهذا القدر، دعنا نودع بعضنا، وهأنذا لا تكاد قدماي تحملاني. غداً أنهض باكراً جداً، ضرب ابن خالتك موعداً معي حتى العاشرة والنصف. وأنا لم أعتد الاستيقاظ في مثل هذه الساعة الباكرة.

الزيارة المقبلة إلى معرض اللوحات أفلقت فيكا كثيراً. في الفن المعاصر (وحتى في غير المعاصر أيضاً) تفهم الفتاة القليل جداً، من العمل التجاري، وخافت، بأن دميتري هذا الذي يُولي اهتماماً كثيراً لعمله سرعان ما سيكشف النقاب عنها في فضاظة، ويخيب أمله فيها - ووقتئذ جميع رغباتها مع أندريه ستذهب أدراج الرياح. لكن كل شيء حدث على أفضل وجه.

عُلِّقَتْ عَلَى جدران المعرض الصغير لوحات وُسِّمِي باسم «نتاج الفن»، ظهرَ بِصُورَةٍ غريبةٍ وَأَحْدَث انطباعًا مُضْجِرًّا لِلغَايَةِ - تارة دُمِّي مُحَطَّمَةٌ بِأَعْيُنٍ مَفْقُوءَةٍ، وَتارة صور بشعة ما، وَتارة أخرى أَقْدَامٌ مَشْنُوقَةٌ... اللوحة الوحيدة، التي لا تمتلك حبكة مُقَرَّزَةً، صَوَّرَتْ جَسَدِي رَجُلَيْنِ مُتَعَانِقَيْنِ. إِزاء هذه اللوحة اجتمع عدد لا بأس به مِنَ الحضور المُعْجِبِينَ والمُتَحَمِّسِينَ للموهبة، التي تَأَلَّفَتْ مِنْ أَشْخَاصٍ شَاذِينَ جَنْسِيًّا.

«الْحُبُّ لَا يُحَدِّدُ بِالْجَنْسِ!» - بَتَّأُوهُ قَالَ صَوْتٌ مُتَصَنِّعٌ عَالٍ مُبَاشِرَةٌ تَجَاهَ أذْنِي فَيَكَا. ارتعشت الفتاة وَمِنْ باب الاحتياط ابتعدتُ إِلَى الأَمَامِ. عندما تجولت في الصالات، لم تنظر فيكَا عَلَى الأَغْلَبِ إِلَى اللوحات، بل إِلَى وَجْهِ رَفِيقِهَا وَرَأَتْ فِيهِ فَقَطِ الحيرة وَاشْمِئزَّازًا طَبِيعِيًّا. وَعِنْدَمَا خَاطَبْتُ دِيمَا هَامَسَةً: «مِنْ المُمْكِن أَنْ نَغَادِرَ هَذَا المَكَانَ؟» - وَاثِقٌ بِفَرَحٍ.

- كَيْفَ بَدَأَ لَكَ المَعْرُضُ ؟ - سَأَلَ دَمِيْتَرِي، عِنْدَمَا ظَهَرَ فِي الشَّارِعِ.
- مُفْرَعٌ ! - اعْتَرَفْتُ فَيَكَا بِصَرَاحَةٍ.

- الْحَمْدُ لِلَّهِ - تَنَفَّسَ هُوَ الصَّعْدَاءُ - أَنَا قَرَرْتُ هَكَذَا أَيْضًا. لَكِنْ، اعْتَقَدْتُ، يُمْكِنُ، أَنَا بِبَسَاطَةٍ لَمْ أَفْهَمْ شَيْئًا مَا، لَمْ أَدْرِكِ المَعْنَى الجَوْهَرِي. يُمْكِنُ، مِنَ المُتَعَذِّرِ عَلَيَّ فَهْمُ شَيْءٍ مَا... بِمَا أَنْكَ، مُخْتَصَّةٌ بِالْفَنِّ، وَتَقُولِينَ أَيْضًا، بَأَن هَذَا سَيِّئٌ، يَعْنِي، هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ.

دَهَشْتُ فَيَكَا لِلْوَهْلَةِ الأُولَى فَحَسَبَ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ هِيَ أَصْبَحْتُ مُخْتَصَّةٌ بِالْفَنِّ. غَيْرَ أَنَّهُمَا أَدْرَكْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ دَمِيْتَرِي، مِنَ المُحْتَمَلِ،

استنتج، مُنطلقاً من ذلك، بأنها أنهت جامعة الثقافة. فضلاً عن ذلك
بالشهادة الحمراء. يا له، كما يبدو، من ساذج! بمثابة رجل أعمال مُمتاز
- بينما التعامل معه أسهل، من ضحيتها الأخيرة.

بعد زيارة معرض اللوحات اتجه ديمّا مع رفيقته الفاتنة إلى مطعم
«Luce» على ناصية شارع تفيرسكايا وبالشوي غروزينسكي. نال
المطعم إعجاب فيكا أكثر بكثير من معرض الرسام العصري، لم تكن
لديها أي رغبة لتفهم الطريقة الإبداعية لذلك الرسّام. وها هي ذي في
قائمة المطعم فهمت بلذة كبيرة جدّاً.

بعد حادثة يوم أمس في المطعم، كان ديمّا لبقاً إلى أقصى حدّ مع
سيدته ولم يسمح بتلميح صغير يؤدي إلى رفع كلفة ما. ارتبكت فيكا،
غير المُتعودّة على الخطاب المُفرط من التكلف المُشابه، قليلاً، لكن لم
يظهر على مظهرها، تماسكت على هذا النحو، كأن لم يحدث شيء من
هذا القبيل. على الرغم من أن في داخلها اهتز كل شيء جراء الأفكار،
بأنها يمكن أن تفعل شيئاً ما على نحو خاطئ، فتفسد الانطباع عن نفسها
وتفشل الخطة العظيمة بهذه الدرجة.

فيما يتعلق بدميتري، هو قلق وليس قلقاً قليلاً - وللسبب المُشابه.
هذه الفتاة قد أعجبته للغاية، ببساطة أعجبته للغاية، وأراد أن يُشير للغاية
فيها الاهتمام المُتبادل. بوجه العموم، كلاهما تارة يتحسمان، وتارة
يبردان، كلاهما خاف أن يتخطى الميزة الواضحة الخفية كلياً، ومن هذا
كانا في توتر جدّي، والذي استمر لوقت طويل جدّاً، ما دام يقضيان معاً
هذا اليوم بأكمله. بعد الغداء ذهبّا إلى الساحة المُطلة على فارابيوفي

غوري، قبالة جامعة موسكو الحكومية، لكي يشاهدا موسكو من مكان مرتفع، بعد ذلك زارا بوكولونيا غارا، من جديد عادة لتناول الطعام في مطعم على ناصية شارع كوتوزوفسكي وفي المساء ذهبا إلى مسرح بالاشوي لمشاهدة باليه «الحذر غير المُجدي». بوجه عام، كان اليوم مليئًا بهذا الشكل، وعندما ودَّعَ ديما فيكا عند مدخل الفندق، شعر بارتياح عظيم.

«يبدو أن كل شيء مرَّ بصورة ليست سيئة، - اعتقد هو - البرنامج الثقافي كان في أوجه، أنا لم أتفوه بشيء زائد. فيكا فتاة رائعة، حقًا إنها أميرة!.. لو عرفت: كيف تنتسب إلي؟ أتوجد لديَّ حظوظ؟»

«يا له من مضجر مع ذلك، هذا الديما، - اعتقدت فيكا، صاعدة في المصعد إلى غرفتها. - لحسن الحظ بعد، أنه يوم غد ستركني لشأنَي حتَّى المساء، لا يتوجب أن أتجول معه بجميع هذه المسارح والمتاحف المملة... مع ذلك، هذا ليس بالشيء المُخيف جدًّا في الحياة. لأجل أمواله مُمكن أن أتحمّل وليس لغير ذلك... فكل شيء قد تقرر تقريبًا، أنا بصورة واضحة قد نلت إعجابه. فجأة وفي الحقيقة سيحدث أن أتزوَّجه؟»

في صباح اليوم التالي تأخَّر دميتري للمرَّة الأولى في حياته عن العمل. من الطبيعي، فيما يتعلق بمالك شركة كبيرة هذه العبارة تُلفظ ببساطة بصورة مُضحكة. كما يُقال، الإدارة لا تتأخَّر، بل تتمهل. قُدِّم لديما تقرير، من المُفترض، لم يكن حيال أحد ما، ولم تكن التزامات مؤقتة (مُستثنيا اللقاءات العملية، طبعًا) لم يمتلك - لكن بكل الأحوال

قطعياً - عادة مكتسبة بالدقة المُتناهية للمواعيد، التي كان من الممكن أن يُراقب الساعات، من عام لعام بانتظام يأتي إلى المكتب السّاعة العاشرة. وَهنا ظهر بداية السّاعة الثانية عشرة - غير اعتيادي بصورة ما، ومتبلد التفكير، وَبابتسامة خرقاء عَلَى محياه.

- لم يسأل عني أحد؟ - استعلمَ ديمًا لدى المُساعدة.

- فقط دينا ألكساندرا - أجابَت السكرتيرة - عرجتُ مرتين وَلبضع مرات اهتمتُ بالاتصالات الداخلية، وسألت هل جئتم أم لا. قالتُ إنه لأمرٍ ما لا تستطيع أن تصل إليكم بأيِّ هاتفٍ من هواتفكم.

- دينا؟ تَبًّا... - انحدرتُ ابتسامة سعيدةٍ من وجه دميتري. سحبَ هاتفه - بدا، أنه لم يشحن هاتفه. لقد نسيهما...

حسنًا، كل شيء سيحدث - يمكن، نحو الأفضل. صعد إلى مكتبه، وضع دميتري كلا الهاتفين عَلَى الشحن، التقط أنفاسه وَاتصل بدينا.

- ديمكا، وأخيرًا قد ظهرت، أنا بدأت أقلق! أنتَ غير موجود في المكتب، وَلَا يُسمح بالوصول إليك عبر هواتفك... - بدأتُ دينا بالثرثرة، وَبدا لدميتري، كأن رائحة طيبة ثقيلة بعبق عطورها تفوح عليه من السّماعة - أنتَ عَلَى ما يرام؟

- عَلَى ما يرام. لكن يتوجّب عليّ أن أتحدّث معك.

- طبعًا، يا عزيزي، أنا أسمعك.

- كلا، ليسَ بالهاتف. من الأفضل أن نلتقي.

- كم من مُدّة طويلة لم أسمع منك كلمات كهذه - ضحكتُ

ديننا- هل حدث شيء؟

- متى يمكن أن نلتقي؟ - سأل بجفاء، غير مُجيب على سؤالها.

- ليكن الآن. أنا اليوم حرة طوال اليوم.

- إذن، نلتق وقت الغداء.

- مُمتاز. لنأكل معاً... يعني، في السّاعة الثانية في مطعمنا.

«نأكل معاً» لم يتمكن في ذلك اليوم، لا دميترى، ولا ديننا على هذا النحو أن يلمسا الأكل المطلوب. كان الحديث القائم بينهما ثقيلاً جداً عليهما. وليس من المعروف حتّى، لمن الحديث كان أثقل - للرجل، الذي كان مُرغمًا أن يخبرها بقرار إنهاء علاقتهما، التي طالت تقريباً لثلاثة عشر عامًا، أو للمرأة التي تعين عليها أن تسمع كل هذا، وأن تفهم وتقبل.

- لديك أحد ما قد ظهر، صحيح؟ - سألت هي، باكيةً وبحذر جففت عينيها بمنديل، مُحاولَةً أن لا تُمرّغ كُحل المسكرة.

- ما الفرق! - أجاب في اضطراب. - الأمر ليس في هذا. افهمي، يا ديننا، ليس مُهمًا، يوجد في حياتي فتاة ما أخرى أو لا. المُهم، أننا لا نستطيع أن نكون معاً أكثر. أنا أفهم، من المرارة أن تستمعي لهذا... أنا دائماً أتعامل معك بصورة جيّدة للغاية وإلى الآن أتعامل بهذه الصورة، ومن الصعب عليّ للغاية أن أقول كل هذا وأصيبك بالأذى. لكني لم أعد أحبك أكثر. علاقتنا وصلت إلى طريق مسدود، وسيكون من الأفضل لكلينا، لو أننا انفصلنا...

أشعرته تلك الكليشيهات التي لفظها بالاشمئزاز. لم يعلق برأسه

شيء، عدا الابتذال في تلك الكلمات التي نطق بها. كان دميتري طوال حياته ينتقي الكلمات بصورة سيئة، والبلاغة أبدًا لم تدخل في عداد فضائله. على أي حال، لم تنبهر دينا أيضًا بالصيغ التي ابتدعها.

- آه، أنا حزينة للغاية، ببساطة حزينة ومُحطمة - دمدمتُ، على وجه الدقة كانت بطلّة مسلسل تلفازي ما من أميركا الجنوبية.

بيد أنه يجب أن نعطي دينا ما تستحق، فقد تمالكَت نفسها كليًا: لم تنتحب في صوتها، لم تصطدم في حالة هستيرية، لم تنحني، مُتوسلةً أن لا يهجرها، لم تنهل عليه بالاتهامات في ذلك، بأنه أتلف أفضل أعوامها - باختصار، لم تقم بأي احتجاجات، التي تفرع هكذا ديمًا. بوجه عام وبشكل كلي تماسكتُ دينا بامتياز، ودميتري كان شاكراً لها جدًّا إزاء هذا.

- حسنًا، طبعًا، عاجلاً أم آجلاً هذا كان يجب أن يحدث... - قالت دينا بتأوه ثقيل. - للأسف فحسب، بأن أنتَ قلت لي هذا بالتحديد اليوم. أنا نويت أن أتقاسم معك الفرحة.

- أيّ فرحة؟ - بسرور تمسك ديمًا بإمكانية مُغادرة الموضوع البغيض.

- ستأتي جانكا قريبًا من إنكلترا - ابتسمت المرأة من خلال الدموع - أفلعتُ عن عاداتها، مثلما يُقال...

- الآن كل شيء لديها على ما يرام؟ - اهتَم دميتري. - وهذا كما يبدو، أنا أدرك، قبيل بضع سنوات كانت لديها متاعب ما في المدرسة،

وَوَجِبَ عَلَيْكَ حَتَّى السَّفَرِ إِلَى الْمَمْلَكَةِ الْبَرِيطَانِيَّةِ، لِحَلِّهَا مَعَهُمْ...

- أَجَلٌ، كَانَ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ... - صَعَّرْتُ دِينَا خَدَهَا- لَكِنْ كَانَ هَذَا مِنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ فِي الْعَامِ الْمُنْصَرَمِ. وَفِي الْوَقْتِ الْحَالِيِّ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى مَا يَرَامُ، أَكْمَلْتُ جَانًا دَرَاثَتَهَا دُونِ مَشَاكِلَ، وَأَنْهَيْتُ بَعْلَامَاتٍ جَيِّدَةٍ، فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ هُمْ سَيَقْلِدُونَهَا الشَّهَادَةَ، أَوْ هَكَذَا لَدَيْهِمْ هُنَاكَ يُسَمَّى...

- جَيِّدٌ، أَنَا فَرِحَ لِلْغَايَةِ لِأَجْلِكَ.

- أَنَا، طَبْعًا. أَيْضًا فَرِحَ، بِأَنَّ الْبِنْتَ سَتَعُودُ... لَكِنْ كَمْ فِي الْوَقْتِ الْحَالِيِّ سَتَكُونُ مِنَ الْمَشَاغِلِ! كَمَا يَبْدُو سَيَتَوَجَّبُ عَلَيْهَا كَلِيًّا أَنْ تَرْتَدِي - وَتَتَتَعَلَّ، بَيْنَمَا بَبْضُوعَةُ مَلَابِسَ لَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ بِهِذَا. مِنْ دُونِ رَيْبٍ تَحْتَاجُ إِلَى سَيَّارَةٍ، وَهَوَاتِفِ آيْفُونِ وَآيْبَادِ، أَوْ مَا يَسْتَخْدُمُهُ الْآنَ هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ هُنَاكَ... بَيَدُ أَنْ التَّعْلِيمَ يَجِبُ أَنْ يَسْتَمِرَّ، فِي جَامِعَةٍ مَا، عِنْدَنَا أَوْ فِي الْخَارِجِ - وَكُلُّ هَذَا مُتَعَلِّقٌ بِالْأَمْوَالِ، أَمْوَالٍ، أَمْوَالٍ... وَأَنَا لَمْ أَجْمَعْ حَتَّى أَمْوَالًا لِلْسَّفَرِ إِلَى إِنْكَلْتِرَا. وَهَذَا لَيْسَ مِنَ الْجَيِّدِ، إِذْ لَنْ يَحْضُرَ الْوَالِدَانِ التَّقْلِيدَ الْإِحْتِفَالِيِّ لِلشَّهَادَةِ...

- دِينَا، لَا تَحْزَنِي - لِمَسْ يَدِيهَا بِحَذَرٍ. - كُلُّ شَيْءٍ سَيَكُونُ جَيِّدًا. نَحْنُ سَنَبْقَى أَصْدِقَاءَ. وَطَبْعًا، أَنَا سَأُسَاعِدُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ، بِمَا تَحْتَاجِيْنَهُ. الْيَوْمَ سَأُحَوِّلُ لِحِسَابِكَ أَمْوَالَ السَّفَرِ إِلَى إِنْكَلْتِرَا. وَلَكِ مَعَ جَانًا فِي الْوَقْتِ الْأَوَّلِ... وَعِنْدَمَا تَخْتَارِينَ مَعَ الْبِنْتَ الْمُؤَسَّسَةَ التَّعْلِيمِيَّةَ، قُولِي لِي، أَنَا سَأُحَلِّ مَسْأَلَةَ الدَّفْعِ.

- شُكْرًا، يَا دِيمَا! - ابْتَهَجَتْ الْمَرْأَةُ. - طَبْعًا، نَحْنُ حَتْمًا سَنَنْتَفِعُ بِمُسَاعَدَتِكَ. يُمْكِنُ، أَنْ تَعْرِجَ إِلَيْنَا بِطَرِيقَةٍ مَا مَسَاءً، نَحْنُ سَنُنَاقِشُ كُلَّ

شيء. وتشاهد جانّا...

- حتمًا سأعرج - أكد ديمتري. - وستحدث، وأشاهدها. من الفضول بالنسبة لي أن أتطلع إلى أي فتاة قد غدت جانّا، أنا لم أرها منذ الطفولة. أعتقد أنها كبرت...

في الواقع، طبعًا، اهتمّ بنت دينا الآن أقلّ من كل شيء. لكن دينا كان مُهذبًا بصورة جيّدة وأثناء الفراق مع امرأة محبوبة من وقت ما سعى للالتزام بالأدب الأساسي. وها هي دينا تهتم بمصير بنتها كثيرًا، أكثر من استقرارها. أصبحت جانّا بالغة تمامًا، ولديها احتياجات تزداد عامًا بعد آخر.



الفصل العاشر عشر

كل شيء يسير حسب الخطة

رُبَّما، كانت هذه أيامًا مؤلمة للغاية، لكنها حلوة جدًا بالنسبة لديما. ذهبَ مع فيكا إلى الحفلات الموسيقية ومعارض اللوحات، والمسارح ومعهد الموسيقى، زارا عشرات المتاحف، تجولًا في جميع المنازل الريفية الموسكوفية الكبيرة، ولبضع مرات لعبًا كُرّة المضرب في ملاعب تنس مجمع لوجنيكي. أوليا اهتمامًا لزيارة المطاعم، التي بدت فيكا مولعة كبيرة بها. كل مرّة، حين ينويان الذهاب إلى مكان ما، ديما من كل بُدّ يُعرج على فيكا، مُلتقيًا إياها عند الفندق، وكل مساء يبعث إلى عُرفتها باقة ورد كبيرة هدية منه.

قَبيل هذا لم يتودد ديما بلباقة وبصورة جميلة على هذا النحو لأيّ أحد. مع ديما كان الأمر مختلفًا وضروريًا. النساء الأخريات في حياة دميتري سالاب عادةً يُقسمن إلى فئتين - أولئك اللواتي يُعجب بهن،

وأولئك اللواتي يُعجبين به، أو بالأحرى، يُعجبُن بحالته المادية ووضعه الاجتماعي. وهن دائماً كن نساء مُختلفات تماماً. الفئة الأولى التقين به في الأساس في مرحلة الشباب، وهن، كالمعتاد، في بداية الحديث أفهمن ديما، بلطف أو من غير لطف، بأنه لا حظَّ له مع النساء. الفئة الثانية ظهرن في حياته في السنوات الأخيرة، بيد أنهن لم يحتجن على وجه الدقة إلى التودد، وعلى هذا النحو كنَّ مُستعدات لفعل كل شيء لقاء المال والهدايا. لم تشبه فيكا لا أولئك النسوة، ولا غيرهن، هي قبلتْ بأناقة توددات ديما وكانت بصورة عجيبة لطيفة معه، لكن في أثناء ذلك تمسكتْ بكرامتها وتحايلتْ بهذا الشكل للالتزام المسافة بينهما، حتَّى إنه إلى هذا الوقت لم يُقبلها ولم يُعانقها البتة، إلا أنه أحياناً كان يُحاول أن يمسك يديها.

بعد اللقاء الثاني، عندما اصطحب ديما فيكا إلى مسرح «لينكوم»^(٨٨) وإلى مطعم جيّد في تفيرسكايا، موصلاً إياها إلى الفندق وعندما ودّع إياها عند الباب، حاول أن يُقبلها، ابتعدت الفتاة عنه بحزم.

- كلا، كلا، لا حاجة! - قالتْ بكياسة مُصطنعة. وأضافت برقة

كبيرة، بحنان ما حتَّى في الصوت:

(٨٨) لينكوم - مسرح موسكو الحكومي لينكوم الذي يحمل اسم المخرج السوفيتي مارك زاخارف. مسرح الدراما الذي يقع في حي تفيرسكايا بموسكو. تم تأسيسه ١٩٢٧ كمسرح لعمل الشباب. في عام ١٩٣٧ تم دمج مع مسرح استوديو رويين سيموناف، وبعد ذلك تم تغيير اسمه إلى مسرح موسكو الحكومي الذي حمل اسم الشيوعي اللينيني. منذ ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٩ حمل اسم مارك زاخارف وأصبح يُسمّى "مسرح موسكو الحكومي لينكوم مارك زاخارف. (المُترجم).

- ديمَا، افهمني بصورة صحيحة... أنت تعجبني للغاية، معك كل شيء حسن وممتع. لكن، في الحقيقة، أنا لا أعرفك كليًا.

مثّل هذا على نحو رائع للغاية، ولو كان أندريه حاضرًا في أثناء هذا الحديث، كان سيُصَفَّق لفيكا. لو أن أندريه كان هناك! المُخرج العظيم كانستانتين سيرغيفيتش ستانيسلافسكي^(٨٩) بنفسه - لو أنه تمكن من مشاهدة المشهد المُشابه، لكان سيهتف: «مُدْهَش!» على هذا النحو فيكا كانت على مستوى عالٍ بأدائها - بينما ديمَا، طبعًا، تكدر كثيرًا. منذ ذلك الوقت كان يتصرف مع الفتاة مثل حصن منيع، الذي كانت بوابته الثقيلة موصدة بإحكام، وخنادقه مغمورة بالمياه، والجسور مرفوعة، والكوة محتدمة بالمدافع. والأهم من ذلك كان شغله الشاغل أن يستولي على هذا الحصن.

كان يبدو له أحيانًا أن فيكا بدأت تنظر إليه بعطف نوعًا ما. عبرت عن تعاطفها في كلماتها، قالت الفتاة له مرارًا أشياء سارة شتى: بأنه مُتحدث شيق، ويمكنه الملاطفة بصورة رائعة، ويعطي انطباعًا لشخص أمين، كريم وموثوق به - ببساطة هو حُلُم أي امرأة. ذاب ديمَا على هذا النحو جراء هذه الكلمات، لكنه منع نفسه أن يستتج منها استنتاجات ما بعيدة. فقد يستبق الأحداث وقد يُفسد كل شيء بهذا. لم يرغب دميتري بتحوّل كهذا مُطلقًا، كان مُفتنًا كليًا بفيكا، واعتبر أنه يعشقها بذلك الشغف، الذي عشق به دينا في وقت ما. ويمكن أن يكون أكثر قوّة،

(٨٩) كانستانتين سيرغيفيتش ستانيسلافسكي - وُلِدَ ٥ [١٧] كانون الثاني ١٨٦٣ في موسكو وتوفي ٧ اب ١٩٣٨. مُخرج مسرحي روسي، مُمثل ومُربّي، مؤسس نظام التمثيل الذي امتلك شهرة على امتداد ١٠٠ عام في روسيا والعالم. (المُترجم).

لأن حُبّه كان اتجاه ديننا، كما أنه الآن قد فهم، كان وهماً شابياً لا أكثر، نتيجة لُعبة الهرمونات امتزاجاً بوهم المراهقة الهائج، الذي أكرم أوّل فتاة مُلائمة وقعت عليها العين بفضائل مفقودة وأزجى آيات التسييح والتمجيد لفتاة اعتيادية تماماً، التي لا تستحق علاقة كهذه.

في الوقت الحاضر، كما بدا له، كان كل شيء بشكل مُغاير. الآن هو شخص بالغ، مُتبصر، قادر على تقييم الناس بصورة موضوعية، من ضمنهم النساء الجميلات أيضاً. وخياره وقع على فيكا بالتحديد، لأن هذه الفتاة بالحقيقة جيّدة وتستحق في هذه الحياة الأفضل. من ناحية أخرى، لم يكن دميتري قادراً هكذا طوال هذا الوقت أن يتدبر مُشكلة التقييم الذاتي المُنخفض، ولم يُعد نفسه يستحق الأفضل. ولأنه عانى بصدق، غير عارف، يمكن أن يستحق اهتمام رفيقته.

بدت هذه الأيام ليست سهلة بالنسبة لفيكا. في الوقت الحالي أصابها كل هذا الملل، ضاقت ذرعاً منذ اليوم الأوّل بسماع الموسيقى الكلاسيكية المُضجرة وتجرعت غبار المتاحف، لكن الفتاة أقنعت نفسها، بأن هذا هو الثمن الباهظ تماماً لِقَاء تلك الفرصة، التي أتاحها لها القدر فجأة. شعرت فيكا للمرّة الأولى في حياتها، بأن طعمها أخيراً قد اصطاد فريسة حقيقية، وخافت للغاية أن تفلتها. طوال الوقت كانت متوترة، خائفة أن ترتكب خطأ، طالما فهمت - يمكن أن يكون كافياً حتّى سبب تافه، عبارة متهورة ما أو كلمة تفلت من بين شفيتها في وقت غير مُناسب، فتُهشم صورة الفتاة ذات الثقافة العالية المرفهة الحس، التي قد كوّننها بهذا الشكل باجتهاد.

أبدى أندريه مُساعدة كبيرة لفيكا. هُوَ تقريبًا لم يُناقش معها التفاصيل بعد كل لقاء، أوعز أندريه للفتاة، كيف ينبغي أن تتصرف في هذه الحالة أو تلك وأيّ كلمات تقول. أحيانًا التعليمات المُشابهة توصل بالهاتف، ومرارًا - في الفراش، ما دام أندريه في أغلب الأحيان لم يكن شخصيًا ضدّ زيارة تابعته. لم تعترض فيكا - فقد نال إعجابها بوصفه رجلًا، وبوصفه عاشقًا. خاصّةً بعد ذلك، كما هي المُحت، بأن المال لديها سينفذ.

- أنا كنت أود أن أطلب مِن ديمّا، لكن أنت كما يبدو منعت أن أفعل هذا، - قالت ذلك وهي تحرك رموشها ببراعة..

- لا- لا، لا تفكري! بهذا أنت ستفسدين كل شيء! - أوّماً أندريه برأسه. في الحال ذهبَ إلى ماكينة سحب النقود وعندما عاد، نقدها خمسة عشر ألفًا.

- خُذي. أعتقد أن هذا يكفي في البداية.

بدأت فيكا الفَرحة تُخَمِّن في قرارة نفسها، متى يحين «الوقت النهائي»، لكن هُنا انقطعتْ على حين غرة - أخبرها أندريه أنه سيُسافر لمدة أسبوعين إلى غرينلاند.

- حانت الرغبة لأُمتع ناظري بالعيون الكبرى.

- وكيف سأبقى أنا هُنا مِن دُونك؟ - قلقْتُ فيكا. - فجأة قد يحدث شيء ما بصورة خاطئة...

- افعلي ما تشائين، - لوح أندريه بيده - مِن المُحتمل، الزبون قد اتخذ شكله النهائي كليًا. يمكنك أن تسحبيه إلى الفراش، وبعد هذا في الحال قُوديه إلى دائرة الأحوال المدنية للزواج.

- أعتقد أنه سيذهب؟

- سيذهب راضًا! - بثقة أجاب أندريه - هُو فقد عقله بسببك.

في الحقيقة لم يشك أندريه في النجاح. عرفَ جيّدًا ابن خالته ورأى بأن ديمكا جدّيًا قد أُعجب بفيكا. فضلًا عن ذلك، هو يتحدّث عنها فقط، وتقريبًا قَصّر في عمله، وفي وقت سابق بوجه عام لم يحدث له هكذا شيء بتاتًا. بما أن ديمكا سألاب المنزاح عن الكمبيوترات قد نسي مهمّاته الشتى وتقريبًا لم يقترب مِن شاشة الكمبيوتر - فهذا يعني الكثير. وأعمال المجموعة قد أرجأها ديمكا. حين ذكر أندريه لابن خالته، أن الوقت يقترب لرحيله إلى غرينلاند، لم يُناقشه الوضع الحالي في عملهما التجاري، كما يحدث هذا عادةً على الدوام، بل سأل فقط:

- أنت ستذهب مع سفيتا، أليس كذلك؟

- بلى - المُندهش بعدم الاكتراث، وافق أندريه مُسبقًا، دون أن يتصور عمن يدور الحديث.

- حسنًا، أتمنّى لكما استراحة سعيدة - أوماً ديمكا برأسه وأضاف:
أمل، أنت في وقت ما أن تُعرّفنا بها. سيكون مِن المُمتع بالنسبة لي للغاية أن أرى صديقة فيكا. بالمُناسبة، أتدري، ماذا قالت لي يوم أمس، حين ذهبنا للتنزه في نيسكو تشني ساد؟..

وبعد ذلك مرّة ثانية انساب حديث مُنفرد طويل غير مُتناهٍ، المتجلي كلياً من المديح لظرافة فيكا وأفتانها.

على هذا النحو بقي أُنديره هادئاً - السمكة لم تفلت من الطعم.

في اليوم التالي بعد ذلك، ما أن سافر أُنديره إلى العيون الكبرى، استأجر ديما باخرة ليست كبيرة، وذهب هو وفِكا في نزهة في نهر موسكو والقناة التي تحمل اسم موسكو. كل شيء كان رائعاً حتّى قبيل ذلك، حين، قفلاً راجعين بعد حلول الظلام إلى الفندق، فجأةً أحست فيكا بأن كتفيها يؤلمانها. اتضح أنها أصيبت بحروق جراء التعرض للشمس. بغض النظر عن الزيارة المنتظمة لحُجرة التشميس، جلدها بدا غير جاهز للبقاء يوماً كاملاً في الهواء الطلق، وتحديدًا عند الماء، دون واقٍ ضروري، - وها هي ذي النتيجة.

اضطرب ديما بشكل جدّي، حتّى إنه نوى أن يعرض فيكا على الطبيب، وعندما صرفته عن هذه الفكرة، مُقتنعةً بأن لا يوجد شيء يدعو للخوف، اقترح بوجل:

- أيمكن، وقتئذ أن نذهب إلى مسكني؟ أنا أقطن قريباً من هنا، ولديّ في المنزل دواء جيّد جدّاً للحروق، نسيثُ، كيف يسمّونه، بطريقة ما بـ «با»...

من المُفترض «دواء جيّد يبدأ بـ با» كان مُمكن ببساطة شراؤه من أي صيدلية وتناوله أثناء العودة إلى الفندق. لكن فيكا تمسّكتُ هنا بهذه الفرصة، خائفةً، بأن المرّة المُقبلة يمكن أن تنتظر لوقت طويل. وبسرعة وافقتُ.

حاولت بكل قواها، لكي يتحوّل إجراء العلاج إلى عملية إغواء.
وجب القول، بأنها نجحت بفعل هذا، حتّى دُونَ أن تبذل جهودًا خاصّة.
الرجل، متأجج بالشوق، حقيقة مُضحكة إلى حدّ ما وبسهولة قابلة
للتكهّن. حين دهن ديمّا كتفها، لامسًا إياها بحذر بالغ، الفتاة على وجه
الدّقة كانت نقيّة، بالضبط كل شيء فيها قد هزه. مِنَ الطّبيعي، انتهت
تأدية الإسعاف الأوّل لبنت سانت بيتربورغ الناعمة، التي عانت من
شمس موسكو الغادرة، بقبلة رقيقة طويلة. مُتجنبَةً أخيرًا وبِحذر النظر
في عيني ديمّا، رأت فيكا، أنه ظهر هكذا، على وجه الدّقة ثمل وبالكاد
يقف على قدميه.

- فيكا... يمكنك... يمكنك، أن تبقي؟ - همس هو، من جديد
جذبها إليه.

تنهدت فيكا. بهدوء للغاية، لكن بصوت عالٍ لدرجة كافية، لكي
يسمع ديمّا التنهيدة ويفهم، أي عاصفة للتأثرات قد جرت في روحها.
- لا أعرف... - أجابت هي أيضًا همسًا. - لا أعرف، يا ديمّا... أنا
مرتبكة جدًّا... أنت تعجبني للغاية... أكثر من أيّ شخص آخر وفي أيّ
وقت ما في حياتي... لكنني لا أعترف بالتقرب الحميمي دُونَ علاقات
جديّة.

- فيكا- أجاب ديمّا بلهجة كهذه، كما لو أنّ الكلام كان صعبًا
عليه. - أنا بصورة جديّة أتعامل معك. جدًّا، أكثر جديّةً...

حدث على هذا النحو، بأنهما كليهما منذ مُدّة طويلة كانا مُتعتشين،
- ظهر ديمّا وفيكا في فراش واحد. هل يجب القول، بأن هذه الليلة

كانت بالنسبة لهما ببساطة خيالية؟ كل واحد منهما قد احتفل بانتصاره. احتفل ديمَا - الحصن، الذي بدا منيعًا، أخيرًا قد سقط! كان هُوَ في السماء السابعة مِنَ السعادة. علاوة عَلَى ذلك، فيكا جميلة، وَذكية، وَجذابة، هي أيضًا امرأة مذهلة! هي بدتْ في الفراش تجسيدًا لَحُلْمِ أَيِّ رجل. لم تكن لديه أبدًا عشيقة كهذه بعد، حَتَّى إنها ماهرة وَذات خبرة، مثل نجمة الأفلام الخلاعية، دينا - تلك قد تخمد أمامها. وَمَا القول عن ميوله السابقة الأخرى وَتعلقاته! كان ديمَا مفتونًا، وَسعيدًا وَفخورًا بنفسه للغاية. لِلْمَرَّةِ الأولى في حياته استطاع بنفسه أَنْ يُحارب وَأَنْ يستولي عَلَى الفتاة، وَيَا لَهَا مِنْ فتاة! هذا الانتصار كان أَغْلَى بالنسبة له مِنَ النجاح المالي، أَغْلَى الإلهامات السعيدة كلها إِزاء شاشة الكومبيوتر. كان هذا نصرًا حقيقيًا، فوزه وَفوزه فقط.

اغتنبتُ فيكا أيضًا. طبعًا، بدا ديمَا حبيبًا لا بأس به، مثلما هي افترضتُ، حَتَّى إِلَى ذلك أُنْدرِيه كان بعيدًا عنه. لكنها في المُقابل شعرتُ، بأن ديمَا يعشقها جديًا، وَأَنَّهُ يمكنها الآن أَنْ تحكم قبضتها عليه. وَيَعْنِي، هي قد بلغتْ هدفها: الحياة المبتغاة، مثل ما يصورونها لها في المجلات اللامعة، قريبة مثلما لم تكن أبدًا أَنْ تحلم بها! الحياة، حيث لا يوجد مكان للمشاكل، وَباهتمامات حياتية مألوفة، حيث لا يوجد العوز وَالمتاعب، خيالات الأمل وَالضياع، وَدموع مرة وَأَيام غائمة. هُنَاكَ تشرق الشمس للأبد، وَيَطْرُش البحر الفيروزي، أشجار نخيل تحتها كراسي طويلة مُريحة، وَتذوب قطع الثلج مع شراب الكوكتيل وقطع الفاكهة الصغيرة الموضوعة في الكؤوس المُزينة، وَالسيارات الفارحة تحف

بالشارع المُتساوي عَلَى نحو رائع، حاملةً ركبها المُتأنقين الملفوحين
بالشمس إلى أمكنة بعيدة متلائة وَفاخرة. وداعًا، يا مدينة بيتربورغ
البيضة، وَالْمُظلمة، وَالندية، وداعًا أيها المُتكفلون المُتعرقون، الصلح،
وَذوو الشعر الكث وَالطماعون! يخت ناصع البياض يتمايل بخفة عند
المرسى، مستعدًا للانطلاق في طريق الأمواج اللطيفة، وَالصافية.

في الصباح، بعد ليلة هائجة بِالْحُبِّ، هُما بِسُرور تقلبا في الفراش
وَتحدّثنا. اعترفْتُ فيكا، بأنها أخيرًا التقتُ بمن تحلم به.

- أتعلم، أَنْتِ أَوَّلَ رجل، الذي أريد أن أُكرس كل حياتي له. يا
لَكَ مِنْ موثوق، وَيَا لَكَ مِنْ حقيقي... أنا عشقتك في الحال، فقط
خفتُ، بأنك ستفهمني بِصورة غير صحيحة، وَتعتقد، بأنني حبيبة هوجاء
للمغامرات الغرامية. بينما أنا أحلم هكذا بحياة عائلية سعيدة، أريد أن
أحب وَأَكون محبوبة، أريد أن يكون لدينا طفل... أو حتّى اثنان. صبي
وَفَتاة. ليكن الصبي لطيفًا وَذكيًا هكذا، مثلك...

-... وَالفتاة حسناء حقيقية - شبيهة أمها في كل شيء! - واصل
ديما.

- طبعًا! - التصقتُ فيكا به بكل جسدها وَكانت تتكلم بصوت
ناعم، بغنج وَبرقة لامسة صدره: - يا عزيزي، إني أشعر بِصورة جيّدة
لِلغاية...

ابتسم ديما الراضي بلذة. ها هي ذي السعادة، - دافئة، وَرقيقة،
وَطيبة. لا يجوز أن يتنازل عنها بأي حال! يتوجّب فعل كل شيء، لكي
تستمر هذه اللحظة لوقت أطول وَلَا تنتهي أبدًا.

- فيكا، أترغبين في الزواج بي؟ - سأل هُوَ بحذر. وَهنا تأسف على السؤال، الذي بسرعة هكذا خرج من شفتيه. فجأة هي سترفض! ووقتئذ هذه القلعة الرائعة في الهواء، التي للتو قد بناها بنفسه، ستتهار في لحظة واحدة.

لكن، لحسن حظه السماوي، لم تعارض فيكا. بل قالت:
- يا عزيزي، أنا أحلم بهذا فحسب! منذ ذلك الوقت، الذي رأيت صورتك في الحاسوب الشخصي لدى أندريه...
- تفوهت بكلام سخي - وَهنا أغلقتَ فيها، مُدركةً أنها نتيجة لفرحها قد أفلتتَ كلامًا زائدًا. لكن الكلمة ليست عصفورًا، الذي يمكن أن يصطادوه - وَستهرب...
- أي صورة؟ - لم يفهم ديما. نهض قليلًا مُستندًا على كوعه وَنظرَ بذهول إليها.

- في الإنترنت... - همستُ فيكا بارتباك.
أوي، يا إلهي، ما العمل الآن؟ هل أفسدت كل شيء؟! يجب بسرعة، بسرعة أن تخلق شيئًا ما!

- تفهم، نحن، حين تعارفنا في بيتربورغ مع أندريه، - بدأتُ فيكا بحذر، مؤلفة القصة في مجرى الحديث - هُوَ في الحال بدأ يلتصق بصديقتي، بسفي... - هي تلعثتُ في منتصف كلامها، وَفجأة خائفة، بأن تُخطئ اسم الصديقة، الموجودة فقط في خيال أندريه. كلا، بمثابة كل شيء صحيح... - بسفيكا. وبدأ يُرينا صورًا مُختلفة، لأننا في

بداية الأمر لم نصدقه، بأنه كوليكوف ذاته، مالك «يديناميشلينكي». وفي واحدة من الصور أنت كنت معه. أنا وقتئذ نظرتُ إليك وفكرتُ: «يا له من رجل مُمتع!».

- ولم يخب أملك فيما بعد؟ - طرح ديما سؤالاً بمثابة مزحة، لكن كان واضحًا.

- ماذا دهاك، يا عزيزي - قالت فيكا بوهن - على العكس...

على وجه الدقة قد انزاح عن صدرها عبء ثقیل. يبدو، في هذه المرة أن الأمور مرت بسلام، كما لو أن شتيرليتس^(٩٠) كان قريبًا من أن يُكتشف أمره على هذا النحو...

لأجل تناول الغداء في مطعم ليس بعيدًا عن منزل ديما، عادت فيكا للحديث عن حفل الزفاف. يجب أن تتحكم بهؤلاء الرجال باستمرار، وإلا تفلت الموضوع ولن يكون من السهل العودة إليه فيما بعد. لحسن الحظ، ساند ديما الحديث بسُرور وبدأ يُناقش معها التفاصيل. لم تتحدث فيكا بعد عن عقد الزواج، قررت أن تؤجل مناقشة المسائل الجدّية إلى وقت آخر. لهذا تحدثنا في الحقيقة عن أشياء لطيفة - عن الملابس، والاحتفال، والضيوف المدعوين وخيارات الأمكنة، التي من الممكن الذهاب إليها لقضاء شهر العسل.

في هذه الأيام كان ديما على وجه الدقة يشعر بالسعادة والابتهاج. ولم يدهشه مطلقًا أن أذواق عروسه على حين غرة قد تبدلت - هي فجأة

(٩٠) ماكس اوتو فون شتيرليتس - شخصية ابتدعها الكاتب السوفيتي يوليآن سيميونافيتش سيميوناف كرجل مخابرات يعمل لصالح الاتحاد السوفيتي في ألمانيا النازية. (المترجم).

فقدت الاهتمام بالمتاحف، والمسارح والموسيقى الكلاسيكية واهتمت بمتاجر الملابس. أدرك دميتري هذا كما ينبغي - تستعد الفتاة لحفل الزفاف، وتختار فستان العرس وكل ما هو سيكون ضروريًا بالنسبة لها. هو كان عاشقًا للغاية لرفيقته، وكان مُستعدًا أن يتجول معها في المتاجر وبمروءة أن يتحمل عملية التسوق، على الرغم من ذلك، مثل الكثير من الرجال، لم يستطع أن يتحمل هذا. لحسن حظه، بدت فيكا رحيمة ولم تجبره على مُرافقتها. فقط شكّت، أنها في وضع صعب، كما يبدو، ناوية الذهاب إلى موسكو، هي لم تتوقع أن تتزوج هنا، بل حتّى تمكث لوقت طويل، والآن لديها ستنفد الأموال، المُخصصة للرحلة. ومن الطبيعي، لو كان دميتري هنا فسيحل هذه المُشكلة. فقد تطوّع بدفع جميع نفقات فيكا، واثقًا بها، بأن لا يمكن أن يحدث شيء مُغاير. وكيف يحدث شيء مُغاير؟ كما يبدو الآن هي خطيبته، زوجته المُستقبلية. وهو - رب الأسرة، الذي، بوصفه رجلًا، يجب أن يؤمن كل شيء.

هكذا كل شيء شابه ارتياح مُتبادل. في الصباح وفي الظهر، حينما يكون ديمّا لا يزال في المكتب، فيكا تبقى نائمة، وتستعيد وضعها وتذهب إلى المتاجر. بينما في المساء يلتقيان ولا يفترقان حتّى الصباح. ببداية الأمر يتناولان العشاء في مطعم جيّد، وبعد ذلك يذهبان إما إلى شقّته، وإما إليها في الفندق - حسب المزاج.

باختصار، كل شيء جرى بصورة مُمتازة حتّى ذلك الحين، ولكن في واحدة من الأمسيات، كانا جالسين في المطعم في تشيستية برودي، لمح ديمّا عند الباب قوامًا نسويًا معروفًا. دينا! ماذا تفعل هنا؟ أدار وجهه

بسرعة، مُعلقًا نفسه بالآمال في أعماق روحه، بأن لا تنظر حبيته السابقة إلى مكانه صدفة ويمكن أن يكون، ألا تلاحظه. هيهات، لم تتحقق آماله. أجالت دينا النظر في القاعة، وجدت أنظارها إياهما وبابتسامة اقتربت إلى الطاولة.

- مرحبًا! - قالت دينا، التي ظهرت ببساطة تجسّدًا للطف والمودّة
- يا له من لقاء غير مُتوقع! آمل، أن لا أعيقكما؟
وهنا، غير مُتطرّة الدعوة، جلست على الكرسي الفارغ.
- ديمًا، عرّفني على رفيقتك الفاتنة!.

- فيكا، هذه دينا، مدير قسم الموارد البشرية - قال دميتري هذا من بين أسنانه. هو لم يكن فرحًا بذلك تمامًا، بأن الوضع قد تعقّد بهذا الشكل.

دينا في غضون ذلك التفتت إلى فيكا وهمست:

- أتعلمين، يا فيكا، لدينا في الشركة يتكلمون عنكم فحسب! ناستيا^(٩١)، سكرتيرة أندريه، بنظرة سريعة رأتهما في مكان ما وقرّعت آذاننا، مُتحدّثة، أي حسناء أنت!

ردًا على هذا الإطراء البغيض الظاهر غضت فيكا بصرها بارتباك، بينما استمرت دينا بإغداق المديح:

- والآن أنا أرى، بأنها مُحقّقة تمامًا! يا لك من جميلة! وعلى نحو مُدهش تليق عليك ببساطة البلوزة! اللون يُناسبك في الحقيقة. اليوم

(٩١) ناستيا - تصغير وتحبيب اسم اناسناسيا. (المُترجم).

رأيتُ في متجر الملابس في ممر مشاة تريتياكوفسكي ثوبًا مُذهلاً
McQueen شبيهاً لهذا اللون. يبدو لي، أنه يليق بك للغاية. بالضبط في
حجمك - على قوام ممشوق أهيف كهذا...

- أين هذا - ممر مشاة تريتياكوفسكي؟ - اهتمت فيكا. - أترون،
أنا من بيتيربورغ ولا أعرف موسكو جيداً.

- أتريدين، أن أقودك إليه؟ أنا بالضبط يوم غد سأذهب إلى هناك
مرةً أخرى.

- بكل سرور، فقط ليس في وقت مُبكر.

- ماذا دهاك، ماذا دهاك، أنا بنفسى لا أستيقظ باكراً! في الساعة
الواحدة يلائمك؟ يا للروعة، أنا وقتئذ سأعرج عليك. في أي فندق أنت
تسكنين؟

- في «Ritz Carlton»، غرفة خمسمائة وستة وسبعون.

- إذن، اتفقنا. في الساعة الواحدة سأكون عندك.

الاتفاق المُتبادل هذا حدث بسرعة للغاية. لم ينجح دميتري أن
يضع كلماته. ارتبك كثيراً بسبب الظهور المفاجئ لدينا، فضلاً عن
ذلك، خَمَنَ، بأن حبيبته السابقة ظهرت في المطعم ليس صدفةً. هي
بصورة واضحة تنوي فعل شيء ما... لكن ماذا؟ وماذا يجب عليه أن
يفعل؟ ليس من اللائق أن يطلب منها أن تغادر، أن يُعادر هوَ ويأخذ فيكا
سيكون أمراً سخيفاً، هما للتو قد طلبا. الأفضل، ربّما، التحدّث مع فيكا
فيما بعد وأن يشرح لها بطريقة ما، بأن الأفضل أن تتعد عن هذه المرأة.

كيف سيكون الأمر؟ أي حُجج مُقنعة يجب أن يجد، لكي تُصدقه فيكا؟ أخ، كم هذا مُقزز، لا أودُّ أن أبدأ العلاقة بالكذب مع فتاة صادقة ونقية كهذه، مثل فيكا...

جلستُ دينا معهما بعضًا من الوقت، مُتحدِّثَةً لفيكا، بأنها تعرف ديمًا وأندريه منذ مُدَّة طويلة للغاية، وأنهما أصبحا في الحقيقة بالنسبة لها أقرباء. وكيف تصرفا معها بنبل، جاء إليها للمُساعدة، حين كانت في وضع صعب! في الحقيقة، فيكا محظوظة جدًّا، بأن التقتُ في حياتها رجلًا رائعًا كهذا، مثل ديمًا سالاب. على أي حال، دميتري لم يكن محظوظًا نوعًا ما مع فتاة. وهي، دينا، فرحة جدًّا لأجله، هي تعبتُ من المعاناة، بأن ابني الخاليتين ليسا محظوظين على هذا النحو في الحياة الشخصية...

ثرثرت دينا معهما قليلا، ثم ودعتهما وغادرتُ، بعد أن قبَّلت فيكا، على وجه الدقة كأنهما كانا صديقتين منذ زمن طويل. ودميتري، لم يجد ما يخبر به خطيبته، فكر بهذه الحالة طوال الليل. طبعًا، دينا تنوي فعل شيء ما - لكن ما هو؟ ربَّما، تُريد أن تُسودَّ سُمعته في عيني فيكا... يحدث من الصديقة القديمة، يمكنها أن تُلقق ما تشاء. نعم، لكن، كما يبدو هذه مجازفة كبيرة من جانبها! دينا - امرأة ليست حمقاء، هي لا يمكن أن لا تدرك، بأن في هذه الحالة هي ستطرد ببساطة من الشركة، بفشل مدوٍ، ولن تجد من يأخذها بوجه عام للعمل. على ماذا هي وقتئذ ستعيش، وتنفق على أمها وعلى ابنتها، وتقود حياة جميلة كتلك، التي تعودتُ عليها؟ ومرة ثانية، إذا نظرنا من جهة أخرى، يمكن ألا تصدق

فيكا دينا، عندما تُحاول تلك أن تفتري عليه. في أسوأ الحالات، إن حدث شيء ما كهذا، فسيثنيها أندريه بسرعة، يحدث لديه بصورة جيّدة أشياء كهذه. وبقي على وصول أندريه على الأكثر أسبوع. ولا يمكن أن تنجح دينا خلال هذا الوقت بأن توقع الخناق بينه وبين فيكا. فهما يحبان بعضهما البعض للغاية! ها هي ذي فيكا اليوم للمرّة السادسة قالت، بأنها تُحبه، وهو يقدر هذا... وسيأتي أندريه، سيأخذ دينا منه النصيح، بما يفعلها، وهما حتماً سيفكران بشيء ما.

عندما أقنع دميتري نفسه بهذه الطريقة، اطمأن وغفا.

لم يفكر بذلك، بأن في مكان ما في الطرف الآخر لموسكو لم تنم حبيبته السابقة أيضًا. تجلس على الكرسي في غرفة الضيوف بالشقة، التي اشتراها هو في وقت ما لكليهما، تدخن (دينا أفلعت عن التدخين، حين بدأت العمل في شركة ابني الخاليتين، ومن جديد بدأت تدخن بعد ثلاث عشرة سنة، بعد ذلك الحديث مع دينا، عندما قال بأنه يجب عليهما أن يفترقا)، وتشرب الكونياك وبدقة تحلل الوضع المُعقد.

بالْحُسْنَى، كان على دينا منذ مُدّة طويلة أن تترك سالا-بال-حالما أدركت، بأنه لن يتزوّجها أبدًا. وأن تبحث عن بديل عنه. ما دام أنها لا زالت شابة وحسنة، وأن تفعل هذا بواقعية تامة، وقتئذ الكثيرون تطلعوا إليها. لكنها، الحمقاء، لم تستغل ولا واحدة من الفرص المُقدمة، انتظرت ديمكا بكل شيء وآملت، بأنه في وقت ما تستطيع أن تقوده إلى الزواج. هو كان مُرتاحًا للغاية وأرضاهها بكل شيء، ما عدا الفراش. ثري، وكريم، وهادئ، ولبق - وماذا تحتاج بعد؟ كان يُعطيها المال

عَلَى الدوام مِنْ أَوَّل تلميح، لم يطلب منها حَتَّى تفاصيل ما تحتاجه (حسنًا، في الحقيقة، وَدِينَا أَيْضًا لم تواقع، عرفت الإجراء، وَلَمْ تطلب في كثير مِنْ الأحيان في الحال الكثير مِنَ المال وَدَائِمًا تبتكر مسوغات مُقنعة للغاية). لم ترضه مشاهد الغيرة، خاصَّةً أَنه لم يطلب منها شيئًا، لم يُحمِّلها مشاكله، في حياتها، لا يتدخل في شيء لا يخصه... حسنًا، باختصار، لقد ذهب. ما مِنْ شيء إِلَّا واستعملته مِنْ أَجل الحفاظ عليه...

ها هي ذي دينا قد سارت، حاولت بكل جهدها، لكي تُثير باستمرار كل اهتمامه الخامد. أَطعمت ديمكا بالمُحفزات الجنسية، استعملت العطور بِصورة استثنائية مع المُستحضرات الطبيعية الخاصَّة بالإثارة الجنسية، سارت في المنزل في ثياب مُثيرة. لكي ينظر بِصورة جيِّدة، أَضنت نفسها عَلَى جهاز التدريب، أوهنها بالجوع، غير سامحةً لنفسها بغرام مِنَ المُعجنات، شيء حلو أو دسم، كانت تذهب بضع مرات في الأسبوع إلى صالونات التجميل، أنفقت الكثير مِنَ الأموال عَلَى مُستحضرات التجميل والملابس المُثيرة للجنس. وَعندما لم تُساعدِها هذه، كانت تذهب إلى العرافات وَالمشعوذات. كم مِنَ الأموال أنفقت عليهن أَيْضًا!.. جَرَّبَتْ دينا التعويذات أَيْضًا، والسحر، وَحالات الافتنان المُتنوعة، حَتَّى للأقوياء جدًّا - وَكل شيء بلا فائدة. هُوَ قرر أن يفترق عنها، مُدعيًا أَن علاقتهما قد انتهت. هل عبأ نفسه بِسؤال ما الذي انتهى عندها وَهل انتهى أصلًا...

طبعًا، هكذا ببساطة، لم تنو دينا أَن تتركه بسهولة. ادخرت منذ مُدَّة طويلة للحالة القصوى كهذه وسيلة أساسية - حمل مزعوم. الحيلة،

طبعًا، قديمة مثل العالم، لكنها لا تزال إلى الآن مؤثرة. ها هي ذا، من مُدَّة وجيزة كانت في دائرة الأحوال المدنية، حين تزوّجت بنت شقيقتها، على هذا النحو كانت اليسكا^(٩٢) هناك العروس الوحيدة دُون بطن - لأنها لا زالت في الشهر الرابع من الحمل فحسب، تقريبًا لا تُرى بعد. أدركت دينا، بأن أندريه، على سبيل المثال، كان يمكن لنزوة كهذه ألا تترك انطباعًا فيه، لكن ها هو ذا دميتري - الخيار الأفضل.

ظهور فيكا (ومن أين هي فقط قد جاءت، هذه المرأة الساقطة المُراهقة، خرجت كما يبدو، فجأة مثل المارد من صندوق!)، من الطبيعي أن ظهورها خالف بصورة رائعة خطط دينا. عندما عرفت من اناستاسيا الموجودة في كل مكان، بأن لدى دميتري باريسافيتش حبيبة، كما يبدو، وأن الأمر يسير نحو حفل الزفاف، ففي اللحظة الأولى كادت ستفقد عقلها. هل سينهار كل شيء؟ لكن بعد ذلك هدأت، وأمسكت برباطة جأشها وقررت أن تتدبر حلًا لهذه المُشكلة. في بداية الأمر يجب أن تجد طريقة لإزاحة غريمتها. ثمة بضعة خيارات، يجب أن تختار الأكثر ملائمة - أو بطريقة ما تُسوّد هذه الفيكا في أعين دينا، أو، العكس، أن تفعل هكذا، لكي يرفضها هو بنفسه. يجب أن تنظر بهذا الأمر. وبعد ذلك، حين يفترقان، من المرجح أن يأتي إليها في الحال، إلى دينا، وأن يبحث عن المواساة. وإذا لم يأت؟ إذا لم يأت، وقتئذ، يتوجب الانتقال في الحال إلى النقطة الثالثة للخطّة. وأن تخبره، بلا مبالاة، عن الحمل المُفاجئ. كأن، لم تفكر، أن في عمرنا هذا مُمكن

(٩٢) اليسكا - تصغير وتحبيب اسم اليسا. (المُترجم).

أن يحدث، - وها هو ذا بصورة مُدهشة... تتظاهر بأنها بنفسها منذ مُدة طويلة اتخذت قرارًا وستلد، ما دام عمل الإجهاض يعد إثماً مُخيفًا، وأيضًا قتل طفل الرجل المحبوب - بيد أنها لا تنتظر ولا تطلب شيئًا مُطلقًا من ديماء، هُما كما يبدو قد افترقا، هُو لا يحتاج منها شيئًا. هي ستُربي الطفل بنفسها وسيترعرع عندها، هي امرأة قويّة، تغلب على أي صعوبات. وقررت ببساطة أن تُطلعته على الأمر، لا أكثر من ذلك. في نهاية المطاف، هُو يمتلك الحق في أن يعرف...

عندما درست ديمكا بصورة جيّدة طوال سنوات التعارف، لم تشك دينا في ذلك، كيف يتصرف في وضع كهذا. من الطبيعي، أن يفكر بضعة أيام، ويتأوه، وبعد ذلك بشهامة طبيعته يستسلم - ويعرض عليها الزواج. الردّ على هذا أن تطلب أن يستعجل بحفل الزفاف، فمن الحرج في عمرهما أن يتزوّجا وهي حامل... وعندما يكون الخاتم في الأصبع، وشهادة الزواج وعقد الزواج في الخزانة، هُنا مُمكن أن تُمثّل مسرحية تحت عنوان «فجأة الحمل تلاشى». وفي نهاية المطاف، المرأة ذات الأربعين عامًا في الحقيقة ليس بسهولة أن تحمل بطفل، والأطباء معارفها يستطيعون أن يُقدّموا لها خدمات كهذه، فقط إن دفعت لهم بصورة جيّدة.

باختصار، بالجزء النهائي للخُطة كل شيء على ما يرام. كانت المشاكل فقط في المرحلة الأولى من تنفيذها - ضرورة أن تفرق دميتري عن فيكا. هُنا دينا لا زالت لم تتصور نفسها تمامًا، ماذا تفعل، هكذا في بداية الأمر قررت أن تجري استطلاعات المعرفة، أن تلتقي مع غريمتها

عَلَى مقربة وَفِي مكان يمكنها فيه أَنْ تُخَمِّن ما يحدث. عرفت كل شيء من السكرتيرة الثرثرة ناستيا، حيث اليوم دميتري باريشافيتش ينوي تناول العشاء مع حبيبته، وَدَاهَمَتُهُمَا هُنَاكَ. أَنْ تصادق فيكا بدا أسهل كثيرًا، مما اعتقدت دينا. بالتالي الآن كل شيء يتعلق فقط بها نفسها.

فيما يخص فيكا، فهي كانت راضية بالتعارف الجديد فحسب. فكرة أَنْ ترى في دينا غريمة لها لم تخطر في رأسها - كما يبدو المرأة قالت، بأنها منذ مُدَّة طويلة تعرف دينا وَأندريه، تقريبًا أصبحت بالنسبة لهما أختًا. وَمَنْ يغار مِنْ الأخت؟ في المُقابل وجدتُ لدى دينا اهتمامات مُشتركة، المجموعة التي تتركز عَلَى الأغلب في متاجر الملابس الموسكوفية. ساكنة العاصمة عرفت جيّدًا مدينتها وَبُسُرور أرتها لفيكا، شرحت لها أي متاجر مُمكن أَنْ تثق بها، وَأَيْن يدسون البضاعة المُزيفة بدل العلامات التجارية الأصلية. قضيا معًا الوقت بِصُورة مُمتازة، اختارت ملابس جديدة لفيكا. وَإِلَى حلول المساء، عندما قد انتهى التسوق أخيرًا، شعرنا بأنفسهما تقريبًا صديقتين.

في مطعم فاخر، حيث عرجت السيدتان للراحة بعد يوم ثقيل وَاحتفلتا بالشراء، الكبيرة منهما اقترحتُ أَنْ يحتسيا نخب التعارف.

- يمكن، أَنْ نحتسي شراب الكونياك؟

- اوي، كلا- كلا! - هزّت فيكا رأسها.

- ماذا دهالك، بوجه عام لا تشربين، أليس كذلك؟

- كلا، لِمَ لا؟ أشرب، طبعًا، فقط ليس الكونياك.

- وماذا فيه؟ ألا يعجبك مذاقه؟ - اهتمت دينا. طوال اليوم الحالي، طوال تجولهما بالمتاجر، بمظهر ودي سألت فيكا وبانتباه للغاية أصغت إلى كلامها، ساعية لمعرفة غريمتها أكثر ما يمكن. من يدري، ربما هذه الفتاة تأخذ وتُفَلِّت شيئاً ما زائداً، من الممكن أن تنتفع به ضدها؟

- كلا، الأمر ليس في هذا، - أومأت فيكا برأسها- ببساطة عقلي يُجن بسببه. تصوري، سأحتسي شيئاً آخر - ليكن الفودكا، لتكن البيرة، لتكن الشمبانيا، وليكن الكوكتيل، - كل هذا طبيعي. ولو شربت قطرة كونياك - أشعر بنفسي بصورة سيئة.

- وكيف يحدث هذا؟ أخبريني، - طلبت دينا.

وفيكاً، واقعة في الفخ المنسوب، أفرغت كل القصة حول الإغراء الفاشل للممثل الفحل. وعن ذلك، كيف في وقت لاحق أجرت مرتين تجارب على نفسها، بعد ذلك اقتنعت كلياً - أنها تصبح حمقاء تماماً من جراء الكونياك. وها هي ذي ردة الفعل المتخصصة للجسم.

سمعت دينا، تأسفت، أومأت برأسها، وطرحت أسئلة إيحائية، تعاطفت - بينما في قرارة نفسها ابتهجت بانتصار صغير. هذه العاهرة الحمقاء عديمة الخبرة، بنفسها غير عارفة بذلك، أعطتها في يديها ورقة رابحة ليست سيئة. يمكن أن يحدث، أن تكون ورقة كبير جداً. على أقل تقدير ورقة آس مهمة، وإذا كانت محظوظة، فممكن أن تكون ورقة الجوكر أيضاً. ينبغي فحسب أن تتمكن من الانتفاع بهذا الشيء في الوقت المناسب...

الفصل الثاني عشر

شيرشه ليا فام^(٩٣)

أندريه العائد، الذي قضى هذين الأسبوعين بصورة مُمتازة في غرينلاند، في الحقيقة لم يتعرف عليه ابن خالته. ذاك ببساطة لأنه كان يلمع كله وينضج سعادة.

- أنا وفيكا قررنا الزواج! - أعلن هو، ما إن اجتاز أندريه عتبة عُرفة مكتبه.

دق قلب أندريه بفرح: كل شيء يسير حسب الخطة. أحسنت يا فيكا! هو لم يخطئ في اختيار هذه الفتاة. يجب الاستمرار وبإتقان وبحذر في إدارة هذه اللعبة المُشوقة. هو لم يستطع أن يفكر بشيء آخر. اللعبة جذبتة، اتبعت قواعدها. كما في الطفولة البعيدة، حين أراد أن يفوز مهما كلف الأمر بعدد أكثر من أغلفة قطع اللبان. أو في مرحلة الشباب، في مطلع التسعينيات، حين تعطش لكسب الأموال المُحصلة دونما جهد كبير بأكبر قدر مُمكن في المكاتب المشكوك فيها وفي

(٩٣) شيرشه ليا فام - ابحتوا عن النساء. (المترجم).

الصفقات الآجلة. عَلَى هذا النحو هُوَ سعى الآن - بأيّ ثمن! - أن يبلغ هدفه. في وقت الإجازة هداً قليلاً، تلهى وتعدل وضعه، لكن توجب أن يظهر من جديد في موسكو، مثل حماس قد صحا، واحتاج بقوة جديدة والآن بالضبط قد لوع أندريه. لم يُربكه مُطلقاً، بأنه يلعب الآن ضدّ إنسان مُقرب منه، وإن كان ابن خالته. أيود الشر لديمكا؟ كلا، طبعاً. لكنه خدع بصورة مُحتمالة هذا المُغفل الذي يثق بالناس هكذا بسهولة... الأفضل ليكن هُوَ، أندريه، يُسيطر عَلَى الأسهم المهيمنة لشركتهما. حتّى إذا تمت الصفقة مع الموظف البيتيروبورغي في الواقع وأندريه يبيع الشركة، لن يُغضب ديمكا... هذا الأمر سيكون أكثر صحة وأماناً. لدى «ام كا اي» يجب أن يكون مالك واحد. والأفضل أن يكون هُوَ - هُوَ الأفضل.

هذا التلاعب اللفظي لم يعد أندريه يلفظه بصوت عالٍ. بدلاً عن هذا تجهم بصورة مضطربة وسأل:

- أأنت لا تستعجل، يا بن خالتي؟ عَلَى الرغم من ذلك أنتم لا تعرفان بعضكما منذ مُدّة طويلة... أنت فكرت جيّداً بكل شيء وقررت؟
- يمكنك ألا تقلق! - أكد ديمكا له بحماس - أنا وفيكا قد ناقشنا كل شيء. يا لها... يا لها... - أشار بيديه بصورة ضعيفة، لم يمكنه أن ينتقي الكلمات التي أراد أن يُعبّر بها عن كل الجوهر البارز لفيكته.
- أرى، أنك عاشق بصدق، - ضحك أندريه. - حسناً، إذا أنتم قد ناقشتما كل شيء، فأنا لن أعارض. امزح، امزح... جيّداً، في رأيي، فيكا مناسبة لك كلياً.

لوح ديما بيديه بصورة مُحْتَجَّة.

- لم أنتَ تقول هذا! أنا الذي لا أَسْتَحِقُّها! يا لها من فتاة رائعة...

- طيِّب، طيِّب... - قال أندريه باسترضاء - يكفي التظاهر بالتواضع. أنتمَا كلاكما مُناسِبان لبعضكما البعض. أنا، بوجه عام، أَسْتَشْعِرُ، بأن الأمر سينتهي بالزفاف. فكَرَّرَ مرارًا بهذا أثناء عطلة الإجازة. وَها هُوَ ذا ما اعتزم عليه: أَقترح عليك أن ننقل إلى فيكا هذين السهمين «الذهبيين» ذاتهما لشركتنا كهدية للزواج. لا أشك، بأن عروسك ستصبح شريكنا المُناسب. ما رأيك؟ هل أنتَ موافق؟

- حقًّا؟ - اندهشَ ديما بصدق. - بوجه عام، أَعترف بصراحة، فكرة كهذه خطرتُ في بالي أيضًا. لكن نويت أن أبقِيها في داخلي، ما دمت لم أعرف، كيف تتصرف أنتَ إزاء هذا الاقتراح. رُبَّمَا تحتفظ أنتَ بهذين السهمين لأمر ما أكثر أهمية؟

ضحكَ أندريه فحسب.

- ديمكا، أيّ أمر يمكن أن يكون أهم من حفل زفاف ابن الخالة المحبوب وأفضل صديق؟ كما تدرك، ليس من المؤكد أن أتزوج في وقت ما. على كل حال، في المُستقبل المنظور. متى سيقام حفل زفافكما؟

- لم نختر موعدًا مُحددًا بعد، - أجابَ ديما بابتسامة سعيدة - أودُّ، أن يحدث هذا في الحادي عشر من شهر تشرين الثاني / نوفمبر، لكي يصادف تاريخ ١١، ١١، ١١، أتفهم؟ لكن فيكا تعتبر، أن انتظار شهر

تشرين الثاني / نوفمبر سيكون وقتاً طويلاً للغاية، ترغب بأقرب وقت.

«أنا أفهمها»، - فكر أندريه، وبصوت عالٍ قال:

- إذا كانت الخطيبة ترغب، فوافقها. ليس من الصعب عليك أن تفعل الأمر القليل كهذا للمرأة الحبيبة؟ افعل ولا تتماهل.

- ولكني لا أنوي أن أتماهل بشيء - أوماً ديما - في السبت المقبل نحن سنحتفل بحفل الخطبة. في مطعم فندق «Ritz Carlton»، فهو ينال إعجاب فيكا أكثر من جميع مطاعم موسكو.

- في السبت المقبل، تقول؟ - دقق أندريه. هذا يُناسبني كلياً. يتوجب عليّ في ذلك الأسبوع أن أذهب لبضعة أيام لأعمال في بيتير... وإلى يوم السبت أنا بالضبط سأعود.

- أندريوشكا، هل وقعت أخيراً في الحب؟ - غمز له ابن خالته.

- ومن أين أتيت بهذا؟

- هكذا - عرفت؟ أنا أعرف، لِمَ أنت تذهب إلى بيتير.

في الوهلة الأولى ارتعدت أوصال أندريه بشكل مزعج. هل يعرف ديمكا كل شيء؟ أصحيح؟ من أين؟ من استطاع أن يحدثه عن الموظف البيتيربورغي وعن مفاوضاتهما بشأن بيع «ام كا اي»؟ الآن، عندما حُلّت تقريباً مسألة الأسهم المهيمنة للشركة، نوى أندريه أن يستأنف المحادثات ويحاول أن يرفع السعر بعد ثلاثمائة مليون، طبعاً، أموال ليست سيئة للغاية... لكن يود أكبر من هذا السعر، «يديناميشنكي» تُساوي أعلى بصورة واضحة.

- أنتَ كما يبدو ستذهب إلى سفيتا خاصّتك، أليسَ كذلك؟ -
استمر في أثناء ذلك ابن خالته- إلى صديقة فيكا، التي كُنت أنتَ معها
في الإجازة. لم تلحق أن تفترق عنها، تتحرق من جديد شوقاً لرؤيتها.
ما هذا، إن لم يكن الحُبّ؟

- أنتَ تتحدّث عن هذا؟ - تنفس أندريه الصعداء- حسنًا... نعم.
رُبّما، أنتَ مُحقّق في شيء ما. تعجبني سفيتكا حقيقةً، هي مُمتازة.

- آمل أن أتوصل بنفسي للقناعة بسرعة في هذا الأمر- قال ديما-
هي كما يبدو لن تتخلف عن حضور حفل خطبة أفضل صديقة لها؟

- إ-إ-إ... - ارتبك أندريه، غير مُتوقع تحول كهذا للأحداث. هُوَ
لم يعرف تمامًا، بماذا يُجيب، لكن، اتجّاه ارتياحه العظيم، لم يتوجّب أن
يفعل هذا، لأن الباب انفتح وفي غُرّة المكتب، كالمُعتاد، دُون أن تطرق
الباب قد دخلت دينا.

- مرحبًا، يا شباب! - قالتْ برقة- أتناقشان حفل الخطبة المُقبل؟
يا ديمكا، أنا أهنتك- قَبْلَتُ خد حبيبها السابق بشفايفها الملطخة
بمستحضرات التجميل. - آمل، أنتَ لا تُعارض، بأني أيضًا سآتي
للحفل، فقد دعّنتي فيكا.

- فيكا دعّتكِ لحفل خطبتها مع ديما؟ - استغربَ أندريه.

- وما الذي يُدهشك؟ إننا أصبحنا صديقتين.

نظرَ أندريه في ارتباك إلى ابن خالته. الذي أوْماً وباعد يديه، بأن
قصد تقريباً الآتي: طبعًا، في الحقيقة. وماذا أستطيع أن أفعل؟

- لا عليك، يا ديمكا! - هي بحركة سريعة بسهولة شَعَثَت شعره.
- لا تعذب نفسك لأجلي. نَحْنُ كلانا أناس بالغون، كل شيء واضح للجميع... تحدّثنا عن كل شيء، وحللنا كل شيء. عمل واضح، بأن في حفل الخطبة أنا سآتي ليس لأجل ذلك مُطلقاً، لكي أسبب لك فضيحة. وسآتي، من الطبيعي، ليس وحدي، بل مع رفيق لي. وليس فقط... على فكرة، أندريوشكا، منذ مُدّة طويلة أنوي أن أُعرّفك على أحد ما. وأنتَ باق وحدك...

- هذا أنا وحدي؟ - امتعض أندريه - لديّ جُمهور كامل من الفتيات!

- حسنًا، جُمهور بالضبط لا يُعد أيضًا - ضيّقت دينا عينيها - لا توجد صديقة دائمة إلى هذا الوقت. ها هُوَ ذا ديمكا سيتزوَج - بينما أنت ستأتي إلى حفل خطبة ابن خالتك وحدك.

فجأة فكرت دينا: «ألا يمكن أن أُعرّف أندريه بجائتشكا؟ سيكونان شخصين رائعين!»

- مَنْ قال إنه سيأتي لوحده؟ - تدخل ديمتري في الحديث - توجد لديه فتاة سفيتا، صديقة فيكا. أنتَ كما يبدو ستأتي مع سفيتا، أليس كذلك، يا أندريوخ؟

- من الطبيعي، - أفلت أندريه في الكلام مُسبقًا، قبل أن يُفكر بكلماته.

ما كان ينقصه شيء في هذه الحياة - إلا أن يتعرّف على أحد ما

محسوب على ديننا. لم يكفه بعد إلا هذا! أندريه منذ مُدّة طويلة لا يحب دينكا، هذه المرأة السافلة المُحتالة، منذ مُدّة طويلة فطن حقيقتها الحقيرة، الكاذبة، والجشعة. طبعًا، عندما ظهرت صديقة الطفولة فجأة من مكان مجهول منذ الأيام الأولى لافتتاح «ام كا اي»، مثل ساحرة، وأعلمتهم ببساطة هكذا، بأنها تعيش بصورة مُمتازة، سدت نقص العشرة آلاف دولار، هُوَ كان فرحًا جدًّا ومُمتنًّا لها لِقَاء هذا. وفيما بعد، حين ظهرت ديننا من جديد، سيّئة الحظ ومهجورة من الزوج، هُوَ بصراحة أحس بها ولم يمتلك إزاءها شيئًا، وأخذها للعمل في الشركة. على الرّغم من ذلك أدرك وقتئذ، بأنهما سيدفعان لها أموالًا (ليست قليلة هكذا!) ليس لأجل شيء، ببساطة لأجل صداقتهم القديمة.

لكن في الأيام التالية تبدلت علاقته معها كثيرًا بالاتجاه السيئ. هُوَ سرعان ما فهم، ان ديننا حتّى عندما أصبحت بالغة، لم تتخلص من عادة الطفولة، الكذب بسبب أو دُون سبب. عاشت هي في الولايات المتحدة، تزوّجت من مليونير، طبعًا! ولا تمتلك صورة واحدة من هُنَاكَ حتّى. بصورة جلية، بأنها قد لفقت كل شيء. بينما ديمون، هذا ضحية المحتالين، كان فقط كله آذانًا مصغيّة. دُون شكّ - كم سنة حلم أن يُضاجعها، والآن فحسب ابتسم له الحظ. أحكمت ديننا قبضتها عليه، وهُوَ لم يُمانع. بالنسبة لي أيضًا، يُسمّى رجل! والحديث عنها لا مفر منه، ولم يختر كلمة غير لائقة واحدة بكل الأحوال. كم سنة احتمل أندريه ديننا في الشركة فقط بصورة استثنائية بسبب العلاقة الجيّدة تجاه ابن خالته. والآن، حين انقطعت هذه القِصّة الغرامية المتواصلة منذ زمن

بعيد أخيرًا، فكر أندريه بسرور بذلك، بأن الآن لمرة واحدة، ممكن أن يتحاشى دينا ويركلها إلى خارج الشركة. وهل يتعين عليه أن يقلق؟ كما يبدو هو قرر بثبات أن يبيع المجموعة، وبالتالي، ممكن ببساطة أن لا يفكر بمصير صديقة الطفولة. لديه الكثير جدًا من الاهتمامات الأخرى.

بهذه الاهتمامات انشغل أندريه كليًا. ذهب إلى بيتربورغ، قضى هناك بضعة أيام، التقى مرة أخرى المشتري المحتمل للشركة، دقق جميع التفاصيل وفهم، بأن الصفقة ستُبرم قريبًا، ما دامت «الأموال جاهزة». كان أندريه راضيًا للغاية بالمفاوضات الجارية وبالاسترخاء التالي - إلى ذلك الوقت، حينما اقتلعه بالضبط اتصال فيكا من أحضان الفتاة التالية.

- أندريوش، ألا زلت في بيتير؟ - قالت بصورة قلقة.

- نعم، سأتي غدًا صباحًا. ماذا هناك؟

- يحدث هنا شيء ما غريب... مع ديمكا.

- ما هو؟ - خاف أندريه.

- كلا، ليس بالشيء الذي يدعو للخوف بعد... ببساطة ديمكا لأمر

ما فجأة ركز جل اهتمامه على هذه السفيتكا خاصتك...

- أي سفيتكا خاصتي بعد؟ - توتر هنا أندريه. - ماذا لديك - أحد

ما يُحاول أن يشني ديمون عن قراره؟ لن يفكر بتركك!

- كلا بالطبع! لم أنت لا تفهم هكذا! - انزعجت فيكا - أنا أتحدث

عن سفيتا تلك، التي اخترعتها أنتَ. حسنًا، تذكر، أنتَ لفقت عليه، بأن
لديَّ صديقة اسمها سفيتكا؟

- أُنذكر، وماذا هُناك؟

- ديمًا لصق بي، مثل نبات الحمام في المؤخرة، دعي سفيتكا
تأتي إلى حفل الخطبة. أنا قلت له - لا يمكن، هي مشغولة، وتعمل.
أنتَ معها، كُنتما للتو في رحلة الإجازة... هُوَ كرر: كلا، لتأتي لتأتي.
أندريوش، لفق شيئًا ما، تمام؟ وهذا الأمر لا يُعجبني.

- طيّب، لا عليك، سأختلق شيئًا ما، - أكد أندريه. لكن لم يلحق
أن ينهي المُكالمة، رن هاتفه مرّة أُخرى.

في هذه المرّة اتصل ديمكا. بدأ بشرثرة فارغة، من الأسئلة، كل شيء
لدى ابن الخالة على ما يرام، وبعد ذلك انتقل إلى الموضوع الأساسي،
وغير السار.

- تفهم، يا أندريوخ، أنا هُنا أفكر بكل شيء... - كرر ابن الخالة
المحبوب النغمة ذاتها - لا يبدو لك من الغريب، بأن في حفل الخطبة
لا يأتي أحد من ناحية فيكا؟ لا أقارب، ولا أصدقاء...

- لا يبدو على الإطلاق، - أكد أندريه - هذا حفل الخطبة، وليس
حفل زفاف. وثم، لا تنس، بأن فيكا على الرغم من ذلك من مدينة
أُخرى...

- مُمكن أن نعتقد، بأن بيتيربورغ تقع في النهاية الأُخرى للكرة
الأرضية- اعترض ديمكا- ليلة واحدة تكفي للسفر، وأن يستقلوا قطار

«سابسان» أو الطائرة أسرع بضع مرات. وأنا أدفع مصاريف النقل،
وَمكان الإقامة... وهي بكل الأحوال لم تدعُ أحدًا.

- حسنًا، يمكن، هي في خصام مع أقاربها - حاول أندريه أن يتنصل
من الحديث غير المرغوب فيه - ببساطة نحنُ لا نعلم بهذا.

في الحقيقة هو ناقش مع فيكا أيضًا هذا الموضوع. أشارت
الفتاة، بأنها نفسها لا ترغب بدعوة والديها - حسب رأيها، هما
يظهران بأناقة غير كافية. وحيال الصديقات، اللواتي أرادت فيكا
أن تتفاخر للغاية بنجاحها، اعترض أندريه بصورة حازمة. النساء
- أشخاص كهؤلاء، توقع منهن المتاعب فحسب. بلا ريب أي
واحدة من الصديقات المخلصات تبدأ على الفور في إنشاء العريس
الناجح، نعم، من المُحتمل، تنجح بهذا... أو واحدة من الفتيات،
بشرٍّ أو بحماقة، تخبر ديمكا عن فيكا شيئًا ما، الذي لا يتوجب أن
يعرفه مطلقًا. كلا، ليغربن جميع الصديقات، على الأقل، حتى تلك
اللحظة، ما دامت خطته لم تنجز بعد. وما أن تكون الأسهم «الذهبية»
في جيب أندريه - بعد هذا مُمكن أن يدعو إلى حفل الزفاف كل
من يرغب به.

- أجل، لكنها مع سفيتا على وجه الدقة ليست في خصام، - تتمم
ديمون في سماعة الهاتف - وسفيتا أيضًا لن تحضر إلى حفل الخطبة.
مثلما تريد، يا أندريوخ، لكن، برأيي، هذا أمر غريب... أنا بدأت أفكر،
مُمكن أنا قد استعجلت، بطلب الزواج من فيكا. على الرغم من ذلك أنا
على معرفة ضئيلة بها، أنا لا أعرف بيتها على الإطلاق...

هذا ما لم أكن أنتظره بعد! هذا لم يكن كافيًا بعد فحسب! فكر أندريه في نفسه.

- ديمون، قُل لي بصراحة، - قَالَ هُوَ. - أنتَ كما يبدو لم تُفكر بنفسك بهذا؟ أحد ما حملك عَلَى هذا الفكرة الحكيمة؟ وَأنا حَتَّى أعرف مِن. ديناً، أليسَ كذلك؟ طيِّب، يا أخي، أنتَ وجدت، من تسم...-

- أندريوخا، أنتَ تستطيع أن تأتي بسفيتا إلى حفل الخِطبة؟ - لم يدعه ديمّا يكمل حديثه - أفهم، بالنسبة لي هذا مُهم للغاية. مِن الضروري بالنسبة لي ببساطة التعرّف عليها.

- حسنًا، أنا سأُحدّث معها، ما دمت تريد هذا.

عندما أغلق الهاتف، طرد أندريه مِن عُرفته الفتاة سيئة الحظ واستغرق في التفكير بشدة.

- طيِّب، كُنْتُ بالهم القديم راضيًا جاء الجديد فزاد أمراضي. وأين أجد هذه المدعوة سفيتا غير الموجودة؟ في الحقيقة يجب أن آتي بها إلى حفل الخِطبة، وإلا كل الخُطة المُعدة بدّقة ستفشل هكذا... راجع في ذاكرته جميع الفتيات اللواتي يعرفهن، لكن وَلَا واحدة منهن تُناسب دورًا كهذا. الحمقاوات أُسْتُثنى، بينما يتوجّب عليه أن يشرح الكثير مِن الأمور للفتيات الذكيات...

هذه المُشكلة قضت مضاجع أندريه حَتَّى الصباح، في الحقيقة بدأت تُقلقه. عاد مِن بيتربورغ بمزاج سيئ، وفي أثناء رحلة الطائرة جرّب الحالة كذا وكذا، لكن لم يجد القرار بكل شيء.

في الطريق إلى موسكو من المطار لاحظ أندريه على حافة الطريق
سرباً مُتبرجاً من الفتيات بصورة مُستفزة. وهُنا خطرت بباله فكرة: وَلَمْ
أبحث عن مرشحة لدور سفيتا وسط المعارف؟ هذا منذر بالعواقب،
مثلما يقول نائب مجلس الدوما أرنولد رازدوبودكو. مُمكن الصدفة أن
تُقدّم الخدمة. الأفضل ببساطة استئجار أحد ما غريب - وَقُضِيَ الأَمْرُ.
طلب من السائق أن يقترب أكثر وَيَنْزِل نافذة السيّارة، مُتطلعاً إلى
الفتيات. اقترب «القوَّاد» من السيّارة وهو رجل قصير غليظ البنية من
القومية القفقازية.

- ماذا تُليد، يا ايزي؟

وجد أندريه صعوبة في صياغة طلبه وأفلتت منه أوّل كلمة، خطرت
في عقله:

- أوجد لديك فتاة باسم سفيتكا؟

- اندي سلاس وسلاسون سايفيتكا، ما التي تبخس عنها؟

- الأفضل.

- اسما، ايزي، لَمْ تهتاج لسايفيتكا؟ خُز أي واحدة، ادفا سلاسمائة
دولار - هي ستكون لك سايفيتكا، وستكون لك كانفيتكا^(٩٤)، وتكون
حتّى ليدي غاغا.

تطلع أندريه مرّة أخرى بشكّ إلى الفتيات. كلهن مُبتذلات،
مصبوغات بصورة رديئة بالمكياج، يرتدين بشكل ما بلا ذوق، بخرق

(٩٤) كانفيتكا - تعني الحلوى. (المُترجم).

بالية مُنمّقة. مع ذلك، إذا تفحصتَهن، البعض منهن لا يمتلكن... لتكن هذه، الثانية من الحافة.

- استدع لي تلك ذات الشعر النحاسي.

- جاسيكا! تالِ إلى هُنا! - ترامى إلى سمعه نداء «القواد».

اقتربت ذات الشعر النحاسي بتغنج، كما بدا عليها، من مشيتها.

- أصحيح يدعونك جيسيكا؟ - استعلم أندريه.

- نعم، جيسيكا، وَلَمْ تسأل؟ - أجابت الفتاة.

عندما سمعها أندريه، حرّكَ عينيه إلى الأعلى. بيد أنه، بلفظ كهذا وبصوت كهذا فقط ساكنة أصلية من مدينة بيتربورغ مُمكن فقط أن تؤدي الدور. يتوجّب الاعتراف، بأن فكرة استئجار مومس وزجّها كصديقة لفيكا لم تكن مُبررة.

- لنذهب من هُنا، - أمر السائق.

في الطريق فقط خطر على بال أندريه فجأة. بالطبع، كيف هو لم يتذكر هذا مُسبقاً؟ كما يبدو لديه معرفة سطحية، بيد أنه تعارف مع مُدير أستوديو السينما، الذي يُصوّر فيه المسلسلات التلفازية. وبمُساعدته يُمكن أن يعثر بالتأكيد على مُمثلة مُلائمة.

كلما كان الطريق أقرب إلى موسكو، يكون التنقل أصعب - كانت طريق لينينغرادسكوي، كالمُعْتاد، منسدة بسبب الزحامات المرورية في كل مكان. في المدينة ذاتها حدث شيء ما يفوق التصور على الإطلاق، السيارات وقفت أكثر مما سارت. عادةً التوقيفات في الطرق كانت

تسخط أندريه كثيرًا، كان يأسف بشدة على الوقت الضائع، بيد أن اليوم كان الإيقاف الإجباري لهذا الوقت في مصلحته. ما دامت السيارة تزحف بطريق لينينغرادسكوي، نجح مالكها بالاتصال بمالك استوديو سينمائي، وبعد ذلك، بنصيحة منه، قدمه لمُدير توزيع الأدوار.

- أجل، توجد لدينا فتاة ملائمة، - تحدّث صوت نسائي في سماعة الهاتف، عندما عرض أندريه مطالبه. - هي في الحقيقة مِن بيتير، صوّرتُ لدينا في مشهد، تصوير المشاهد ينتهي اليوم ليلاً. فتاة ذكية، وفطنة، ولطيفة - كل شيء، مثلما قلتم أنتم. دعوني أوصلكم بها، ما دام أنها لا تزال في موسكو.

- أجل، مِن فضلك، سأكون شاكرًا لكم للغاية. أعطوها رقم هاتفي. ما اسمها، بالمناسبة؟

- سفيتلانا. سفيتلانا ميخائيلينكو.

- أصبح اسمها سفيتلانا؟ - استغرب أندريه. تحدث في الحياة تطابقات مُدهشة كهذه! لو فكرت، فلا يوجد تطابق في هذا مِن مجموعة الأسماء الأجنبية. سفيتلانا - اسم روسي واسع الانتشار للغاية. لو أنهم سمّوا هذه الفتاة جيسّيكَا - وقتئذ سيكون ما يُدهش.

اتصلتُ سفيتلانا بأندريه في الحال تقريبًا، هم لم يلحقوا بالوصول بعد حتّى «فويكافسكايا». كان صوتها عذبًا، تحدّثت المُمثلة بسهولة وبلا كلفة. حين فسّر أندريه، بأنه يحتاج إلى مُساعدتها في مساء اليوم، صمتت الفتاة لوقت قصير، كما يبدو، مُخمّنة شيئًا ما.

- بصراحة لا أدري، ماذا أقول لكم... لديّ موعد الطائرة يوم غد في السّاعة السادسة صباحًا، هل نلحق بها؟

- طبعًا، - أكّد لها أندريه. - الاحتفال ليس من المؤكّد أن ينتهي على الأكثر في وقت مُتأخّر من منتصف الليل. وأنا شخصيًا سأقلّك إلى المطار. وسأدفع جيّدًا لقاء هذا العمل.

- جيّد، إذن دعونا نُجرّب...

- أوكي، إلى أين مُمكن أن أعرج عليكم؟ فقط الحاجيات سأخذها في الحال معي من باب الاحتياط.

حين رأى سفيتلانا، شعرَ أندريه ببعض من خيبة الأمل. لا يوجد شيء يُذكر في مظهرها - طول متوسط، رمادية العينين، بشعر أشقر منسدل، ترتدي بنطال جينز رخيصةً وفانيلة، على الكتف حقيبة سفر. على وجه العموم، ليست فتاة لافتة للنظر بشيء تمامًا، في ظروف أخرى هوَ أبدًا لن يولي لها اهتمامًا. لكنها كانت مُمتلئة، وزد على ذلك هي من سكان بيتيربورغ - وهذا جذريًّا غير الأمر.

- سيرغي، ساعد الفتاة في حمل الحاجيات، - أمرَ أندريه سائقه.

أخذَ سيرغي من سفيتلانا الحقيبة، فتحَ صندوق السيّارة وضحك:

- حسنًا، أي حقيبة لديكم، بصراحة مثل حقيبة رئيسي.

نظرتُ سفيتلانا في صندوق السيّارة وفي الحقيقة رأتُ هناك تقريبًا حقيبة كهذه من ماركة «لو ويتون».

- فعلاً، مُشابهة - وافقتُ هي بصورة عابسة - فقط حقيبتي غير

أصلية أولاً عن آخر، ماركة مُقلّدة. أنا اشتريتها في نفق المشاة لقاء ألف روبل. أشكّ، بأن رئيسكم اشترى حقيته من هناك لقاء مبلغ كهذا.

- آه، - تنهد سيرغي، - يحدث أمر كهذا دائماً في الحياة. تبدو كأنها حقيقية، وفي الواقع هي مُزيفة.

وضع حقيبة سفيتلانا بجانب أشياء أندريه وَصَفَق صندوق السيّارة. مُتسلماً الدعوة، جلست الفتاة في المقعد الخلفي، وَتَحَرَّكَ السيّارة من المكان.

- اعذروني، يا أندريه، - بدأت سفيتلانا في الحال الحديث - لكن في الهاتف أنا لم أفهم مُطلقاً، أيّ عمل بالضبط أنتم تودون أن تعرضوه عليّ.

- أشياء تافهة - ابتسم هوَ برحابة أكثر كما أمكن - لا يتطلب منكم شيئاً من هذا القبيل. يتوجّب على الأغلب، لكي تمثلوا لي في حالة واحدة...

- ما هي بالضبط؟ - تَقَطَّطُ سفيتلانا - آمل، أن لا يكون عملاً إجرامياً؟

- طبعاً، لا! هل أنا شبيه برجل عصابة؟ حالة غير مؤذية تماماً، احتفال يوم الخطبة لابن خالتي. أحتاج لك كي تُرافقيني في هذا الحفل وتؤدي دور فتاتي.

- هذا فحسب؟

- حسناً... تقريباً.

- إذن أنا ببساطة لم أفهم، لماذا تحتاجون إلى مُمثلة- هزت سفيتا كتفها- كان مُمكن التوجه إلى خدمة استئجار رفيقة خاصّة (٩٥).

ردّ عليها أندريه بابتسامة جذابة:

- بصراحة القول، لم تحزروا ببساطة. وبعد ذلك، يوجد اختلاف طفيف واحد بعد... لكنني سأحدّثكم عنه فيما بعد.

- لكن، على الأقلّ، أخبروني، إلى أين سنذهب الآن؟

- هذا سهل. نحنُ سنذهب إلى مركز تسوم (٩٦). هُناك سيكون لدينا غرفة الملابس ووضع المكيّاج وحجرة إيداع المعاطف والقبعات... إذا عبرت بصورة صحيحة؟

- كلا على الإطلاق- ارتسمت ابتسامة على وجه سفيتا أيضًا- في المسرح لا يقولون حجرة إيداع المعاطف والقبعات، بل مكان خزن الطواقم. تناول أندريه هاتفه وطلب رقمًا ما:

- ستاسيك؟ معك كوليكونوف. تعال، من فضلك، إلى المقهى في الطابق الثاني خلال عشرين دقيقة. أنا أقترّب من المكان. يوجد عمل لك. طيّب، طيّب، اتفقنا...

في تسوم صعدا إلى الطابق الثاني وجلسا إلى طاولة المقهى. اقترح أندريه على سفيتا أن تطلب شيئًا ما، لكنها طلبت مياه معدنية فقط. حينما شربته سفيتلانا، ارتجفت يداها بخفة.

(٩٥) مكتب متخصص بإيجار الفتيات اللواتي يرافقن شخصًا ما لقاء المال. (المُترجم).

(٩٦) تسوم- المتجر الشامل المركزي، معروف في موسكو. (المُترجم).

«تقلق، - أدرك أندريه. - عَلَى أي حال، لا يوجد شيء مُدهش.
قلقي ليس أَقَلَّ منها...»

سرعان ما اقترب من طاولتهما شاب، بصراحة «أزرق»^(٩٧) من مظهره.

أوماً أندريه له دُون اكتراث وَأشارَ إلى سفيتلانا:

- ستاسيك، خذ، من فضلك، هذه الفتاة واجعل منها صديقة رجل من طغاة المال.

- أندريوشينكا، لكن كما يبدو هذا سيُكلف أموالاً - تماهل الفتى الوسيم بتراخ.

- أنتَ تقصد بأسعار المتاجر أم بالأجر الشخصي؟ - استعلم أندريه جدًّا.

- هذه وتلك، يا أندريوشا. أنا كما يبدو عَلَى الرَّغم من ذلك مُصمم تسريحات الشعر الأشهر من نار عَلَى علم. هذا يعني شيئاً ما، أليس صحيحاً؟

- ستاسيك، يا عزيزي، أنا لِقَاء بضعة دولارات الآن أَجلبُ إلى هُنا مجموعة كبيرة من مُصممي تسريحات الشعر كهؤلاء. وَالجميع أشهر من نار عَلَى علم.

- أندريوشينكا، لِقَاء بضعة دولارات لا يتوجَّب عليك أن تجلب أحداً إلى أيِّ مكان - أنا بنفسِي سأفعل كل شيء عَلَى أَفضل ما يكون.

(٩٧) الأزرق - يعني شاذ جنسيًّا. (المُترجم).

واسمح لي أن أعرف: أيّ مبلغ أنتَ تنوي أن تنفق؟

ردّاً عليه سحبَ أندريه من محفظة نقوده بطاقة ائتمانية ذهبية ومدها
لمُصمم تسريحات الشعر.

- ها هي ذي فيها أكثر من عشرة آلاف - أنه العمل في الوقت
المُحدد، من فضلك.

- بالتأكيد، يا أندريوشينكا. لكن كما يبدو أنتَ تفهم، بأن هذه
الأموال لا تكفي هنا للحلاقين، ومقلمي الأظافر ومجملي الوجوه.
-ألقي ستاسيك على رفيقة كوليكون نظرة مُحترَف.
- طبعاً، استدع كل مَنْ تحتاج إليه. الأمر الأساسي بالنسبة لي
-النتيجة!

- مُمتاز. وقتئذ، يمكن أن أطلب المُختص بالتلوّيح الاصطناعي
للبشرة؟

- هذا لا تحتاج إليه، يا عزيزي. من أجلي، لا تتلف الفتاة بكل هذا
الشيء المُقرف. أحتاج مظهرًا مُطابقًا للمواصفات ومُتضرّاً، هذا كل
ما في الأمر.

أوماً ستاسيك بصورة مفهومة وأخذ سفيتا، بينما أندريه، جالساً
بصورة مريحة إلى الطاولة، طلب وجبة «ماكّلان» المحبوبة. الحمد لله،
مُشكلة هذه السفيتكا المزعومة قد حُلّت! سحبَ هاتفه، لكي يتصل
بديما ويخبره، بأنه قد وصل مع سفيتا إلى موسكو وسيكونان حتماً في
الحفل.

- بيد أننا، مِنَ المُحتمل، ستتأخر قليلاً... قررتُ سفيتكا هُنا أن تذهب إلى الصالون، وَأَنْ تُصفف شعرها. الحفل مُهم، كما تعرف، هي تود أن تكون بأجمل طلة...

- لا شيء يدعو للخوف. الأمر الأساسي، بأنها وافقتُ عَلَى المجيء، وَيعني، كل شيء عَلَى ما يرام! - أَجابَ ديما بفرح. - تدري، أَنَا خَمَمْتُ: إِنْ حضرتُ سفيتلانا، فهذا يعني، أَن كل شيء سيكون جيِّداً.

«الله يسمع منك!» - ضحك أندريه في قرارة نفسه. أراد أيضاً، لكي يكون كل شيء جيِّداً. مفهوم هذا الأمر الجيّد حدث مع ابن خالته بِصُورة رائعة.

احتسى الويسكي، ثرثر بالهاتف، تصفح مجلة ما للرجال. مرَّ الوقت، بينما سفيتا وَستاسيك لم يظهرا بعد.

«يا للعجب، - فكر أندريه بانزعاج. - رُبَّما هُم هناك يجرون لها عملية تجميل؟»

في هذه اللحظة دخلت الفتاة إلى المقهى، التي ببساطة جلبت انتباهه في الحال. حسب مقاييسه، هذه كانت ببساطة «مُرزة خرافية»: مُرتديَّةً بأناقة وَبصُورة مُطابقة للزي السائد، بكومة رائعة للشعر الأشقر وَبصُورة خرافية نضرة، وَبمظهر ذي طلة بهية. هذا شيء لا تفعله أي مُستحضرات تجميلية، كل شيء طبيعي - ليس مثل الدُّمى الاصطناعية المحشوة بالسليكون.

«ها هي ذا، يا للجنة، مَنْ تناسب دور سفيتكا! - اعتقد أندريه. - في الحال تراءتْ له - الفتاة الرائعة! بينما يتوجّب عليّ أن أؤجر إلى العشاء الاحتفالي مُمثّلة بسيطة غير جذابة...»

في أثناء ذلك اقتربت «المُرّة الخرافية» بثقة من طاولته وكأن شيئاً لم يكن وجلستْ أمامه.

- ١-١-١... اعذروني، أَلَحْنُ؟.. - تتمم أندريه باندهاش ورأى فجأة، كيف علَى إثر الفتاة اقترب ستاسيك مصمم تسريحات الشعر من الطاولة.

- ما رأيك، يا أندريوشا، هل أنت راضٍ؟

فقط في هذه اللحظة عرف أخيراً أندريه، بأن الفتاة التي أمامه - هي تلك سفيتا نفسها المُمثّلة البسيطة غير الجذابة، التي هُوَ قبل بضع ساعات قد استأجرها للعمل. أكيد.

- ستاسيك، أنت ببساطة عبقرى! لا بأس به! رزمتك من الدولارات أنت تستحقها بنسبة مائتين بالمائة!

- ماذا دهاك، أتشكّ، يا أندريوشنكا؟! أنا مُصمم تسريحات الشعر الأشهر من نار على علم! كل موسكو تعرفني! - استاء بجدية مجمل الوجوه وخطا جالساً، هازاً وركه بغنج.

لم يتمكن أندريه بعد من أن يُزيح عيناه عن سفيتلانا المُتحوّلة إلى شخص آخر.

- ببساطة تبدين رائعة! - باح هُوَ أخيراً.

- شكرًا لكم... بالمُناسبة، يمكنكم أن تخاطبني بـ «أنتِ»؟ مع ذلك بالسيناريو أنا وأنتم لسنا بغرباء؟

- طيّب، لنُجرب... اسمعي، كم عمرك؟ - سأل أندريه غير العائد لوضعه كليًا.

- بعد شهرين سأبلغ الخامسة والثلاثين، - أجابت سفيتا دون ارتباك.

- يا للدهشة! بينما تبدين أصغر بعشرة أعوام... العينان تتلألآن، كما لدى الفتاة. ولون الوجه... وكل ما تبقى...

- حسنًا، لأنني لم أتكع هكذا في الحانات ليلاً، - هزّت سفيتلانا كتفيها العاريين. - لا أشرب، لا أدخن، ولا أحشو نفسي بالبوتكس والسيليكون...

- هكذا، يعني، صدرك طبيعي؟

- طبعًا، طبيعي! كل شيء لدي طبيعي! - ضحكت الفتاة.

- أترغبين بشرب شيء ما؟

- كأس نبيذ جاف فقط من أجل التشجيع، ما دمت سأسمع... يعني إرشاداتكم. ماذا يتوجب عليّ أن أفعل هناك؟

- لا شيء يستحق الذكر. ببساطة أنا ابتكرتُ صديقة مُنتحلة لفتاة ابن خالتي. بأنها، بمثابة، بالضبط، أنتِ تعرّفتِ عليّ مع فيكا، صديقتك، - شرح أندريه ببعض الارتباك. - وأنا عرّفت فيكا على ديمّا. ابن خالتي. لديهما اليوم حفل الخطبة. يعني، أنتِ يجب أن تتقمّصي دور صديقتها...

- بأيّ هدف؟

- ليسْ مُهمًّا! الأمر الأساسي، احفظي القِصة. إذن، أنتِ مولودة في

بيتير...

- صحيح أنا من بيتير، - ذكرتْ سفيتا. أعيشْ هناك طوال حياتي.
وُلدتُ في لينينغراد، وهناك أنهيت المعهد المسرحي. ونادرًا ما آتي إلى
موسكو من أجل كسب المال.

- جيّد، - أوّماً أندريه. - كلّما وجب تلفيق القِصة بصورة أقلّ،
يكون الأمر أفضل - وفيما بعد يضمن ذلك عدم افتضاح أمرنا. من
حيث المبدأ مُمكن حتّى أن تحتفظي بمهنتك، أنا كما يبدو لم أقل أبدًا
لديمون، ما هوَ عملك. إن لم تهذر فيكما بشيء ما...

- أنا على الرّغم من ذلك إلى الآن لم أفهم، ما مهّتي الأساسية.
لأجل ماذا يتوجّب كل هذا التضليل؟

- المَهْمة في الحقيقة - بسيطة. إذا حدث فجأة أن تبادلت بضع
كلمات مع ديمكا، فينبغي أن تهمني في أذنه، أن فيكا فتاة رائعة وكم
هوَ محظوظ مع عروسه، لن يجد أبدًا مثلها، وما شابه هذا. وإن شكّ،
أيتوجّب عليه أن يتزوّجها أم لا، فيتعيّن عليك ألا تدعيه يشكّ. أتفهمين؟

- يبدو، بدأتُ أفهم... لكن هل كل دوري يتعلق بهذا فقط؟

- فقط بهذا. أستطيع أن أقسم لك. هل لديك أسئلة أخرى؟

- لديّ. الأمر الأساسي للغاية. حجم أجري.

- على وجه الدّقة، أنا نسيت. اعتذر. كم تريدن؟

- أنا أريد خمسة آلاف دولار. زائد الحاجيات، التي أرتديها،
والنقل الذي وعدتني به إلى المطار.

- يا للعجب! - صَفَّرَ أندريه. - غير أن... يعني الحاجيات أنا
أعطيها لك، طبعًا، وأُقلِّك إلى المطار. لكن خمسة آلاف .. أنتِ عَينَتِ
سعرًا باهظًا. يمكن، أن تتفق عَلَى مبلغ أَقلّ؟

- لا، - هَزَّتْ سفيتا رأسها. - المزاد قد أُغلق عند هذا السعر.

- وإذا أنا رفضت؟ - شعرَ أندريه، بأنه بدأ يغضب.

- لن ترفض - رَدَّتْ سفيتا بهدوء - إن أَنْتِ ألبستني الملابس لِقاء
عشرة آلاف، فيعني، هذا الأمرُ مُهمٌ بالنسبة لك للغاية. أَسْتَطِيعُ أن أَخْلَع
هذه الخرق وَأَعَادِر، وَأَنْتِ ابْحَثِ عن مُثْلَةٍ أُخْرَى لتأدية هذا الدور. كم
تَبْقَى مِنَ الْوَقْتِ هُنَاكَ عَلَى الْعِشَاءِ؟

لم يود أندريه تمامًا أن تنهار خُططه بالتحديد عشيةَ الحفل. مُجَادَلًا
إياها نوعًا ما «لحفظ ماء الوجه»، وافق عَلَى شروط سفيتا عَلَى مَضَض.

- طَيِّب، اتفقنا. لكن خذي بعين الاعتبار - لِقاء هذه الأموال أَنْتِ
يجب أن تُؤدِّي لي الدور برمته بِصُورَةٍ مِثَالِيَةِ بِبِساطَةٍ... في الواقع كما
في هوليوود.

رَدًّا عَلَيْهِ ضَحِكَتْ سفيتانا فَحَسِبَ:

- لمعلوماتك، في هوليوود، لِقاء استثناءات نادرة، يمكن أن يكون،
مُسْتَوًى ضَعِيفٌ لِلْغَايَةِ لِلأداء التمثيلي. من المؤكد أنهم يسافرون إِلَى

هناك لقاء مبالغ عالٍ... على أي حال، ليس من المؤكد أن هذا سيكون مُمتعاً بالنسبة لكّ.

حينما خرجا من المقهى وعزما على مُغادرة تسوم، رأى أندريه فجأة الشخص الماشي بجانبهما. رجل ليس طويلاً وعريض المنكبين بلحية مشيبة، ظهر المظهر له في غموض معروف بالنسبة له. التقت نظراتهما، وفي تلك اللحظة تذكر أندريه:

- نيكيتا! يا له من لقاء!

- أندريه! - بدوره اندهش نيكيتا وفرح - لم نر بعضنا منذ سنوات طوال. على الرغم من أن أخبارك أنتَ وديما ترامت إلى سمعنا. أحستما - طورتما عملاً كهذا! «يديناميشليتيكي» - مسألة جدية تماماً بالنسبة لكما. أنا، بالمناسبة، قد سجّلت في موقعكم منذ ألفين وستة، حينما لم أعرف بعد، لمن يعود الموقع.

تصافحا بشدة. تطلع نيكيتا بصورة قصيرة، لكن بانتباه إلى رفيقة أندريه، وكما يبدو، هي نالت إعجابه. على كل حال، هو حتّى اعتدل واتخذ وضعية الوقار بسهولة.

- كيف حالك، وماذا تعمل؟ - ألح أندريه عليه بالسؤال - أنا كما يبدو من وقت مصرف «تشارا» لم أسمع عنكم أيّ شيء. للأسف، أنكما وقتئذٍ خسرتما كل شيء... هل اكتفيتما في الأمكنة البقية أم استمررتما بالمُجازفة؟ أنتما كما يبدو مُجازفون، - تنهد، - وكذلك أنا.

- تصوّر - انفرجتْ عَلَى وجه نيكيتا ابتسامة - في الأمكنة البقية
لم نفلس، في اللحظة الأخيرة نجحنا في سحب الوديعة. بيد أن المرأة
العجوز - بائعة الزهور، تذكرها، أنا تحدّثت لك عنها، قد خدعتنا. لم
نُعد لنا شيئاً. تظاهرت، بأنها عجوز هزيلة، هاجمتها عصابة، أفلسوا
كل عملها التجاري. تشكت بكل شيء، تشكت... حتّى ماتنيّ تأسف
لحالها، واشترى لها اللبن الرائب. وبعد ذلك غادرتْ خلصة إلى مكان
ما مع كل أموالنا - ولم نجد لها أيّ أثر. من الجيد، بأنك حينئذ لم تتبعنا.
- وكيف حال ماتنيّ؟ - سأل أندريه باهتمام. هوَ بصورة مُمتازة
تذكر هذا الفتى، الحريص عَلَى اتباع الموضة، الوسيم، يبدو ذلك من
المظهر الخارجي، شاب مُنغمس في الملذات ومُحب كبير للهو.

- لن تحزر أبداً، ما يفعله الآن - ضحك نيكيتا - غادر ماتنيّ إلى
الدير. مَنْ كان يعتقد أنه سيفعل هذا؟ ربّما، يعيش في مكان ما في
الشمال تقريباً خمسة أعوام، تارة في جزيرة فالام، وتارة أخرى في
جزيرة سولوفكي... يبدو أنه راضٍ.

- طبعاً، هذا في الحقيقة خبر غير مُتوقع، - وافقه أندريه. - وأنتَ
كيف حالك؟ ماذا تعمل؟

- كيف أقول لك؟ - تلعثم في الكلام، ناظرًا شزرًا مرّة أخرى
إلى سفيتا - أكتب قليلاً. لديّ كتاب قد صدر منذ مُدّة وجيزة، أتود أن
أهديك نسخة منه؟ في الحقيقة، إنها قصائد...

- أنتَ، كما يبدو، شاعر! أهدني، طبعاً - فرَح أندريه - واكتب
لي رقمك. لديّ، ابن خالتي، عمل كهذا، أحتاج إلى كل الناس. حسنًا،

أعتذر، أنا مستعجل - صافح يد نيكيتا - حتمًا سأتصل، وسنلتقي...
- أصبح أنت - مالك «يديناميشلينكي»؟ - دققت سفيتا، عندما
جلسا في السيّارة.

- ماذا؟ - أعاد أندريه السؤال متأملًا. - ااا... بالطبع، «ام كا اي»
- شركتي... اسمعي، يا سفيت، قللي لي، كيف تعتقدين: لقاء صديق
قديم، الذي تقريبًا لم أره منذ عشرين عامًا - هذا فال جيد أم سيئ؟

- لا أعلم - هزّت سفيتا كتفيها - لم أسمع أبدًا بفأل كهذا.
- إذن لنعده فال خير - ختم أندريه - أتعلمين، أي أعمال نحنُ
عملنا مع هؤلاء الشباب، تذكر بسرور... اه، كانت أوقاتًا رائعة!

بدأ بحوار مُنفرد مُطوّل عن تلك الأوقات، بوجه عام، أوقات ليست
بعيدة، لكن يا لها من أوقات خُرافية، حين تكوّن الوضع بالضبط من لا
شيء. من التلال المالية، بيع شركة هيربالايف العالمية للتغذية، أقماع
الخياطة، بناطيل الجينز، الأكشاك، المصنوعة من مواقف الحافلات،
من الرحلات المكوكية إلى الصين وتركيا...

بيد أن سفيتا لم تشاطره تمامًا مزاج الحنين إلى الماضي.
- برأيي، هذا كان زمنًا مُرعبًا. انتهاك العصابات، كم آنذاك قد
قتلوا من الناس... وليس الأمر في هذا فحسب. فقد الناس أعمالهم في
الحال، وأموالهم، الثقة في يوم غد... على وجه الدقة سحبوا البساط من
تحت أقدامهم. وجب عليهم أن يعرفوا كيف يتملصون من هذا، لكي
يبقوا على قيد الحياة، لا يموتون من الجوع ويطعمون أطفالهم...

- حسنًا، من الطبيعي، لن يكون شيئًا مثاليًا، كل شيء يملك جانبه
المُعاكس - تدمر أندريه باستياء. فكر في قرارة نفسه: «لحسن الحظ،
بأن في الحقيقة هذه سفيتكا - ليست فتاتي. لا توجد معها نقطة واحدة
لالتقاء، وجهات نظر مختلفة... كما لا أودُّ أن أتشاجر في الحفل!».

مع ذلك، حين نزلنا من السيّارة عند باب المطعم، تطلع أندريه
إلى سفيتا ولا إراديًا تفرّج عليها، هي تبدو هكذا بصورة رائعة. طبعًا،
ستاسيك حاول أن يؤنقها، لكن كما يبدو وكما يُقال، الأساس كان
جيدًا، كان يوجد ما يعملون عليه. يا للدهشة! الرجال يحدقون! كم فيها
من الوقار، السمات، حُسن القوام - الآن سفيتا كليًا لم تعد شبيهة بتلك
المُمثلة خارج عِداد العاملين في التصوير، على الأكثر شبيهة بامرأة ما
أنيقة من الطبقة الراقية.

عندما وقف، طلب رقم هاتف فيكا وأخبرها بذلك، بأن اللعبة تسير
إلى مرحلتها النهائية. من دقيقة لأخرى هو يدخل مع سفيتا إلى المطعم،
وفيكّا يجب أن تظهر جميع مواهبها التمثيلية، لكي تُعبر عن فرحها
الحقيقي للقاء أفضل صديقة لها. أجابت فيكا، بأنها مُستعدة.



الفصل الثالث عشر

الفنان – هذا الدور الأصعب

لم يكن بمقدور سفيتلانا ميخائيلينكو أن لا تكون مُمثلة، كما يبدو هي ترعرعتْ خلف الكواليس، كما في المعنى المُباشر، والمعنى المجازي لهذه العبارة. غالبًا يحدث أمر كهذا، عندما ينتسب أحد الوالدين إلى عالم المسرح. لا سيما كليهما، كما كان هذا لدى سفيتا. منذ الأعوام الأولى تعودت الصبية أن تقضي النهار والمساء في المسرح، حيث كان يعمل والداها. هي تغدّت وتعثّت في البوفيه الخاصّ بالمُمثلين، عملت الدروس، في وقت الظهر جالسةً على رف الشباك الواسع لبهو المسرح الفارغ، وَحَتَّى حينما كانت صغيرة كانت تنام في مكان ما على الأرائك في واحدةٍ منْ غُرْف وضع المكياج. البالغون بدفء تعاملوا مع «بنت فوجنا»، كما، ضاحكين، سمّى المُمثلون وموظفو المسرح سفيتا، – هي كانت طفلة هادئة، وسريعة البديهة ومصغية للكلام، كانت تؤدي بَسْرور تكليفات صغيرة ما وَلَمْ تُعَقْ أحدًا، لم تُحدث ضجيجًا، مُفضّلة الجلوس بهدوء في الزاوية، تراقب ما يجري، تسمع ما يقولون، وَتفعل استنتاجاتها الشخصية، التي، مع ذلك، لم تستعجل بمُشاركتها مع أحد.

أبو سفيتا، يفغيني ميخائيلينكو، كان مُمثلاً مُتقدماً لهذا المسرح لبعض الوقت. نموذج البطل، كما يُسمّى في عالم التمثيل مظهره الرجولي الجذاب، ساعده في الحصول على أدوار البطولة في الكثير من المسرحيات، سمحت الموهبة الفذة بتكوين شخصيات شيقة ومُتعددة ليس فقط في التناجات الكلاسيكية، لكن واستناداً لمادة ثانوية، من الناحية الأيدولوجية رصينة ودرامية، التي وقتئذ كان لا يمكن أن يرفضها. كان يفغيني جيّداً على السواء، مألوفاً ومُقنعاً في شخصية بطل شكسبير، وشخصية مسرحيات استروفسكي^(٩٨)، وسبّاكاً صلباً، بطل العمل الاشتراكي، وقائد فصيل الأنصار. المُشاهدون، لا سيما المُشاهدات، أحبينه وبُصورة خاصّة ذهبن إلى المسرح «لأجل مُشاهدة ميخائيلينكو». غير أن مجد يفغيني لم يمتد حتّى جدران معبد الميلبوميني^(٩٩). للأسف، يحدث هكذا مع الأغلبية الساحقة للمُمثلين، الكثير من أولئك الموهوبين، والمُتماسكين، لكنهم لا يفلحون على هذا النحو بتحقيق نجاح حقيقي. كما يبدو السينما تجلب الشهرة للفنان المُعاصر، لكن أن يشق طريقه إلى هناك، لكي يحصل على دور ملحوظ، لا يحدث لدى أيّ واحد. لم يكن يفغيني محظوظاً بهذا. صوّر في السينما ثلاث مرات - وكل هذه الثلاث مرات لم تكن ناجحة. في الحال بعد إنهاء معهد لينينغراد للمسرح والموسيقى والفنّ السينمائي

(٩٨) استروفسكي - كاتب مسرحي روسي الذي أصبح إبداعه المرحلة الأكثر أهمية في تطوير المسرح الوطني. (المُترجم).

(٩٩) الميلبوميني - إله التراجيديا أو الفنّ المسرحي المأساوي في الميثولوجيا الإغريقية القديمة. (المُترجم).

حصلَ عَلَى عرض مُمتاز - لم يمنحوه دور البطولة، لكن منحوه دورًا ملحوظًا في فيلم مغامرات تاريخي أو كما يُسمّونه أيضًا، فيلم متعلق بالقرون المنصرمة. انتقوا المكياج ليفغيني، خاطوا الملابس لأجله، صوروا بضعة مشاهد أولية - وفجأة وصل أمر من المراجع العليا بتغيير الممثل الشاب بابن المخرج المُبجل، الحائز عَلَى جائزة لينين. لم يُمثل بصورة أفضل في عمليْن آخرين. توقف العمل عَلَى واحد منهما في المنتصف بسبب وفاة المخرج، بينما لم تسمح الرقابة بإكمال تصوير العمل الثاني إلى نهايته. الفيلم أعدوه بطريقة غير رصينة من الناحية الأيدولوجية، تُرك لست عشرة سنة عَلَى الرف وَتمت الموافقة فقط بعد موت مؤدي دور البطولة يفغيني ميخائيلينكو.

في الطفولة اعتبرت سفيتلانا، بأن أباهَا أصابه الحُزن نوعًا ما بسبب ذلك، لأنه لم ينجح بتحقيق شهرة هائلة. «من الأفضل أن تكون الأول في القرية، من أن تكون الثاني في روما»، - أحب أن يكرر قول يوليوس قيصر. بينما في القرية، يعني في مسرحه، بابا في الواقع كان الأول والأفضل - اقتنعت سفيتا في هذا في كل مسرحية له.

كاتيا^(١٠٠)، أم سفيتلانا، امرأة مليحة وفاتنة، عملت في هذا المسرح، أشرفت عَلَى الجزء الأدبي. عائلتها كانت موضع اهتمام كلي، للدهشة والحسد - كان الزوجان مُخلصين لبعضهما البعض كثيرًا. أما الزوجة فالوضع بالنسبة لها مفهوم، فمع زوج كهذا رُبما لا شيء يغيرها لأن تهتم بالرجال الآخرين. بيد أن يفغيني! ماذا وجدَ في كاتيا هذه؟

(١٠٠) كاتيا، كاترينا - تصغير وتحيب اسم يكاتيرينا. (المترجم).

هي ليست حسناء، وَلَمْ تعد شابة، كانت في عمره تقريباً... أَلَمْ يستطع أن يجد ميخائيلينكو شيئاً ما أفضل وسط المُمثلات أو المُعجبات الكثيرات نتيجة تحقيقه نجاحاً كهذا لدى النساء عَلَى خشبة المسرح؟ أولئك، الذين ناقشوا هكذا، لم يكن بمقدورهم أن يفهموا، بأنه يستطيع، ولكنه لم يرغب. وَلَيْسَ لأن، كما قالت بابتسامة خبيثة مُمثلة المسرح المُسنّة للغاية: «عندما يكون حولك الكعك الحلو، وأردت أخذ قشرة خبز». ببساطة لم يكن يفغيني بحاجة إلى أحد، غير كاتيا. والدا سفيتا أحبا بعضهما البعض بصدق. وكانوا سيكونون سُعداء للغاية، لو لم يكن الانحدار، الذي دمر تدريجياً صحة وشخصية يفغيني - الذي عاقر الخمر. في البداية بكميات صغيرة، لكي يحتفل بنجاح المسرحية الفائزة، بعد ذلك يحتسي قبل كل خروج عَلَى خشبة المسرح - للتشجيع، بعد ذلك احتسى كل يوم، دُونَ سبب وجيه، وكل شيء ازداد أكبر وأكبر... وَوصل الأمر إلى ذلك، بأن وَلَا مسرحية واحدة له تمر دُونَ هفوات: تارة يتلخبط يفغيني في النص، وتارة يخرج إلى خشبة المسرح في الوقت غير المُناسب أو يغادر المسرح، مُخالفًا بهذا كل ترتيب المشاهد وأوضاع المُمثلين عَلَى خشبة المسرح، وتارة أُخرى ينسى أن يمنح المُمثل الآخر فقرة الكلام الضرورية. انهالت التوبيخات عَلَى ميخائيلينكو، جردوه من الجوائز، وَكفوا عن منحه الأدوار. استاء، عانى، وَجاء المحنة عاقر الخمر بكثرة. وَانتهى به الأمر بشكل مُحزن للغاية - مُمثل صغير السنّ، رائع، موهوب مات في سنّ الثانية والأربعين جراء تليف الكبد. كان عمر سفيتا حينئذ أحد عشر عاماً.

بعد وفاة الأب كان الأمر صعباً عليها وعلى أمها. فقدت الإنسان المقرب، الذي كانت مُرتبطة به بكل روحها - محنة ثقيلة للغاية بالنسبة لأيّ واحد منا، لا يتعلق الأمر بالسنّ. ولدى ميخائيلينكو فضلاً عن المعاناة الروحية ازدادت الصعوبات المالية. عندما كان يفغيني لا يزال على قيد حياة، الذي لم يرغب أن يصوّر في السينما، بل بوجه عام أن يكسب في المسرح وفي المذياع، تعودت العائلة أن تعيش في بحبوحة. لم يكونوا، طبعاً، أغنياء، لم يمتلكوا سيارة ولا بيتاً ريفياً، لكن استطاعوا أن يسمحو لأنفسهم بالراحة كل عام على البحر، في مكان ما في القرم، وفي بحر البلطيق أو في القوقاز، استأجروا سيارات الأجرة واشتروا المنتجات الغذائية من السوق، والملابس من متاجر بيع الملابس المستعملة. في الوقت الحالي وجب رفض كل هذا، أجور يكاثيرينا بالكاد تكفي، لكي هي وبنتها يستطيعان أن يعيشا على حدّ الكفاف. خاصة حين تخرجت سفيتا في المدرسة، بالضبط وقتئذ بدأت مرحلة البيريسترويكا. مطلع التسعينيات - ذلك الزمن ذاته، الذي تذكره أندريه بحنين للماضي كهذا، كانت مرحلة بغیضة للغاية في حياة سفيتلانا. في المسرح كفوا بوجه عام عن دفع أجور أمها، وتحتم الأمر على كاترينا البحث عن طرق أكثر إمكانية للكسب، حتّى العمل كمُنظفة. لكن الأم وابنتها لم يحزنا، وجدتا معاً طرقاً لتدبر الاهتمامات المعيشية، خاطتا بأنفسهما وحاكتا، بأنفسهما. بأيديهما الأربعة، أصلحتا الأثاث القديم واستطاعتا من المنتجات البسيطة للغاية أن يعدا الغذاء، ببساطة طعام لذيذ. في الصف التاسع والعاشر بدأت سفيتلانا بنفسها العمل، وكانت

تبيع في أيام نهاية الأسبوع والأعياد الدُمى في المُتنزه. حدث هذا بشكل جيد، ربة العمل من حين لحين كانت تقنع سفيتا بالخروج للعمل على الأغلب، لكن الفتاة رفضت. طبعًا، كانت العائلة بحاجة إلى المال للغاية، لكن الأهم كان الإعداد للانتساب في المعهد المسرحي، الذي انتمت إليه سفيتا بكل جدية. ما دامت لم تفكر بأيّ طريق حياتي آخر لنفسها بوجه عام.

لم تحب سفيتا المسرح فحسب - هُوَ كان بالنسبة لها الحياة، أجوائه، جزء من روحها. حين كانت لا تزال صبية، جلست لساعات تشاهد البروفات، مُتابعَةً العملية المُملة للغاية لإعداد المسرحية، فوجه عام، بالنسبة لشخص غريب، استمعت للتوجيهات، التي يُعطيها المُخرج، استمعت للمُخاطبات، التي استخدمها المُمثلون. عرفت سفيتا عن ظهر قلب كل مسرحية من ربورتوار المسرح، حيث عمل والداه، وعرفت كل ظهور للمُمثل، كل ترتيب المَشاهد. والكثير من الأدوار، ليس الأدوار النسوية فحسب، بل حتّى الرجالية، جَرَّبَتها على نفسها، مُمثلةً، كيف يتم تأدية هذا المشهد أو نطق هذه العبارة. وحين أقنعتها الأم بأن تُفكر، في مهنة ما أُخرى، ملائمة أكثر لظروف الحياة المُعاصرة، أو مأت سفيتلانا برأسها فحسب. طبعًا، هي لم تعرف، أن الطريق إلى المَجد صعب ووعر للغاية، كما من الصعب أن تجتازه وسيكون من الصعب جدًّا إن لم تنجح. لكن على الرّغم من ذلك وثقت في نفسها.

ليس عبثًا، وخلافًا للعشرات، ويمكن، مئات آلاف المُتقدمين للانتساب إلى الجامعات، الذين يقتحمون في كل عام المؤسسات

التعليمية المسرحية وَكالمُعتاد لا يحصلون عَلَى شيء، انتسبتْ سفيتا إِلَى المعهد منذ الوهلة الأولى. طبعًا، لعب اسم عائلتها دورًا أيضًا، ذكروا يفغيني ميخائيلينكو فِي الأوساط المسرحية وقتئذٍ جيّدًا. لكن عَلَى الرَّغم مِنْ ذَلِكَ الاستحقاق الرئيس فِي أمر صعب كهذا انتمتْ سفيتا بنفسها، بمواهبها وَمواظبتها، التي أظهرتها فِي أثناء الإعداد. وَطبعًا، الشكر للمُعلمين - وزملاء العمل لوالديها، الذين تفهموا الوضع الصعب، الذي ظهر فِي عائلة ميخائيلينكو بعد وفاة المُعلم، عملوا مع سفيتا مجّانًا، مُساعدين لها بتحفيزها عَلَى الاستعداد الأمثل منذ مُدّة طويلة مُستوعبين أسس فنّ التمثيل.

منذ ذَلِكَ الوقت رأتْ سفيتا غير مُصدّقة عينيها اسمها فِي قائمة المقبولين للمرحلة الأولى، أصبحت حياتها مع أمها أسهل بكثير.. فالمنحة المالية الممنوحة لسفيتا، رَغْم أنها ليست كبيرة، بدتْ معونة لا بأس بها للعائلة. وبعد انتساب البنت سرعان ما وجدتْ كاترينا عملاً مؤقتًا لا بأس به- بأن تُراجع لغويًا الروايات الغرامية الأجنبيّة، التي غمرت فِي ذَلِكَ الوقت سوق الكتاب. ساعيةً إِلَى إنهاؤها فِي موعدها، حيث استعجلها المترجمون للغاية، وَلأن تقريبًا فِي كل كتاب ارتكبوا غلطة بلهاء ما، رُبّما أكثر. «اجتذبتْ ابتسامة مُثيرة جنسية خده نحو أُذنيه». «هُوَ أخذ وجهها فِي يديه، مُقبلاً، أنزلها عَلَى السجادة قبالة المدفأة الحائطية». «ركع جيك، شدها مِنْ بنطال الجينز خاصّتها وَكاشفًا لها المظهر إِلَى الخليج». عندما يُصادف شيء مُشابه كهذا فِي الكتاب، تقرأه كاترينا بصوت عالٍ، وَالبنت وَأصدقاءها، الذين عَلَى

الدوام يتواجدون ضمن «الشلة» في منزلها، ببساطة كانوا يموتون من الضحك.

يبقى في ذاكرة الكثير من خريجى المرحلة الدراسية وقت سعيد للحياة، لكن طلاب المؤسسات التعليمية الإبداعية محظوظين بهذا أكثر من جميع الطلاب الآخرين. ماذا يمكن أن يكون أكثر مُتعةً من ابتكار رسوم تمهيدية، وضع مقطوعات، الدراسة بصورة صحيحة لتكون حاضراً في دروس التدريبات المسرحية أو رسم الحيوانات بعد مُراقبتها في حديقة الحيوانات؟ سفيتا، في الحقيقة مثل جميع زملائها في الدراسة، درستُ بابتهاج وكانت مستعدة للحضور إلى المعهد منذ الصباح الباكر حتَّى المساء المُتأخر- لكن بعد ذلك ليلاً لا تفرق عن زملاء المرحلة الدراسية، بل تجلس معهم حتَّى ساعات الفجر، مستعدين للاختبار أو ببساطة مُتجادلين بشأن أشياء مُتنوعة مُمتعة. لكن، بغض النظر عن الجدول المُشبع بالمُحاضرات، سفيتانا ذات التسعة عشرة ربيعاً تمكنتُ من إيجاد وقت، لكي تعشق.

بوجه عام حتَّى في مرحلة الشباب لم تنتم سفيتا إلى فئة أصحاب الطباع النزوية. عُدتُ علاقتها مع شاب من الصف الموازي مُشابهة أكثر للصداقة من كونها علاقة حُب، التي استمرت تقريباً ثلاث سنوات وقبيل حفل التخرج ببضعة أشهر هما لأمر ما لم يعودا يلتقيان. في صُحبة صديقاتها لم تذكر شيئاً، ولم تتحدّث بشيء عن وجود علاقة غرامية. على هذا النحو استمرت الأعوام الأولى من الدراسة في المؤسسة التعليمية، ولم تكن لديها علاقة واحدة. وبعد ذلك التقتُ سفيتا فاديم.

كان شهر حزيران / يونيو، للتو حيث أنهت الامتحانات، التي أدتها سفيتلانا ميخائيلينكو، كالمُعْتاد، حاصلةً على أعلى الدرجات. في أوّل يوم فراغ حملت جميع الكتب الدراسية إلى مكتبة المعهد والآن، عندما كانت تقف في المحطة في انتظار الترامواي، فكرت بالعطلة المُقبلة. من جانب، كانت حزينة، بأنها الآن لن تذهب إلى المعهد لأكثر من شهرين كاملين، لن تلتقي أصدقاءها وتمارس أشياء مُمتعة شتى. ومن جانب آخر - تحتاج قليلاً إلى الراحة أيضاً. ليس كل الدراسة تتألف من مراحل دراسية مُختلفة للمهارة التمثيلية، يتحتم أن تدرس مواد أخرى أقلّ تسلية، الفلسفة، على سبيل المثال، التي يدرسونها ببساطة بصورة مُضجرة ومُفزعة.

لأمر ما لم يصل الترامواي لوقت طويل، والمطر الخفيف، بالكاد بدأ يقطر منذ الصباح، فجأة تحوّل إلى مطر منهمر حقيقي، بصورة غير مُتوقعة بارد بالنسبة لهذا الوقت من السنة. سفيتا، مُرتدية ثوباً صيفياً خفيفاً مكشوفاً، ابتلت حتّى آخر خيط، وقررت أنه من الأفضل أن تتصرف - أن تركض مُسرعة من المحطة بحثاً عن ملجأ، ولهذا السبب تُجازف بترك الترامواي، أو أن تبقى رُغم ذلك في الفضاء المفتوح؟ وفجأة في الحال توقفت بجانبها سيّارة «جيجولي» خضراء، انفتح الباب، وصوت رجولي جميل قال:

- يا فتاة، اصعدي بسرعة!

تطلعت سفيتا حولها - على وجه الدقة هل هذه الكلمات موجهة إليها؟ هي لم تنتظر أحداً في هذا الموقف... والسائق استعجل:

- أجل - أجل، أنا أتحدّث إليك. ماذا دهاكم، أتريدون أن تصابوا بالتهاب الرئة؟ اصعدوا بسرعة إلى السيّارة!

وأمثلتُ سفيتا لذلك. بعد ذلك، حين روت هذه الحادثة لأُمها ولصديقاتها، وبخنها كما ينبغي حيال تهورها. وكيف أمكنها أن تجلس في سيّارة رجل غريب؟ على الأقلّ مُمكن هذا أن يتحوّل إلى شيء ما! لكن الفتاة نفسها وثقتُ بحدسها ولهذا تصرفْتُ على هذا النحو بالتحديد. من أين لها أن تعرف، بأنه لن يحدث معها أمر مُخيف. من المُحتمل، سبب التصرف الطائش خبأ قابلية المغامرة، التي كانت دائماً بداخلها، إذا استترت أكثر عمقاً. ويمكن، سفيتلانا ببساطة وثقتُ بملاكها الحارس. لكن مهما كان الأمر، هي قبلت الدعوة وبُسُرور دخلتُ إلى داخل السيّارة الدافئ والجاف.

- إلى أين أوصلكم؟ - سأل السائق، الذي بدا أصهب لطيفاً للغاية بعينين بُنيتين مُعبرتين.

- يتوجّب عليّ أن أصل إلى المترو... أنا أعيش بعيداً... - بدأتُ سفيتا وقاطعتُ نفسها بعطاس مدوي.

- مفهوم، - أنهى الأصهب كلامه، ناظراً بشزر إليها - سنذهب إلى البيت فيما بعد. والآن بالبدء سنذهب إلى الصيدلية، وبعد ذلك إلى مقهى قريب. سنسقيك شايًا بالعلس.

- اب - تشيخي! - وافقتُ سفيتا.

طوال ذلك الوقت، ومع استمرار هذا البرنامج، فقد أفلحنا أن يعرفا

بعضهما البعض أكثر. كان فاديم بالتعليم طبيًا، لكن، حين بدأت مرحلة البيروسترويك، غيّر المهنة واشتغل بعمل أكثر ربحًا - بصناعة أدوات الزينة من الأحجار شبه الكريمة. على أي حال، في الآونة الأخيرة، العمل «بالصياغة»، كما هو أسماها، أصبح أقل ربحًا، لهذا الآن بدأ يفكر بعمل خاص ما آخر.

- أحلم بفتح عمل خاص - قال للفتاة. - وأفكر بالعمل الصيدلي. المنافسة، طبعًا، في هذا المجال ليست صغيرة، لكن كما يبدو أن الإقبال كبير. الناس يمرضون، للأسف، أبدًا لا يكفون عن ذلك. ولا يكفي الدواء لدينا في البلاد دائمًا...

وظهر فاديم مولعًا أيضًا بارتياح المسرح. علمته جدته النبيلة أن يحب الفن، التي كابدت كلا الحالين الثورة والحصار. بتوصيتها اعتاد فاديم أن يشاهد جميع الاهتمامات المستحقة للمسرح ومن الطبيعي حضر المسرحيات، التي مثل فيها يفغيني ميخائيلينكو. ذلك، بأن فاديم يتذكر أباهًا وباحترام تكلم عنه، ظفر بسفيتلانا بقوة للغاية. لكن، للإنصاف، يجب الاعتراف، بأنه إذا لم تكن هذه التفاصيل، فسفيتا بكل الأحوال أحبّت من أسدي لها هذا المعروف - ما دام متوفرًا فيه الافتتان، الرجولة والذكاء.

لم يكن لِقائهما الثاني محض صدفة. وتبع اللقاء الثاني لقاء ثالث، وتبع اللقاء الثالث - اللقاء الرابع وهلم جرا. الحبّ نحو فاديم ملأ كل حياة سفيتلانا، حتّى الدراسة لوقت ما حادت إلى اهتمامها الثاني. عرفت الفتاة بأن رفيقها مُتزوج، لكن تقبلت هذا، فطالما أكد لها فاديم

بأن زواجه فقط عَلَى الورق، هُوَ وَزوجه منذ مُدَّة طويلة لا يعيشان معًا وَرسميًا لم ينفصلا فقط، لأن لديهما ثمة صعوبات ما باقتسام الشقَّة. أي صعوبات بالضَّبْط - سفتيلانا لم تفتن، كان هذا بالنسبة لها أمرًا ليس شيقًا. ما كان يهتمها في ذلك، أن فاديم لا يخذعها، وفي الواقع يعيش وحيدًا، هي اقتنعتُ خلال بضعة أشهر بعد التعارف، حين بدأتُ بانتظام التواجد في بيته.

نال فاديم إعجاب الأم بوجه عام وبصورة كلية، لم يربكها حتَّى فرق السنِّ الثلاثة عشر بينه وبين ابنتها. وبدأتُ سفيتا تدريجيًا تتقمَّص شخصية جديدة بالنسبة لها من حيث المبدأ - الصديقة المُهممة وتقريبًا ستصبح خطيبته. اندهش فاديم فحسب بذلك، كيف تبدلتُ شقَّتَه تدريجيًا وأصبحتُ نظيفة ومريحة، كما وضعت الأشياء عَلَى وجه الدقَّة كُلِّ في مكانه، وفي الثلاثرة بعد كل مجيء لسفيتا يظهر شيء ما لذيذ. عَلَى هذا النحو مر قرابة عامين، الأمر بصدق اتجه للعيش المُشترك والزواج، حين فجأة اختفى فاديم بصورة غير متوقعة، وكف عن الاتصال والذهاب إليها في المعهد.

ألمت الشكوك سفيتا لبضعة أيام، كيف من الأفضل بالنسبة لها أن تتصرف. أخيرًا القلق إزاء الشخص المحبوب تغلب عَلَى الحذر والفخر. هل حدث فجأة شيء ما معه؟ الآن أوقات كهذه، بأن يمكن أن يحدث أمر ما، لا سيما مع رجال الأعمال المُبتدئين. رُبَّما هُوَ مريض، ورُبَّما يحتاج إلى المُساعدة - وهي لم تتصل عليه؛ لأنها بحماقة قررتُ، بأنه عَلَى هذا النحو قد تركها فجأة.

عندما استجمعت جرأتها، اتصلتُ سفيتلانا عَلى فاديم، حدد لها لقاء في المقهى - ذاك ذاته، حيث جلسا في أثناء المطر، الذي بفضلِهِ التقت مصائرهما. وفي أثناء هذا اللقاء، أخبر فاديم سفيتلانا متلعثمًا ومحوًلاً نظره، بأنه عاد إلى زوجته، التي أعطته المال لرفع عمله التجاري، الذي مِن دُونِهِ لم يستطع أن ينميه، لكنها وضعتُ شرطًا لا بُدَّ مِنْهُ - المُصالحَة. بالتالي انتقل للعيش معها، لكنه دعا سفيتا ألا تظن شيئًا، هذا صفقة فحسب، لا أكثر. وهما يستطيعان كما في الوقت السابق أن...

- كلا- قاطعته سفيتلانا. وهي تهز برأسها- لا أستطيع. أنا، عَلى الأقل، لا أستطيع. اعذرني.

نهضتُ وخرجتُ إلى الشارع، حيث، لسخرية القدر، كما في اليوم الذي تعارفا به، مرَّة أُخرى هطل المطر. تحدثتُ مطابقات كهذه! عَلى الرَغم مِن ذلك، عَلى أي حال، لا يوجد ما يدهش، الأيام المُمطرة بالنسبة لسانت بيتيربورغ أكثر اعتيادًا، مِن الأيام المشمسة.

بعد إنهاء المعهد وُرِّعْتُ سفيتلانا إلى واحدٍ مِنَ المسارح الشبابية البيتيربورغية. مِنَ الطبيعي، أن تمثل فحسب في أدوار ثانوية. أن تحصل في الحال عَلى دور، وليكن حتَّى صغيرًا- هذا نجاح لخريجة الأُمس، الجميع محظوظون للغاية تمامًا. مع ذلك، لا يُراهن في وقتنا المُمثلون الشباب (وحتَّى لیس الشباب جدًّا) كثيرًا عَلى المسرح، كل آمالهم مرتبطة بالتلفاز، السينما أو ليكن حتَّى الإعلان. وما المُدهش هُنا؟ الكثير مِنَ المصائر التمثيلية بدأتُ بالضبط مِنَ عملٍ إعلاني. لكن سفيتا لم تكن

محظوظة بهذا، لم يوجهوا لها الدعوى للتصوير في إعلان، التصوير في الأفلام - أيضًا. بصورة إبداعية أظهرت قدراتها الكامنة، كما هي سمّت هذا بضحكة خفيفة، وجب عليها العمل فحسب في أمور بسيطة مثل دبلجة الأفلام المترجمة. لم يسمح إخلاصها وافتخارها أن تبدأ مسيرتها عبر الفراش، على الرغم من أن زملاءها الآخرين (زدّ على ذلك كلا الجنسين) بالضبط بهذه الطريقة حصلوا على أدوار في المسرح، وفي الأفلام وفي المسلسلات.

في سنّ الرابعة والعشرين تزوّجت سفيتلانا بصورة غير متوقعة بالنسبة لها. يورا^(١٠١)، عريسها، الذي لم تحبه. كان جرحًا طريًا جدًّا في روحها، ذاك الذي تركه فاديم. لكن يوري أحبها، لوقت طويل، اعتنى بها بصورة جميلة وبإخلاص، بإصرار طلبها للزواج، وفي نهاية المطاف قررت سفيتا، أن تكون المحبوبة، ربّما، حتّى أفضل من أن تحب نفسها. إن لم يكن الافتتان - فلن تكون أيضًا خيبة أمل، كما قالت أستاذة مادة الكلام المسرحي.

بلغ يوري حين وقت حفل الزفاف اثنين وأربعين، امتلك عمله التجاري، شركة كبيرة للغاية، التي تمارس عمل الترميم وتصميم البناءات. باختصار، كان شخصًا ميسورًا ومُحترمًا في وسطه. بعد حفل الزفاف لم يستطع يوري أن ينعم النظر وأن يفرح بزواجه الجميلة الشابة لوقت طويل. عن طيب خاطر وحتّى بسرور نفذ جميع رغباتها، التي، مع ذلك، لم تكن كثيرة جدًّا، كان يأخذها غالبًا معه إلى حفلات الطبقة

(١٠١) يورا - تصغير وتحبيب اسم يوري. (المترجم).

الراقية، عرّفها على شركاء العمل وعوائلهم. تزلفت سفيتا بسرور إليه، على وجه الدقة كأنهما كانا على خشبة المسرح. أصبح لديها الكثير من الصديقات الجدد، الجميع كنّ، كما يُسمّى، نساء ذوات منزلة، في الأمر الرئيس زوجات أصدقاء وشركاء العمل التجاري لزوجها.

بعد عام ونصف العام من الزواج أصبحت سفيتا حبلى، والزواج أقنعها بترك العمل. في الحقيقة، لا ينبغي عليها الرقص في وضع كهذا رقص الغجر ولا تصوير دور الفراشة ببطنها! ولم يكن الأمر مُفرحاً بشكل خاص، لكن مع ذلك وافقت سفيتانا على الجلوس في البيت. في البداية كان الأمر بالنسبة لها مُضجراً، أملت نفسها بالعودة إلى المسرح، لكن حين ظهر الابن، جينكا^(١٠٢)، نسيّت سفيتا كل شيء ومنحته بفرح وبقلق الأمومة. الدور الجديد - الأم المحبة والمُعنتية - راق لها أكثر من جميع الأدوار، التي مثلتها في وقت ما في حياتها.

لبضعة أعوام عاشوا ليس بهناء فحسب، لكن حتّى بسعادة. وبعد ذلك تغيّر الزوج المحبوب. أصبح فجأة يسخط على الطفل، الذي في الحقيقة ترعرع نشطاً للغاية ومحباً للاطلاع، وتطلع واهتمّ بكل شيء. دون مُبرر أصبح يورا يخلق الحجب لانتقاد ذلك، بأن سفيتا تقضي وقتاً كثيراً للغاية مع الابن، وتولي اهتماماً قليلاً للزوج، وإلى ذلك، بأن طوال السنوات الأخيرة بسهولة أصبحت بدينة ولم تعد مرهفة أو مُغرية، كما كانت سابقاً.

(١٠٢) جينكا، جينيا، جينيتشكا - تصغير وتحبيب اسم يفغيني. (المترجم).

أصبح يوري يتأخر مرارًا في العمل، ويعود بسهولة بفرح وفي مزاج جيد. كان الأمر واضحًا، بأنه، كما يقال، يسير في طريق خاطئ. في البداية حاولت سفيتا أن تصور من نفسها امرأة حكيمة: تظاهرت، بأنها لا تلاحظ آثار أحمر شفاه على ياقة قميصه، ولا تشعر بأريج عطور غريبة. كان زوجها يترّفه مع الفتيات، هي أملت «أن يثوب إلى رشده» ويعود. لكن - هيهات! - لم يصبح الأمر بشكل أفضل. يورا تقريبًا انقطع عن المبيت في المنزل، وأحيانًا يغيب لمدة أسبوع بحجة السفر إلى مكان ما، ويعود راضيًا ومُسمرًا.

حاولت سفيتا أن تُثير غيرته: في جميع الحفلات - أيام عيد الميلاد، الأمسيات الاجتماعية - تغنّت دُون أن تعبا بشيء مع الرجال، لم يكن لديها أبدًا نقص في المُعجبين. في الحقيقة، عدا مُغازلة عابرة، الأمر لم يأتِ بشيء. والزوج تصرف حيال هذا دُون اكتراث، تارة ببراعة تظاهر بذلك، بأنه لا يغار، وتارة أخرى في الحقيقة كان كل شيء سيان بالنسبة له. وتُجازف سفيتلانا.

أرادت أن تُحافظ على عائلتها للغاية لأجل جينكا، لكن لم تمتلك القوة لتحمل علاقة زوجها بشكل أكبر. بدأت الشجارات والفضائح، وفي يوم لم يكن رائعًا مطلقًا أعلن يوري، بأن لديه امرأة أخرى، التي لديه معها كل شيء جدي للغاية، وطلب الطلاق. كانت امرأة جلييلة، بمشاعر مُعبّرة للوقار الذاتي، لم تطلب سفيتا من زوجها تعويضًا ماليًا أو أن تحتكم معه لأجل اقتسام الملكية. هي أملت بإخلاص يوري وفي المُحصلة بقيت من دُون شيء. الشقة، البيت خارج المدينة، السيارتان

- كل هذا بقي ليوري وزوجته المُستقبلية. وَعَادَتْ سفيتا مع ابنها ذي الخمسة أعوام إلى شقّة والديها، آخذةً معها فقط الملابس وحاجيات شخصية. والزوج سرعان ما كف عن دفع نفقة الزوجة، مظهرًا مُستندات مُزيفة عن الدخل المالي الضئيل كما زعم.

لُحْسِنَ الحظ، سفيتلانا وأُمها يكاتيرينا، التي شاخَتْ نوعًا ما في ذلك الوقت، لكن مع ذلك لا تزال قوية العزم، كلاهما كانتا متفائلتين بطبيعتهما. وَتَصَرَّفْنَا إِزاء الصعوبات المعيشية بالتحديد عَلَى هذا النحو، كما، في الحقيقة، وجب عليهما فعل هذا، يعني بابتسامة. مَرَّةً، بِصُورَةٍ سيئة، وَمَرَّةً، بِصُورَةٍ صعبة. بيد أنه تحدث حالات أكثر سوءًا وَأَكْثَرُ صعوبة (تفو-تفو- تفو، لا سمح الله!). وَلَا شَيْءٌ - الناس لا يتقبلونها بهذا الشكل. عَلَى هذا النحو وجب عَلَى سفيتلانا في المَرَّةِ التالية في حياتها أن تتعوّد الدور الجديد - المرأة المُطلقة والمُرْتَكِز المالي للعائلة.

منذ ذلك الوقت مرت ثلاث سنوات. فَقَدْتُ سفيتا جميع صديقاتها من «الطبقة الراقية»، اللواتي بعد الطلاق قلصن الحديث معها كثيرًا، وَعَادَتْ إِلَى أَصْدِقَائِهَا القدامى الموثوقين، الذين ساعدوها قدر استطاعتهم. لم تنجح سفيتلانا بمعاودة العمل في المسرح، أو أن تعمل في مكان آخر- أيضًا، وجب أن تعيش في مشقة بأعمال تأتي صدفة، أَخَذُوهَا لِقَاءَ عروض ما بمثابة دبلجة الأفلام، ألعاب الكمبيوتر أو في المذياع. أحيانًا، إِذَا كانت محظوظة، يوجهون لها الدعوة لتصوير أدوار مشاهد في المسلسلات. مَادِيًّا كان صعبًا، في بعض الأحيان حَتَّى أَكْثَرُ،

لكن سفيتلانا لم تحزن. كان لديها ابن رائع، وأم رائعة، محبة للعمل. ماذا يحتاج الإنسان بعد ليكون سعيدًا؟ تحتاج إلى بلوزة جديدة، القديمة ببساطة قد رُقعت بقطع. لكن لا شيء، حتَّى حلول فصل الشتاء لا يزال الوقت بعيدًا، رُبَّما، يتسم لها الحظ، وهي تستطيع أن تكسب لأجل شراء ملابس شتوية جديدة ليس فقط لأُمها وابنها، بل وَلها أيضًا.

عندما ظهر أندريه فجأة في طريقها المعيشي مع عرضه الغريب، لم تستطع سفيتلانا في البداية أن تفهم بأيّ طريقة، ما يُريده منها. أكثر شكوكًا، حتَّى نظرت للحكاية بتوجس. لكن عندما أحست سفيتا، لدرجة ما أن صاحب عملها الجديد مُهتَمَّ بها، فجأة تملكها الحماس المهني. كما يبدو، هي أخيرًا حصلت على ذلك الدور، الذي انتظرته طوال هذه السنوات الطويلة...



الفصل الرابع عشر

حفل الخطبة لم يُقم

ما إن دخل أندريه مع رفيقته إلى القاعة، تقريبًا كل نظرات الضيوف اتجهت ناحية سفيتا. نظر الرجال إليها بإعجاب، بينما النساء - بحسد وكراهية. وفجأة اكتشف أندريه بنفسه، بأنه فخور بإمكانية أن يمر مُمسكًا يدَ حسناء كهذه.

اندفعت فيكا نحو سفيتا صائحة بابتهاج: «يا لها من مفاجأة!» - الفتاتان تعانقتا هكذا، كأنما لم يريا بعضهما منذ ألف سنة. هذا في الحقيقة كان مُشابهاً للغاية لِقَاء صديقتين مُقربتين، وَأندريه تنفس الصعداء. اعتقد، بأن هكذا، رُبّما، يحس بنفسه مُخرج عرض مسرحيته الخاصّة. «لديهم عمل، لكنه، مُثير للقلق»، - تنهد هو، مُقربًا لسفيتلانا الكرسي. خصصوا لهما، مثل ضيوف الشرف، مكانًا لطاولة واحدة مع العريس والعروس.

أصيب ديمًا بقليل من الذهول أيضًا أثناء النظر إلى سفيتا، لكنه سرعان ما تدبر أمره واستقبل الفتاة بحرارة شاكراً، لأنها على الرغم من ذلك جاءت إلى موسكو.

- لا تتصوروا، كم أنا فرح برؤيتكم، أندريه وفيكا تحدّثا عنكم كثيراً، فقد كان التعرف عليكم فكرةً مستوليةً عليّ.

- شكراً، سعيدة للغاية أن أسمع هذا - أجابت سفيتا بابتسامة - أستطيع أن أجيئكم إطراء بإطراء - تحدّثوا لي أيضاً عنكم بالكثير من الأمور الجيدة، خاصّة فيكا...

في هذه اللحظة اقترب إلى طاولتهم مُدير «Ritz Carlton» ومَدَّ للأربعة جميعهم بطاقات ما.

- شرف عظيم بالنسبة لنا، بأن أناساً معروفين ومحترمين أمثالكم اختاروا مطعمنا لإقامة احتفالهم - قالها بكياسة مُصطنعة. - اسمحوا لي أن أقدم لكم بطاقات الزبائن الـ VIP. الآن، حينما تكونون في ضيافة فُنْدُقنا، سيتاح لكم خصم مُستحق الاعتبار.

- أنا أسكن في «Ritz Carlton»! - في الحال أخبرته فيكا.

- يا له من أمر؟ أعتذر لكم، أنا لم أعرف هذا. إذن يتعيّن عليكم أن تتذكروا، بأن تقدّموا البطاقة عند دفع الحساب.

- ها أنتَ ذا ترى، يا ديمون، كم من الرائع أن تكون عملاق قطاع الإعلام المشهور - الجميع يرغبون أن يصبحوا أصدقاءك! المرء الغني يجذب، مثل المغناطيس، - لم يتمالك أندريه نفسه من التلاعب اللفظي

المُتتالي وَدُون اعتناء دس البطاقة في جيب السترة.

اقتربَ النادل للتو بقنينة شمبانيا منزوعة السدادة وَسكب في الكؤوس الشراب المزبد. أخذ أندريه كأسه وَبابتهاج رفعه.

- وَماذا؟ أَنشرب نخب العائلة الجديدة؟

بالدافع الأول لسفيتلانا، التي كانت مؤمنة بالخرافات، مثل أغلبية المُمثّلين، كانت ستخبره، بأن تسميتهما زوج وَزوجة قبل أن يُقام حفل الزفاف- سيكون فألاً سيئاً. لكن، مُفكرةً قليلاً، هي لن تكون لتفعل هذا. ما الفرق بالنسبة لها، في نهاية المطاف، أُقيم حفل الزفاف هذا أو لم يُقم؟ جميع هؤلاء الناس تراهم للمرة الأولى وَالْأخيرة في حياتها. وَلن تتأسف على هذا أبداً. بعد الطلاق مِن يورا اقتنعت تماماً بذلك، بأن العالم، حيث تدار الأموال الكبيرة وَحيث مغويات الرجال، الشابات، كما زعمت صديقتها فيكا، مستعدات لفعل أيّ شيء، لأجل استدراج الرجال الميسورين الحال إلى شباكهن، وَهذا الأمر لا يتطابق معها. عالمها هُوَ - شقتهم ذات الغُرفتين الصغيرتين الحجم في المبنى الخرساني، أمها وَجينكا، الانهماك في قضاء أعمال الدبلجة في التجارب، الكتب المحبوبة وَالْأفلام، التي يشاهدونها حسب العادات القديمة في جهاز عرض فيديوي، لأن سفيتا لم تكسب المال بعد لكي تنفقه على التقنية الأكثر حداثة.

الأجواء في حفل العشاء متوترة نوعاً ما في بداية الحفل، أصبحت طبيعية بصورة أكبر وَأَكْبَر. بعد المقبلات الساخنة لم يجلس الضيوف بوقار في أمكنتهم، بل نهضوا، وَساروا في القاعة، جلسوا بجوار

بعضهم بعضًا. غادرتُ فيكا طاولتهم أولًا، وعندما راقبتهم سفيتلانا بضجر، رأتُ أن الفتاة انتقلتُ إلى الطرف البعيد للقاعة، حيث جلستُ بوضوح للغاية فتاة شقراء مُتبرجة عمرها قرابة الأربعين، مُرتديةً بصورة مُثيرة جدًّا بالنسبة لعمرها. الشقراء في الحقيقة أجلسْتُ فيكا عُنوة إلى طاولتها وأجبرتها على شرب الشمبانيا معها.

لم تعرف سفيتلانا، طبعًا، لا اسم دينا، ولا مَنْ تكون. ولم تعرف ذلك، بأن قبيل أن تمد لفيكا كأس الشمبانيا، رشتُ دينا الخبيثة فيه بوفرة الكونياك وضحكتُ في قرارة نفسها. في وقت ما في مرحلة الشباب هُم بأنفسهم عملوا شراب الكوكتيل كهذا، كما يبدو، هُوَ يُسمَّى «الدب الهائج». ها نحنُ ذا نشاهد الآن، كيف تبتهج هذه الفتاة تحت تأثير الكوكتيل. كانت دينا على بينة بصورة جيّدة، كما روتُ لها فيكا بشأن ردة فعلها جراء الكونياك، قالتُ إنها من جراء هذا الشراب بالضبط يُجن جنونها ووقتئذ تصبح فاقدة السيطرة تمامًا، ببساطة يمكن «أن يُضاجعها أيّا كان»، كما هي عبرتُ، وبوجه عام يمكن أن يُسبب هذا، الكثير من...

كان الحفل في أوجه. دنت اللحظة الاحتفالية تلك، حين كان يجب على دميتري، طبقًا للسيناريو الذي ابتكرته فيكا، أن يركع على ركبته، وأن يقول كلامًا مؤثرًا وأن يُقدّم لعروسه خاتمًا بالألماس الوردي، الذي اشتراه قبيل بضعة أيام لقاء مبلغ طائل. طوال اليوم من الصباح الباكر فكر ديمًا بقلق بهذه اللحظة، استعد، أدار في الذاكرة مُسبقًا الكلام المكتوب والم محفوظ عن ظهر قلب. بيد أنه كلما اقترب من «لحظة الحدث المُهم»، كان يبقى بصورة أقل في رأسه أفكارًا عن ذلك، كيف سيفعل

طلب الزواج. الغريب، لسبب ما لم يكن كل اهتمامه في حفل بهيج كهذا مُنشغلًا بخطيبته، بل بأفضل صديقة لها. كان أمر ما في سفيتلانا هذه، الذي لم يستطع هكذا أن يعثر عليه، أن يراه، أن يشعر به في فيكا. وَالآن هُوَ قد أدركه بوضوح. ناسيًا اللياقة، ديمًا أمعن النظر في هذه المرأة الشابة، أنصتْ لصوتها وَأحس بتيارات طاقتها النفسية المُنبعثَة مِنْ جلدِها. تطلع إليها هكذا، كأنه حاول أن يكشف سرَّ فتنتها الطاغية. وَأسرَّ في نفسه، بأنه الآن بحدّة يحسد ابن خالته، كما لم يحسده في حياته أَبَدًا. لماذا، لماذا امرأة كهذه يحصل عليها أندريوشكا، وَلَيْسَ هُوَ، ديمًا؟ هُوَ كما يبدو، بوجه عام، لا يستحقها... طيّب، دعه لا يستحقها، لَيْسَ مِنَ الجيّد هكذا أن يفكر بابن خالته. لكن أندريه بوضوح غير قادر عَلَى منحها تلك العلاقة وتلك العلاقات، التي تستحقها سفيتلانا.

«تلك العلاقة وتلك العلاقات، - كرّر ديمًا في قرارة نفسه. - ماذا دهاني؟ كما يبدو، أنا أصبحت، مثل أندريه، أفكر بالأقوال المأثورة والجناس. كما يبدو، هذا شيء مُعْدٍ...»

مِنْ جديد تحدّث عن شيء ما مع سفيتا، هي أجابته، وَديمًا هكذا انجذب لهذا الحديث، بأنه حتّى لم يلحظ غياب خطيبته مِنْ جانبه. لم تكن فيكا تجلس معهم منذ مُدّة طويلة إلى الطاولة، هي لم تأت، حتّى عندما جلبوا الوجبة الساخنة وَجميع الضيوف مِنْ جديد جلسوا عَلَى مقاعدهم. لكن لم يُقلق هذا دميتري مُطلقًا، كان مُنشغلًا بسفيتا فقط.

عندما هدأ رنين السكاكين والشوكات نوعًا ما والضيوف باتوا يزيحون عنهم الأطباق الفارغة، نهض أندريه مِنْ مكانه.

- أرجو الانتباه! - نادى هُوَ. انتظر، لحين تحوّلت جميع الأنظار ناحيته، وأكمل: يا أصدقاء، اليوم في الحقيقة يوم رائع! اليوم ديمًا وفيكا يرغبان بتوحيد مصيرهما، بينما أنا وسفيتا، على العكس، نحتفل بانفصالنا...

قرر أندريه منذ مُدّة طويلة، أن يقول هذا بالضبط. كل هذه الجهود بالبحث عن سفيتا المزعومة كانت صعبة عليه للغاية. إن الاستمرار بكذبة عن صديقة فيكا لا تمتلك أي مغزى، على العكس، أصبحت بالنسبة له فقط عبئًا ثقيلًا. لن يستأجر له، في الحقيقة، هذه المُمثلة السيئة في كل حفل قادم - حفل نسائي للفتاة قبيل زواجها، حفل الزفاف، وشيء آخر ينتظرهم هناك... الأفضل، طبعًا، أن يُنهي الأمر معها. فيكا أيضًا تخبر ديمكا، بأنها قد تشاجرت مع صديقتها، ما دام أن تلك أصبحت تحسدها على سعادتها. وسفيتا الخرافية بهناء سيطويها النسيان.

بيد أنه أخطأ التقدير بهذا الأمر، حدث كل شيء بشكل آخر تمامًا. عندما سمع أن سفيتا أصبحت حُرّة من الالتزامات إزاء ابن خالته، ابتهج ديمًا كله، سكب بفرح الشمبانيا في داخله ومرة ثانية عاد إلى الحديث مع سفيتا. بحرارة ناقشا فيلمًا ما، الذي لم يره أندريه، لكن حتّى لم يسمع باسمه.

- ديمون، أين خطيتك؟ - سأل أندريه بصوت عالٍ - لأمر ما لم نرها منذ مُدّة طويلة...

- أنتَ عما تتحدّث؟ - حدّق في ابن خالته بارتباك - اه، عن فيكا... هي هناك، مع دينا.

لوح بيده بصورة غير مُحددة إلى مكان ما في عمق القاعة ومرة ثانية عاد إلى سفيثا. كلا، هذا ببساطة الله وحده يعلم ما هو!

- سفيثانا، مُمكن دقيقة؟ - تكلم أندريه مِن بين أسنانه. ساحبًا المُمثلة إلى الأمام، بصرامة قال لها: ماذا تفعلين أنتِ، ها؟

- ما الأمر؟ - تطلعتُ سفيثانا إليه باندهاش - أنتَ أعطيتني بنفسك مهمة أن أتحدث كثيرًا مع ديما وأمتدح في الحديث صديقتي فيكا. أنا أفعل هذا فحسب. أوجد شيء غريب في الأمر؟

- مِن الطبيعي، يوجد! أنتِ، كما يبدو، نسيتِ، بأنني استأجرتك للتمثيل إزاء الجميع وقبيل كل شيء إزاء ديمون دور الفتاة الخاصة بي؟ - مهلاً - مهلاً! - أوقفته سفيثانا بحركة رشيقة بيدها - لا تُحيرني. ألم تعلن أنتِ للتو على مسامع الناس عن إنهاء علاقتنا؟ عن أيّ تمثيل دور فتاتك يمكن بعد هذا يدور الحديث؟

أندريه المُجبر أن يعترف، بأنه نفسه قد أخطأ بشدة، تمالك نفسه بقوة الإرادة وزمجر:

- مهمتك - أن تفعلي كل شيء، لكي يُقام حفل الخطبة، وبعد ذلك حفل زفاف ديما وفيكا. لم أطلب منك أن تنظري في عينيه وأن تغازلا. أفهمتِ؟ إذن اذهبي وافعلي ما قُلته لك. وإلا لن تحصيلي على كاييكا واحدة.

- حسنًا - هزتُ سفيثانا كتفيها العاريين الرائعين - أنا فهمتك.

وعادتُ مرةً أخرى إلى الطاولة.

راقبَ أندريه بسخط سفيثا وديمكا. حسنًا، من الطبيعي، لم يتغير شيء، هذا الأحمق على هذا النحو يستمر بالتحديق في سفيثكا، وكأنه لا يوجد شيء في العالم بالنسبة له. اقترب أندريه بحزم من ابن خالته وهَمَسَ في أذنه:

- اسمع، هذا حفل الخطبة لك ولفيكا! كف عن التحديق بسفيثا. أنت تقريبًا أصبحت مُتزوجًا. حان الوقت أن تقدّم لفيكا الخاتم. هذا، في نهاية المطاف، سيكون أمرًا قبيحًا...

بالضبط في هذه اللحظة اقترب منه النادل ماسكًا صينية. أخذ أندريه منه كأسين ووضع واحدًا منهما في يد ابن خالته. وذاك نظر إليه سطحياً، من جراء ذلك أدرك أندريه، بأن ديما لا يستمع له بوجه عام. ودميتري نفسه في أثناء ذلك أخذ من صينية النادل الكأس وبكل احترام، مُنحنيًا، قرع الكأس مع سفيثا، مُفترسًا إياها بعينه.

أولى الضيوف انتباهًا إليهم. بدأ الضيوف يتهايمسون، أحد ما يقهقه بصوت عالٍ. كان يجب أن ينقذ الموقف. وإلى أين هذه فيكا المشؤومة قد ذهبت؟ أجال أندريه بعينه بحثًا عنها ويا للفضاعة! رأى الفتاة ماسكةً في إحدى يديها ميكروفون أغنية مصحوبة بالكلمات وباليد الأخرى ماسكةً كأس الكونياك. كان واضحًا، بأن هذا لم يكن الكأس الأول لفيكا ولا حتّى الكأس الثاني. ارتعدت أوصال أندريه. ذهبت كل خطته أدراج الرياح.

كأن السخرية عليه، غنت فيكا، في تهور مُخطئة في الغناء ومُرتبكة في الكلمات: «... دُونك، يا حبيبي، الأرض ضئيلة، مثل جزيرة...» بعد

ذلك قذفت الميكروفون بتلك الحركة، التي تُلقِي بها راقصات التعري ثيابهن، واعتلت راقصةً على منصة البار تحت تصفيق عاصف وهتافات الاستهزاء المُفرحة للضيوف.

- ديمون، اصح! - صرخ أندريه. - انظر، ماذا تفعل خطيتك!

بعد صرخته أفاق ديمو في الحقيقة من ثمل سفيتا واندفع ليتنزع خطيئته من منصة البار، التي، بعد ابتهاج الضيوف، نوت أن تنعري. تصدّت فيكا بمجازفة، لكن الخطيب بدا أخف حركة وأقوى، ويمكن، هو ببساطة شرب قليلًا. بوجه عام، مهما كلف الأمر، يسر قد وضع حدًا لمحاولة التعري. تأوه الضيوف بصورة مُخيبة للأمل. لمساعدة دميتري ركضت دينا مُسرعةً عبر القاعة برمتها.

- ديمكا، دعني أهتم بها - قالت هي. خطت تجاهه - واصطدمت بسفيتا، التي أيضًا اقتربت من منصة البار. في لمحة التقت نظرات كلتا المرأتين. وعلى الرغم من ذلك سفيتلانا إلى هذه اللحظة لم تر أبدًا دينا ولم تسمع عنها شيئًا، هي حدثت، بأنه لم يكن من الأفضل أن يُسمح لهذه السيدة بالوصول لفিকা. أرادت حسب السيناريو بالتحديد، سفيتا تُعدّ أفضل صديقة للخطيبة. وطبقًا للدور، الذي تؤديه هي، بالتحديد يتوجب عليها أن تأتي أولاً لمُساعدة صديقتها.

- اتركوها، أنا سأقوم بهذا بنفسِي - نحت سفيتلانا جانبًا بشكل حازم المرأة الشقراء. طوّقت خصر فيكا الكافة عن المقاومة فجأة وجرتها إلى التواليت، في أثناء السير مُحدّثة إياها بتلك النبرة، التي وبخت بها جينكا في الطفولة: ماذا دهالك، يا صديقتي، ماذا تفعلين، ها؟

كم مرّة قلنا لك - لا يجوز الشرب بهذه الكمية... وكل شيء - كأنما نتحدث مع الحائط...

لحسن الحظ، في تلك اللحظة ظهر مُغنٌّ على خشبة القاعة بنظارات سوداء غامقة، لم يتذكر أندريه اسمه، مثل مُغنٍّ ما مشهور. تسلى الحضور، بدأوا بالتصفيق، بينما المُغني، مُنحنيًا، بدأ يغني شيئًا ما مُحزنًا وحماسيًا.

«وهذا أمر جيّد، ليملاً التوقف القصير»، - خطر في رأس أندريه. على كل حال، الآن ممكن أن يسترد أنفاسه وأن يُفكر في الوضع. في حقيقة القول، عوّل أندريه كثيرًا على سفيتا، التي ظهرت بشكل مُمتاز، في أشد الأوقات الحرجة تذكرت لأجل أيّ شيء تم استئجارها. يمكن، كل شيء سيمر بسلام. لعل سفيتلانا تُعيد فيكا إلى وضعها الطبيعي، وسيعود كل شيء إلى مجراه، الأصح، في مجرى السيناريو خاصّته.

وَدَيْما، كما يبدو، لم يحزن قط، لأن الخاتم بالألماس الوردي بحزن استمر في الرقود في جيب سترته. لم يُولِ اهتمامًا كبيرًا إلى مواعظ أندريه وفقط طوال الوقت تطلع نحو الباب.

أُقلق أندريه تصرف ابن خالته للغاية. ذهل ديمًا بشيء ما - اكتسب وجهه تعبيرًا إلهاميًا شاردًا، كأن إلهامًا رائعًا نزل عليه.

- بماذا تُفكر؟ - أعاقه أندريه - ماذا حدث معك؟

- لا أعرف... على الرّغم من ذلك، أعرف. ترى، يبدو لي، بأني أضعت كل هذا سدى.

- عم تتكلم أنت؟ - اهتَمَّ أندريه بصورة باردة، مع ذلك أدرك بصورة مُمتازة، ما يقصده ابن خالته.

- برأيي، أنا استعجلت بإقامة حفل الخطبة - أجابَ ديما جدًّا.

- كف عن ذلك، يا أخي! - ربت أندريه على كتفه - أي شكوك يمكن أن تكون؟ كل شيء اعتيادي. لديك ببساطة حالة هلع قبيل الزواج. يحدث...

- كلا طبعًا لا توجد لديّ أي حالة هلع. أنا أدركت ببساطة، بأن فيكا...

- ما بها فيكا؟ - قاطعه أندريه - أيضًا، كان يتعيّن عليّ أن أتحدّث بشيء ما! الفتاة شربت كثيرًا، مَنْ ذا الذي لا يشرب كثيرًا؟ لديها اليوم أيضًا يوم ليس بسيطًا، ها هي ذي جراء القلق لم تحتمل قواها. برأيي، هذا كلام فارغ، الذي لا يستوجب البتة أن نركز فيه جُل اهتمامنا.

- ليس الأمر في هذا، يا أندريوخا. أنا ببساطة، كما يبدو، لا أحب فيكا. بدا لي فقط، أنا أحب... وأنظر لسفيتا - ما إن تفتح عينيك. طبعًا، سفيتا تحدّثت عنها بالشيء الجيد فحسب - لكن هذا سرعان ما يصف سفيتا إيجابيًا، وليس فيكا. فيكا أبدًا لا تقول عن الناس الآخرين شيئًا ما طيبًا، في أيّ واحد تجد عيبًا ما. وسفيتا ليست مثلها أبدًا. الآن، أنت مع سفيتا قد انفصلتما، أنا أستطيع أن أخبرك بكل شيء... إن أردت الصراحة، سفيتا تعجبني كثيرًا.

- ماذا؟ سفيتكا؟! - جن جنون أندريه. - لكنك تراها لأول مرة في حياتك! ماذا علق بك منها؟

- لا أعلم، - هزّ ديمّا كتفيه، - هي مميزة بشيء ما. جميلة، ومفعمّة بالحياة، وشيقة... فيكا مقارنة بها ماذا؟ هكذا، ثرثرة غير بالغة، وضيقة الأفق بشيء ما... وفضلاً عن ذلك مُدمنة على معاقرة الخمر. انظر، إلى ماذا حوّلت حفل خطبتنا.

- لكن كما يبدو هي قد أعجبتك! وهي فتاة حسناء، وذكية، ولديها شهادة حمراء.

- أجل، الشهادة الحمراء... على الأغلب كسبتها من المكان ذاته. ذلك، بأنها بصورة مُمتازة تُمارس الجنس، ويعني بعد، بأن منها لا تحصل على زوجة اعتيادية. وعلى وجه العموم، لا أشعر بالراحة معها بطريقة ما، ليست في نفسي. توتر غير ملزم هذا طوال الوقت. أهكذا يحدث مع المرأة الحبيبة؟

أوماً أندريه، بصمت فحسب ردّ عليه، كأنه يقول، أفهم، وأشعر، بينما في داخله كل شيء غلى: «يا إلهي، يا له من أبله! بسببه وبسبب هذه الحمقاء كل شيء سيذهب إلى الجحيم! وكيف كان كل شيء قد ابتكر بصورة جيّدة! كم من القوى أنفقت على كل هذا! كلا، يتوجّب أن أفعل شيئاً ما...»

- سفيتكا، أنا أحبك ك! أنتِ صديقتي المفضلة... المفضلة! - تمتمت فيكا بصورة غير واضحة، بثقل مُعلقة على كتف سفيتا ومُحاولة أن تعانقها بشدة بصورة غير موثوقة.

- ابتعدي عني، أيتها الحمقاء - رفضتُ سفيتا- أنا أراكِ للمرّة الأولى في حياتي! وآمل في الحقيقة، أن تكون المرّة الأخيرة. استحمي بصورة أفضل، وعودي إلى رشدكِ! كما يبدو لديك حفل الخطبة...
- ليذهب إلى الشرّ شيطان حفل الخطبة... - تمتتُ فيكما بصورة ثملة، وقد اختلط كحل المسكرة بوجهها.

تأوهتُ سفيتلانا. وماذا تأمرون أن أفعل مع هذه الجميلة؟ بصراحة أود أن أضع رأسها تحت الصنبور. وكان من الأفضل لو حتّى في الحمام... لكن في هذا التواليت الصنابير هكذا وضعت على المغسلة بصورة مُنخفضة، تجعل الرأس لا يدخل إلى هناك على وجه الدقة...
- فيكما! - هي كما ينبغي رجّت الجسم الثمل - فيكما، اصحي! أنتِ كما يبدو تعيشين هنا؟

- م... ماذا؟

- أنا أقول، أنتِ كما يبدو تعيشين في هذا الفندق؟

- أجل...

- في أي غرفة، تذكرين؟

- هذه... خمس... خمسمائة...

- اللعنة، تذكرني بسرعة!

- خمسمائة... خمسمائة وستة وسبعون.

- هكذا، الآن أفضل، - ضحكتُ سفيتا- أين المفتاح؟

بدلاً عن الجواب أظهرت فيكا بطاقة الغرفة، التي بشكل خفي ما
ظهرت في يديها.

- إذن لنذهب إلى غرفتك - أمرت سفيتلانا بصورة حاسمة -
أيمكنك السير؟

- أ- أستطيع. أنا كل شيء أستطيع، - أكدت فيكا لها.

تعبت سفيتلانا للغاية، أوصلت هذه الحمقاء الثملة إلى المصعد في
البداية، وبعد ذلك إلى الغرفة. شكرت عمال الفندق الذين ساعدوها،
فضلاً عن ذلك فعلوا هذا بوجوه رزينة كهذه، بأن أصبح مضحكاً بالنسبة
لسفيتلانا. على أي حال، ما المضحك هنا؟ لا يتوجب الضحك، بل
أن تشكي لهؤلاء الناس - بالنسبة لها، سفيتا، هذه فرصة لمرة واحدة،
وبالنسبة لهم كل يوم بهذا الشكل يتوجب أن يتلهوا.

رافضة الطيب، الذي اقترحت المناوبة استدعاه بإصرار، دفعت
سفيتلانا فيكا إلى داخل الغرفة وهناك لم تعد تخجل منها، في الحقيقة
حشرت الرأس تحت صنوبر الماء البارد. وهذا الفعل قد ساعد. فيكا،
طبعاً، تدمرت ورفست، وبعد ذلك هدأت فجأة، أصبحت تقف أكثر
ثباتاً، غسلت بنفسها وأقبلت على تنشيف شعرها بالمنشفة.

- تسريحة خان (١٠٣) - بلا مبالاة قالت هي، مُمعنة النظر في
انعكاسها في المرأة - اسمعي، أنا قد خفت...

- يجب أن تشربي أقل، - أجابت سفيتا بصورة مُتعبة.

(١٠٣) تسريحة خان - تسريح البنات على شكل كعكة. (المترجم).

- لكن أنا لا أشرب كثيرًا هكذا... - هزّت فيكا كتفيها- ببساطة
أحد ما وضع لي الكونياك، وأنا بسببه أصبحت حمقاء...

خلعت الحذاء، مشتٌ حافية في الغرفة وارتمتُ على الكرسي.
- آه، شيء ما بالنسبة لي سيء...

- بصورة غير مُدهشة- ضحكتُ سفيثا- ماذا، هل تستطيعين
الوصول إلى المطعم؟

- أي أمر تافه أنا هناك قد نسيت؟

- كيف أقول لك... حفل الخطبة لديك هناك اليوم. مع دميتري
سالاب.

- ليذهب حفل الخطبة هذا في مؤخرتي... إنني أشعر بنفسي بشكل
سيء...

طرقوا الباب - هذه خادمة الغرف جاءت، كما طلبتُ سفيتلانا،
بقهوة ثقيلة. احتستُ فيكا القهوة ولم تفلح بعد أن أفرغت الفنجان،
وثبتُ وركضتُ إلى الحمام، من هناك سرعان ما صاتت أصواتاً قوية.
أغضتُ سفيتلانا بتقزز. لم يتوجّب عليها أن تؤدي دورًا كهذا أبدًا في
حياتها...

في الانتظار، وحتى تعود «الصديقة»، المرأة الشابة تطلعتُ في
الغرفة. خطيبات طغاة المال يعيشن على نحو فاخر، لا تقول شيئًا...

وأخيرًا عادتُ فيكا- شاحبة، شعناء الشعر، لكن تقريبًا صحتُ من
السكر. مُترنحةً، ولتُ بصعوبة إلى الفراش وسقطتُ على ظهرها.

- طيّب، أنتِ اضطجعي، بينما أنا سأذهب.
سفيتلانا كانت قد التفتت إلى الباب، لكن فيكا سرعان ما أوقفتها:
- كلا، يا سفيت، أنتِ... لا تذهبي! لا تركيني وحدي. أشعر في
الحقيقة بوضع سيئ تمامًا.

عندما تطلعت إلى الفتاة، اقتنعتُ سفيتا بصدق كامل لكلماتها-
بدتُ فيكا في الحقيقة بصورة مُخيفة. يمكن، عبثًا هي على الرغم من
ذلك رفضت استدعاء الطبيب. بعد، لا سمح الله، قد تسوء حالة الفتاة،
تشعر بآلم في القلب أو شيء ما آخر... في الحقيقة، لا يتوجب أن
تركها لوحدها، قد يحدث شيء ما.

- طيّب، وليكن هكذا، أنا سأجلس معكِ.
- إذن لندخن، أليس كذلك؟
- شكرًا، أنا لا أدخن - رفضتُ سفيتا - وَلَكِ، برأيي، لا يتوجب،
من جديد سيخرج قطارك عن القضبان.
- لا عليك! أنتِ انظري، ماذا لديّ - فتشتُ فيكا في حقيبتها
وسحبتُ منها سيجارة. - ها هي ذي، لفافة لا بأس بها... من الجيد أن
نتشي. لنسترخ، يا صديقتي...

- هل جُنتِ؟ ستكونين بوضع سيئ مرّة أخرى.
لكن فيكا، لم تستمع لها، دخنتُ ونفثتُ بعضًا من الدخان.
ابتعدتُ سفيتا عنها قدر الإمكان. لا يكفيها بعد أن تستنشق
هذه الحماقة! من الجيد بعد، بأنه فصل الصيف، مُمكن فتح جميع

نوافذ الغرفة لكي يمر تيار الهواء فيها. لكن من الأفضل أن يصل إلى مسامعهما في الغرفة صوت لعلعة السيارات في الشارع، من تحمّل رائحة الماريخوانا.

كما يبدو، اللقافة في الواقع «فعلت فعلتها بصورة جيّدة». بعد النفس الثالث أرغمت فيكا على الاعتراف.

- أتودين، أنا سأحدّث لك عن خطيبي؟ - اهتمت سفيكا. أو لا تودين، هو... يا له من أحمق!

- يا للغرابة، بينما بدا لي، بأنه اعتيادي كلياً، رجل لائق - اعترضت سفيتا - ليس كهذا أندريه، يا له من غامض. بينما ديما وديع جداً، ولطيف للغاية.

- لطيف - نعم - اتفقت فيكا - لكن مُعقد! اصطحبني إلى المتاحف والمسارح بدلاً أن يصطحبني إلى نادٍ ما، حسناً، أو إلى مكان اعتيادي ما. تحدّث عن الفن. وعندما اشترى بطاقة اشتراك المعهد الموسيقي، أنا فكرت أن أنتحر شنقاً. وجب عليّ أن أنفخ لترات من شراب القهوة، لكي لا أغرق هناك في النوم. من الجيّد، أن يفلح الأمر أحياناً بدعوتي للمطعم...

- على رسلك! ألم تتخرجي أنت من معهد الثقافة؟ أندريه روى لي، بأن لديك الشهادة الحمراء...

- نعم - نعم، يا لها من حمراء - رائع، - ضحكت فيكا مُستهزئةً.
- تذكرت، بأيّ اختصاص أنا قد حصلت عليها. يبدو، سمّوا الكلية

«إدارة مجال الثقافة...» وكلمات أخرى بعد. ويا له من اختصاص...

- لم أفهم؟ أنتِ اشتريتِ الشهادة، صحيح؟ - ضحكتُ سفيتا.

- لستُ أنا... المُتكفل بي قد اشتراها لي. كان مُتكفلاً جيّداً، كريماً. أنا لم أعش معه حتّى، بل هكذا... التقيتُ به. هُوَ كان كبيراً في السنّ، في الخمسين، لم يكن بحاجة بصورة خاصّة إلى الكثير. هكذا، بضع مرات في الأسبوع. وهُوَ أيضاً دفع أجور الدراسة. في المُقابل لم يتوجّب عليّ حضور المُحاضرات - بكل المواد حصلت على درجة الإعفاء. تخيلي، ذات مرّة كان يتعيّن عليّ أن أذهب إلى العمادة، أن أُلمي استمارة ما، وأنا درست خمس سنوات وَحَتّى لم أعرف، أين مكان هذه العمادة. ذهبتُ إلى هُناك مثل البلهاء، سألت الجميع...

ضحّتُ فيكا بضحكة عالية.

- يعني، أنتِ هذا... كيف يسمّونه؟.. سالا ب... لا تُحبيه؟ - عادتُ سفيتا إلى موضوعها الشيق.

- لا، ماذا دهالك! أنا أحب فوفكا.

- فوفكا - وَمن يكون هذا؟

- فوفكا - هذا الفتى خاصّتي. هُوَ مصور رائع! وبوجه عام هُوَ رائع، لكنه فقير تماماً. تصوري، يعيش في شقّة تسكنها أكثر من عائلة! - وما الشيء الغريب في الأمر؟ - هزّتُ سفيتا كتفها - لدينا في المدينة إلى الآن هذه الشقق مُمتلئة بالناس.

- تدرين، بماذا أنا فكرت؟- يا لفرح سفيتا، أطفأت فيكا اللفافة، بعد ذلك انقلبت على بطنها، ووضعت يدها تحت ذقنها وبدهاء نظرت إلى مُحادثتها. - ماذا، لو تزوّجت شخصًا غنيًا ما، وأعيش معه لبضعة أعوام، وبعد ذلك أنفصل وأنتزع منه أثناء الطلاق الكثير من الأموال التعويضية. وقتئذ أنا وفوفكا نستطيع أن نعيش معًا وبوجه عام ولن نعاني...

- يا لك من مخادعة، - ضحكت سفيتا. وكما يبدو لا زلت صغيرة.
- وما الأمر في هذا؟ أنا كما يبدو لست بنت أحد طغاة المال، الذي ينهال كل شيء عليه من السماء. ولست سيدة أعمال ساقطة، ولست امرأة من رواد المجالس الراقية - أنا فتاة اعتيادية من مدينة بيتير. والداي يكسبان القليل من المال يكفي لاثنتين - أيتوجب عليّ أيضًا أن أحيا حياة كهذه؟ كلا، لا أرغب حتّى أن أفكر بهذا! من ينعم مرّة بحياة مُعتبرة، لا يود أبدًا العودة إلى حياة الفقر المدقع. وأنا ما زلتُ فتاة صغيرة، جميلة، ذات هدف موجه الغرض. ماذا يتوجب عليّ أن أفعل؟ يتحتم عليّ أن أتخلص من هذا الشيء قدر الإمكان.

- وفوفكا خاصتك ألا يغضب، إذا أنتِ تزوّجتِ شخصًا آخر؟ -
اهتمت سفيتانا.

- مم يزعل؟ هو يعرف كل خُططي.

- ألا يعترض؟

- على العكس. مُوافق جدًّا.

- حسنًا، أنتم، الشباب، تفعلون ما لا يخطر على بال! - ضحكتُ
سفيتا. - لا تقولي شيئًا، علاقة عالية.

صمتتا، فكرتُ كل واحدة في أمرها. قالتُ سفيتا للأولى:

- ومع ذلك أنا إلى الآن لم أفهم، لماذا أستاذجرتني أندريه ؟ ما
الحاجة لكل هذه المهزلة مع الصديقة المزعومة؟

- اوي، لديهم كل شيء مُعقد للغاية... - لوحتُ فيكما بيدها- في
الحقيقة، كما يبدو أندريوشا هذا خطبني لديما...
- أهكذا حقًا؟

- بالتأكيد. تعرّفتُ عليه في بيتير، في شهر أيار/ مايو. أجلس في
الحانة، أرى - ماذا يحتاج الرجل. الملابس، الساعة، أنيق كهذا. ها هُوَ
ذا، أعتقد، هذا ما أحتاجه. حسنًا، التقينا في أماكن عديدة، بعدها ظهرْتُ
لديه في الغرفة. تضاجعنا، وبعد ذلك يقول - يوجد لدي ابن خالة، هُوَ
يود أن يتزوَّج... هُوَ، كما زعم، يبحث لنفسه عن زوجة فذة ما، وأنا
أناسب كل هذه المقاييس. جاء بي إلى موسكو، عرّفني على ديمكا.
وهنا، كما ترين، كل شيء قد انقلب...

- وهذا كل شيء؟ - سألتُ سفيتا بارتياح - أنتِ تتحفظين على
شيء ما، يا صديقتي...

- كلا، هذا كل شيء... على الرغم من ذلك كلا! - اختلجتُ
فيكما- هُوَ قال، بأن في حفل الزفاف سيهدي لي سهمين من شركتهما...
هُما، كأن لديهم أسهماً مدخرة. وأنا، ما إن احصل عليهما، في الحال

يجب عليّ أن أنقلهما إليه. ها هُوَ ذا، برأيي، بسبب هذه الأسهم قد فقد كل هذا. ما رأيك؟

- مُمكن، - أومأت سفيتا برأسها بصورة غير مُحدّدة.

- رغماً عني، لم تهمة الأموال هذه، وأنا أفشلتُ كل شيء... -
أكدتُ فيكا بحزن - ليس من المؤكد أن ديمكا بعد كل هذا الآن يود أن
يتزوّجني... على الرّغم من ذلك، من جانب آخر، يتوجّب عليه أن يفعل
هكذا!

- من؟ - لم تفهم سفيتا. - ديمكا؟

- كلا - أندريه! فكر لي أيضًا! بالبداية ضاجعني بنفسه، وبعد ذلك
قرر أن يضعني في طريق ابن خالته!
- مُمكن التفكير، قواك تكفيهما - ضحكتُ سفيتلانا. - ستفقدين
وعيك.

- لا، طبعًا... لكن بكل حال من الأحوال أمر مُحزن. - عادتُ فيكا
إلى الجانب، جالسةً على الوسادة، دسّت نفسها تحت الغطاء. - برأيك
- هل سيغفر لي ديمكا؟ - سألتُ هي بصوت ناعس. - فقط قل لي
بصراحة.

- إذا أردتِ الصراحة، فأعتقد، لا - أومأت سفيتلانا برأسها - أنا،
طبعًا، لا أعرفه تمامًا، لكن، برأيي، كلا، لن يغفر لك. هذه نصيحتي لك:
اتركي هذه القصة، وارجعي إلى بيتير وعيشي هناك بسعادة مع المصور
الفوتوغرافي خاصّتك.

- أصبح؟ - امتدت كلمات فيكا الناعسة بصورة مُستاءة. - عَلى
ماذا نعيش، إذا لم توجد نقود؟

- أنتِ جَرّبي أن تعملي، - مِن جديد ضحكتُ سفيثا. - تعرفين،
إنه يساعد للغاية...

هي أرادتُ أن تقول أمرًا ما لفيكا، لكن تلك قد نامتُ نومًا عميقًا،
مُلتفةً مثل معجنات الكالاتش في السرير الواسع الفاخر. كما يبدو،
اللفافة الممتزجة بالكونياك وَالشُمبانيا بدا مُنومًا ليس سيئًا.



الفصل الخامس عشر

تحول غير متوقع

دخلت سفيتلانا إلى الحمام، جمّلت نفسها ونزلت إلى المطعم. الحفل، من الطبيعي، قد انتهى منذ مُدّة طويلة، والضيوف قد تفرقوا. لم يكن حتّى ديمّا، فقط جلس أندرية إلى طاولة بعيدة، احتسى الويسكي وبعصبية كانت أصابعه تعبت بهاتف محمول ورديّ بغلاف حافظ مُرصع بقطع زجاجيّة بَرّاقة.

- ياله من ذوق رفيع، مع ذلك، لديك - سخرتُ سفيتا، مُقتربةً منه، وأومأت إلى الهاتف.

- هذا هاتف فيكا... - صَعَرَ خدّه. - هذه الحمقاء قد نسيتِه هنا.

واعترض فجأة بشدّة:

- اسمعي، أنتِ! أين اختفيتِ؟! وَلِمَ لا تُجيبين، أنا اتصلت بكِ؟!!

- هاتفي بقي هنا أيضًا. - أومأت سفيتلانا إلى حقيبة Chanel مُعلقة

بانفراد على ظهر الكرسي، التي اشتراها لها اليوم مُصمم تسريحات الشعر ستاسيك بطلب من أندرية في مركز تسوم.

- أين فيكا؟

- في عُرفتها، من الطبيعي، حيث يتوجب أن تكون؟ أنا أرجعتها إلى رشدها، أشربتها القهوة، وَرَقَدْتُ لتنام... غرقتُ في النوم من جراء السكر، يعني أخبر العريس السعيد، دعه بنفسه يعتني بجميلته. أنا فعلت كل شيء، قدر استطاعتي.

- هذا تُسمينه كل ما باستطاعتكِ؟ - رفع أندريه مرّة أخرى صوته - كان يتعيّن عليك أن تُضني نفسك، رغم ذلك تجريها إلى هنا!

- لماذا؟ - اندهشتُ سفيتلانا - أنتَ قد رأيَتها... لا أعتقد أنها تستطيع أن تكون هنا، لو أن حفل الخطبة سيقام... بالمناسبة، أنتَ يجب أن تخبرني، لمَ أنتَ هكذا مُهتم في ذلك، لأجل أن تلف ابن خالتك بهذه فيكا؟

- هذا ليس شأنكِ! - زعق أندريه في وجهها - يعني، هكذا، أصغي إلي. لن تحصلي أنتَ على أي أجور. أنتِ - شيء مقرف. وَلَسْتُ مُمثّلة، أنتِ لم تفعلي شيئاً مما عهدت به إليك، بل أفسدتِ فحسب كل شيء. يمكنك أن تذهبي إلى حيث يحلو لك.

شبّت نار في داخل سفيتا على وجه الدّقة. مثل كل شخص مُبدع، هي بصورة مؤلمة للغاية تقبّلت الآراء السلبية عن إمكاناتها المهنية. على هذا النحو حدث أن ضرب أندريه على وترها الحساس - لكنها لم تنوي أن تظهر هذا له بأيّ شكل من الأشكال.

مُستدعيةً النادل بهدوء، ابتسمتُ سفيتلانا بافتتان له وطلبتُ أن يجلب لها ماء معدنيّاً.

- اسمعوا، يا أندريه، لا يتحتم أن تلقي عليّ مزاجك السيئ- قالت هي بصوت هادئ، لكن مُتقلبةً إلى صيغة المُخاطبة «أنتم» بصورة ظاهرة. - أنتم بأنفسكم بصورة مُمتازة تدركون، بأن ليس لي ذنب بهذا. لم أختَر أنا فيكا خطيبة لابن خالتكم، لم أسكرها أنا، لم أفسد أنا حفل الخطبة. على العكس، أنا بكل الجهود أُوحيثُ بالثقة لدميتري، أيّ ذهب هي خطيبته. وَهُوَ حَتَّى أَصغى لكلماتي - لكن إلى ذلك الوقت فقط، لم يتوجّب بعد أن ينتزع ذهبه من منصة البار.

- بكل الأحوال أنتِ لن تحصلي على النقود، - دمدم لمُحدثته.
هَزَّتْ سفيتلانا كتفيها:

- أندريه، أيتوجّب عليكم أن تتشاجروا حتمًا معي؟ في الحقيقة، لا يستحق أن تفعلوا هذا. لا ترغمني على اتخاذ إجراءات صارمة.

- وأيّ إجراءات صارمة بعد؟ ماذا أنتِ بمقدوركِ أن تفعلي لي؟

- حسنًا، على سبيل المثال، أتصل على دميتري، هُوَ كما يبدو أعطاني بطاقة وفيها رقم هاتفه. وسأروي له قِصة تعارفكم مع فيكا...

في الحقيقة كانت مناورة خادعة. لم يعطها دميتري أي بطاقة، ببساطة لم يلحق. لكن لم يكن من الضروري على أندريه أن يعرف هذا تمامًا. أن هذا النمط يحاول أن يخدعها ويقيها دُون الأجر التي وعدَ بها، شكّت سفيتلانا منذ مُدّة طويلة. لكنها شعرت بنفسها مُحقة للغاية، مُعتبرة، ليس دونما سبب، بأنها بصدق قد عملت في هذا المساء الصعب، فقررت أن تُصارع حَتَّى النهاية.

وَكَمَا يَبْدُو، أَصَابَتْ ضَرْبَتَهَا الْهَدَفَ. حَمَلَقَ أُنْدَرِيه فِي عَيْنَيْهَا
وَلِبَعْضٍ مِنَ الْوَقْتِ صَمَتَ فِي انْدَهَاشٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ قَالَ بِسَخَطٍ:

- هَذِهِ الْحَقِيرَةُ قَدْ بَاحَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ؟ طَيِّبٌ، سَأَسْأَلُهَا!

- لَا يَتَوَجَّبُ - طَلَبْتُ سَفِينًا بِلَهْجَةٍ مُسَالِمَةٍ - لَا تَغْضَبْ مِنْهَا. هِيَ
هَكَذَا، مِثْلَمَا هِيَ، مَاذَا تَرِيدُ مِنْهَا؟ بَيْنَمَا أَنَا، مِنَ الْمُفْتَرَضِ، لَنْ أَتَّصِلَ بِأَيِّ
دِمِيتْرِي. لَمْ أَنَا بِحَاجَةٍ إِلَى هَذَا، حِينَمَا نَحُلُ الْآنَ عَلَى هَذَا النُّحُو كُلِّ
شَيْءٍ وَدَيًّا؟

اقْتَرَبَ النَّادِلُ، أَعْطَاهَا الْمَاءَ الْمَعْدَنِي، وَلَأُنْدَرِيه - وَجِبَةٌ وَيَسْكِي
أُخْرَى. أَخَذَ مِنْهُ كَأْسًا وَدَفْعَةً وَاحِدَةً أَفْرَغَ مَحْتَوَاهُ، عَلَى وَجْهِ الدَّقَّةِ لَمْ
يَكُنْ هَذَا نِسْبَةً كَحَوْلِ الْأَرْبَعِينَ بِالْمِائَةِ، بَلْ مَاءٌ عَادِي.
وَضَعَ أُنْدَرِيه الْكَأْسَ، هَا زًا بِرَأْسِهِ، مَسَحَ وَجْهَهُ بِكَفِهِ.

- بَر - ر!

عَادَ إِلَى سَفِينَتَا وَابْتَسَمَ شَاعِرًا بِالذَّنْبِ:

- اعْذِرْنِي. لَا أَعْرِفُ بِنَفْسِي، مَاذَا جَرَى لِي. جُنُنْتُ، مِثْلَ صَبِيٍّ،
صَرَخْتُ فِي وَجْهِكَ... حَتَّى مِنَ الْمُعِيبِ الْآنَ. طَبْعًا، أَنْتِ عَلَى حَقٍّ
- بَأَنَّ لَا عِلَاقَةَ لَكَ بِمَا حَدَثَ. أَنْتِ الْيَوْمَ طَوَالَ الْمَسَاءِ حَاولَتِ لِلْغَايَةِ
وَبَصَدَقَ أَنْ تَنَالِي الْأَجُورَ لِقَاءِ مَا عَمَلْتِهِ. هَا هُوَ ذَا، خَذِي. - مَدَّ أُنْدَرِيه
لَهَا مَظْرُوفًا أَسْوَدَ مُغْلَقًا.

سَفِينَتَا لَمْ تَفْضُضْهُ، خَبَلَتْ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا فِي الْمَطْعَمِ، عَلَى مَرَأَى النَّاسِ،

فقط بلطف تحسست محتواه عبر الورقة الشخينة ودست المظروف في الحقيبة.

- وماذا قد وعدتك بعد؟ - اهتم أندريه.

- الحاجيات، التي أرديها، والنقل إلى المطار. لديّ موعد الطائرة كما يبدو في الساعة السادسة صباحًا. وعلى فكرة، قد حان الوقت بسرعة لأغادر - ألقْتُ نظرة على الساعة الجديدة «Longines Prtsenc». - الحاجيات أردت أن أبقها، بينما إلى المطار، يمكنني، أن أذهب بنفسي. - كلا- كلا، ماذا دهاك! - اعترض أندريه - أنا بنفسني سأقلك، كما وعدتك. وطبعًا، الحاجيات يمكنك أن تحتفظي بها. الآن نحن معك سنجلس لوقت قليل بعد، ونشرب ونذهب.

- أريد أن أغير ملابسني... من غير المريح بطريقة ما أن أسافر في الطائرة بملابس الحفل من Lanvin وحذاء كعب عال ذي ارتفاع عشرة سنتيمترات، - ابتسمت سفيتلانا- يتعين أن يكون في سيارتك كيس أصلي من تسوم فيه حاجياتي - يمكنني أن آخذه بطريقة ما؟

- بالطبع! الآن سأصل بسيرغي، لكي يحضره - سحب أندريه هاتفه.

خلال نصف ساعة انطلقت بهما السيارة الفاخرة لأندريه كوليكون باتجاه المطار. جلست سفيتا، مُستلقية على المقعد الخلفي، وتفرّجت عبر النافذة على مناظر موسكو الليلية. كل وضعيتها عبرت بهدوء واسترخاء، لكن في داخل المرأة الشابة كان كل شيء لا يزال مُتوترًا.

أوحى الحَدَس لها، بأن هذا اليوم الصَّعب ليس من المؤكَّد أن ينتهي
بسهولة وبسكينة. من المُمكن جدًّا، أن النهاية لم تحن بعد.

جلس أندريه في المقعد الأمامي وعلى نحو دوري يلتفت، ناظرًا
إليها. كما يبدو، لم يبق من انفعاله أثر. الآن هو بقي في مزاج مُمتاز
وبصُورة واضحة بات مُستعدًّا للثرثرة.

- نعم، وماذا بعد، يا سفيت، نسيت أن أسألك... - من جديد التفت
وأولى لها بابتسامة عريضة. قولي، ماذا قالت لك فيكا عني؟ كان من
الشيق دائمًا بالنسبة لي، أنكن الفتيات، تتحدثن فيما بينكن عنا...
- لا شيء من هذا القبيل، - هزّت سفيتلانا رأسها.

- لا، على الرَّغم من ذلك؟ ترى ما...

- روت، كيف تعارفتما في بيتير. كيف كل شيء لديكما قد بدأ،
وبعد ذلك أنتَ عرضتَ عليها أن تخطبها لدميتري.

- وبعد؟

- ماذا «وبعد»؟

- وماذا قالت بعد ذلك؟

- وبعد؟ بعد ذلك هي جاءت إلى موسكو، والتقت بدميتري،
بدأتُ لديهما قصّة غرام، ووصل الأمر حتّى حفل الخِطبة...

- وهذا كل شيء؟ هي لم تقل لك شيئًا أكثر؟

- كلا. ماذا يتعيّن عليها أن تقول بعد؟

لم تفصح سفيتلانا عما في داخلها - في تلك اللحظة في الحقيقة
لم تذكر ثرثرة فيكا هناك عن سهمين ما. لم تتطرق لأمر كهذه بتاتاً.
- كلا بالطبع، لا شيء. هذا أنا هكذا... - ضحك أندريه وفجأة أمر
السائق: توقف هنا.

- لماذا؟ - اندهشتُ سفيتا. في تلك اللحظة مروا بمكان مقفر. من
جانب شارع امتد بخط ضيق مغروس بالأشجار، من جانب آخر لاحت
مبانٍ صناعية ما. - إلى المطار كما يبدو لا يزال الطريق بعيداً؟
- لا شيء، بالمقابل أنتِ قد وصلتِ! - ضحك أندريه بشر- هيا،
اخرجي من السيّارة!

- ما هذه الحيل بعد؟ أين نحن؟

- هناك، حيث المكان ذاته الذي تريدينه، أيتها المرأة الساقطة
الفاصلة! في لينينغراد! - الآن، حين لم يتظاهر أكثر، صَعَرَ وجهه من
الحق- أنتِ، أيتها الحقيرة، اعتقدتِ، بأن سيكون من السهل لكِ
أن تبزيني هكذا؟ أنا قد اعتقدتُ، بأنك في الحقيقة تعرفين شيئاً ما،
تفاخرتِ به؟ هيا اخرجي! تخرجين بنفسك أم تحتاجين إلى المساعدة؟
- حسناً، أيها الأحمق... تكلمتُ سفيتلانا من بين أسنانها. وأسرتُ
في نفسها، إنها مع ذلك لا تقدر تماماً أن تلعب في تلك الألعاب القاسية،
التي تُلقِيها لها الحياة. - سأخرج بنفسِي، فقط أعطني أغراضي.

- سيرغي، ارم لها حاجياتها المُستعملة - أمر أندريه السائق.

فتحَ ذاك صندوق السيّارة ودُون اعتناء وضعَ على حافة الطريق كيساً

مِنْ تَسْوِمٍ وَحَقِيقَةِ سَفَرٍ.

- جاو، أيتها الجميلة، آمل أن لا أراك أبداً! امشي في الشارع، هناك مكانك - رمى أندريه بصورة تهكمية في آخر الأمر، والسيارة اختفت، مومضة في العتمة بأضواء حمراء.

وقفت سفيتا لدقيقة في تبرد كامل مما حدث. الوقت المتأخر من الليل، بينما هي في منتصف غابة ما، في طريق ما ناء ولو حدها تماماً. من الجيد، لديها كل الأمور الضرورية - الوثائق، تذكرة الطائرة، والهاتف... والأجر. إذا، طبعاً، في المظروف حقيقة أموال، وليست «دُمية». مُتطلعة من باب الاحتياط، ألا يراقبها أحد ما، فضت سفيتلانا المظروف، ونظرت فيه وضحكت حتى، رغم وضعها البائس. في الداخل بدلاً عن الخمسة آلاف الموعودة بالدولار وضع فقط ألفين.

- ها هو ذا ابن الزنى، البخيل التعيس! وهُنا قد وفّر! - صاحت هي في الظلمة.

تحركت سفيتلانا على طول الطريق، جامعة أغراضها، مُتطلعة في كل دقيقة بصورة مذعورة. خرجت إلى مكان مضاء، وآملت أن لا يكون مُخيفاً للغاية، وقفت تحت عمود الإنارة رافعة يدها، أخذت توقف سيارة عابرة. لكن لم تكن محظوظة. مرت بسرعة سيارات قليلة بجانبها، غير متوقفة. كما يبدو، السائقون يعتبرون المرأة الوحيدة، التي تُحاول أن تعثر على سيارة في وقت كهذا، هي مومس عبر الطريق «تخدم سائقي شاحنات النقل» ولا يودون أن يُعاشروها.

على هذا النحو مرت أربعون دقيقة. نظرت سفيتا بياس على الأغلب

إلى ساعتها - اقترب وقت إقلاع طائرتها. لم تكن على بينة، بأنها توجد في مكان بعيد عن المطار، لكن شكّت، بأن الطريق رغم ذلك يستغرق وقتاً ما - ولم يكن الوقت كافياً. في تلك اللحظة، حين كانوا يعلنون عن انتهاء التسجيل على الرحلة، كانت تجلس على حقيبة السفر خاصتها وبمرارة كانت تبكي. لماذا، لماذا هي غير محظوظة هكذا في حياتها طوال الوقت؟

- هبي، يا بنت، ماذا حدث لك؟ - فجأة سُمع صوت رجالي مُتعاطف.

رفعت سفيتلانا رأسها ورأت أن في الجهة الأخرى للطريق، باتجاه حركة سير المدينة، توقفت سيارة مُهترئة نوع «غازيل»، التي أطل من نافذتها رأس سائق مُسنّ. التقطت سفيتلانا أغراضها واندفعت راکضةً تجاه السيارة.

- أجل، حدث... يتوجّب عليّ الذهاب بسرعة إلى المطار. أتوصلوني؟

- إلى مطار «شيريميتيفو»؟.. أوما السائق برأسه باضطراب - لا، يا عزيزتي، لا أستطيع بأيّ حال. إنه بعيد، وليس على طريقي، ليس باستطاعتي العودة. دعيني من الأفضل أن أوصلك إلى مدينة خيمكي، ومن هناك يصبح طريق المطار قريباً. وأنتِ هناك تجلسين في الحافلة أو في سيارة نقل ركاب صغيرة.

- لكن يتوجّب عليّ أن أذهب إلى المطار! سأدفع لكم! - دستُ سفيتلانا يدها بحثاً عن محفظة النقود، لكي تنظر، كم من النقود لديها

في عملة الروبل، وبصورة غير مُتوقعة اكتشفتُ في الحقيقة بطاقة فندق «Ritz Carlton» التي أعطاها إياها مُنسق العمل في الفندق.

«ولِيحدث ما يحدث، - فكرتُ هي- بكل الأحوال قد تأخرتُ على الطائرة... سأمضي ليلة واحدة، هُم وعدوا بخصم كبير... أنام نومًا كافيًا، مثل شخص سعيد، وغدًا من الصباح أُغيّر التذكرة ومُحتمل أن أكون في المساء بالبيت. يتعيّن عليّ فقط أن لا أنسى أن أتصل بأمي وجينكا، لكي لا يقلقا».

- حسنًا، قد أقنعتُموني - ابتسمتُ للسائق - لنذهب إلى موسكو!
ما إن دخلتُ إلى حُجرة السيّارة، أدركتُ سفيتلانا فجأة، بأن الليل تدريجيًا يسير نحو نهايته، الظلام حولها لا يبدو داميًا كهذا. كما يقول المثل على وجه الدّقة - الوقت الأكثر عتمةً لليوم يكون قبيل طلوع الفجر.

جلستُ سفيتلانا على المقعد، ووضعتُ بجانبها حقيبة السفر الخاصّة بها وعندما ألقت نظرة عليها، أدركتُ أن ثمة أمر ما غريب. كان عليها مُسبقًا، حين لا زالت موجودة في الطريق، ظهرتُ الحقيقة بصورة ما ليست كذلك - الجلد رقيق للغاية، الحزام والمقبض لين للغاية. والآن فتحتُ الحقيبة واندeshتُ تمامًا - هذه الحقيقة في الحقيقة لم تكن حقيبتها المُقلدة الرثة «Made in China»، بل أصلية من ماركة لوي فيتون، حقيبة أندريه التي ابتاعها لقاء بضعة يورو هات. يا للدهشة، على وجه الدّقة، كانت لديهما حقيبتان مُشابهتان، والسائق أخطأ بالأمّعة. ها هي ذي كانت الهدية الحقيقية للقدر! مُبددةً جميع الشكوك،

نظرتُ سفيتا بجرأة في محتوى اللقبة غير المُتوقعة. في داخلها، بجانب الأغراض ملف سميك بمستندات، وجدتُ محفظة جلدية أنيقة من Armani تحوي مجموعة مُتنوعة من البطاقات، وبطاقات ائتمانية وكمية لا يُستهان بها من المال. ناظرةً لكل هذا، أخذتُ سفيتكا تُصَفّر هكذا. ها هُوَ ذا في الحقيقة التحوّل غير المُتوقع... يجب فحسب أن تفكر بصورةٍ حسنةٍ، ماذا تفعل بكل هذا فيما بعد. الأمر الأوّل أطفأتُ سفيتا هاتفها. لن يكون في صالحها تمامًا أن يكون الوصول لها تفها سهلاً. ماما وجينكا بكل الأحوال لا يزالان نائمين، وستتصل بهما فيما بعد. لم تكن لدى سفيتلانا أي رغبة بالتحدّث مع أندريه عن الاستبدال الظاهر للحقائب.

دخلتُ إلى الفُندق مثل ملكة، شاعرةً بنفسها على وجه الدقة على خشبة المسرح، وفي الحال أبرزتُ في استقبال الفُندق بطاقة الخصم خاصّتها. ألقى موظف قسم الاستقبال المُناوب نظرة دهشة على المرأة التي تردي بصورةً مُتواضعة للغاية الحاملة في يديها بطاقة زبون VIP واهتمَّ بماذا يخدمها. قالتُ سفيتلانا بوقار، بأنها تود أن تنزل في الفُندق لبضعة أيام. ودون تأخير خصصوا لها غرفة، التي كلفتُ في الواقع مبلغًا زهيدًا.

تفرّجتُ في الغرفة على المظهر الداخلي الفاخر، رتبتُ نفسها، وبأدئةٍ بوضع الأغراض في أمكنةٍ مُختلفة، أدركتُ، أنه، عدا ثوب الحفل، الذي اشتراه لها مُصمم تسريحات الشعر ستاسيك بأموال أندريه، لا يوجد لديها ملابس، تناسب هذا الفُندق. السير بأمكنة كهذه

بينطال عتيق وفانلة رخيصة كان أكبر من شكل أخرق. كان يجب أن تحل هذه المشكلة، وفي الحال.

اتصلت على المناوب واهتمت بسؤاله عن وجود متجر قريب لبيع الملابس. بضعة متاجر ليست كبيرة وجدت في الفندق نفسه، وأكد لها موظف قسم الاستقبال في الفندق بعد، بأن في الجانب توجد العديد من المتاجر الخاصة بالموضة، التي تعمل ليل نهار.

لم تكن ترددات سفيتا طويلة كلياً: البوتيكات والمتاجر، من الطبيعي، استحققت زيارتها. قررت ألا تلمس أجورها في المظروف الأسود، هذه الأموال، قد كسبتها بصدق، وأضيفت لأجور تصوير المشاهد وخصصتها لعائلتها. مُفكرةً، أضافت سفيتا له بعد ثلاثة آلاف دولار، التي أعطاهها هذا الشحيح أقل مما يلزم، وخبات المظروف للمستقبل. وما هي ذي الأموال الكثيرة المحصلة دون جهد، من محفظة نقود ومن بطاقة أندريه، ببساطة كان من الإثم ألا تنفقها. في نهاية المطاف، هو استحق هذا الانتقام النسوي الصغير، عندما طرد سفيتلانا من سيارته في قارعة الطريق خارج المدينة.

استغرق التسوق أكثر من ساعة، لكنه منح سفيتلانا شعوراً بالارتياح. أهذا كثير على المرأة لكي تشعر بالسعادة؟ بضع حاجيات جميلة فحسب والثقة في اختيارها الدامغ الحقيقي.

حين أقفلت سفيتا راجعة إلى الفندق، كانت قرابة الساعة السابعة صباحاً ومنذ مدة طويلة قد انبلج النهار. الآن فقط شعرت بإعياء شديد - كما يبدو هذه كانت الليلة الثانية التي سهرتها على التوالي. يوم أمس

كان التصوير، واليوم هذه القِصة... في أثناء هذا الشكل للحياة لا تكفي أي صحة. كلا، النوم، النوم، النوم بسرعة! مُستحمةً على جناح السرعة، هوتُ سفيتلانا على الفراش وخلال دقائق نامت نومًا هائلاً.

بدا لها، بأن وضعًا كهذا يتعين عليها أن تنام على الأقل يومًا كاملاً. لكن لم يحدث شيء من هذا القبيل. عندما فتحت عينيها، شعرتُ سفيتلانا بنفسها نشيطة بصورة مُطلقة وكانت قد نامت نومًا كافيًا. بيد أنها كانت جائعة للغاية. في هذه الأثناء كانت الساعة تُشير إلى الحادية عشرة والنصف.

«الوقت ذاته لفظور جيد!» - قررتُ سفيتلانا، ناهضةً من الفراش. العمل الأول شغلتُ الهاتف، اتصلتُ بالمنزل وتحدثتُ مع أمها وابنها، وأقنعتُهما بأن كل شيء على ما يرام معها، حتى على العكس، كل شيء ببساطة مُمتاز، حدث أن وجدتُ صدفةً عملاً جيّداً جديداً، هي على وجه السرعة ستتدبر كل شيء وتأتي إلى البيت. ضاغطةً على زر إنهاء المكالمات، أغلقتُ سفيتلانا من جديد الهاتف ووضعتَه على الطاولة القريبة من السرير.

بعد ذلك خرجت المرأة الشابة من الغرفة ونزلت بالمصعد إلى الصالة، ناريةً أن تتجه إلى المطعم. بصورة غير مُتوقعة عند منصة استقبال الفندق رأتُ ديمًا.

دميتري لاحظها أيضًا وهُنا اندفع نحوها. مُتحكمًا بردة فعله، هو كان ببساطة سعيدًا برؤية سفيتلانا.

- مرحبًا! تدرين - في الحال بدأ هو في الشرح، حتى غير مُلاحظ،

بأنه توجه إليها بضمير المُخاطبة «أنتِ»، - أنا جئت للحديث مع فيكا. لم أستطع يوم أمس أن أبقى هنا، حدث كل شيء بصورة سخيفة... وَمِنْ الْمُخْجَلِ أَمَامَ الضُّيُوفِ...

هنا دب في ذاكرته حفل يوم أمس، بالأصح، نهايته - نظرات سُخرية، ملاحظات خبيثة، إلحاح دينا، التي تاقَتْ عَلَى هذا النحو أن تتسلى به، بأن بالكاد أفلح بالتخلص منها. أخذ دميتري نفسًا وأكمل:

- بوجه عام، أنا ببساطة اختفيت. وبما يخص فيكا قررت، دعها تستيقظ، وبعد ذلك أنا سأتحَدَّث معها. الأمر في ذلك، بأن حفل خطبتنا هكذا يُسمَّى، برأيي، كان خطأ...

ردًّا عَلَى كلامه صمَتْ سفيتا وهزَتْ كتفيها، كأنها تقول، حلوا بأنفسكم هذه المُشكلة الحساسة، ولا يتوجَّب حشر شخص غريب بهذا الأمر.

- كيف حال فيكا هناك؟ - سألتُ بصورة قلق، مُتذكِّرةً الخليط الجهنمي للفاقة المُخدِّرات والكحول، التي أضنْتُ خطيبة دима أمس. بالأحرى، الخطيبة غير القائمة. لم تستطع سفيتلانا أن لا تُشير في نفسها، بأن هذه الحقيقة أفرحتها بصورة رائعة. كان دميتري لطيفًا جدًّا بالنسبة لها، بدا لها شخصًا لطيفًا ووديعًا - خلافًا لفيكا، التي في سنِّها العشرين وبضع سنوات كانت امرأة ساقطة ذات خبرة وجشعة.

- لا أدري - أجابَ دима - أنا لم أرها بعد، فقط سأذهب إليها. يمكن، نحنُ ننظر معًا؟ - طلبَ هُوَ بصورة حزينة نوعًا ما، ومظهره كان عند ذلك مؤثرًا هكذا، ولم تستطع سفيتلانا أن ترفض. لا سيما بأن

دميتري إلى الآن عدها أفضل صديقة لخطيبته. خطيبته السابقة.

صعدا إلى الطابق المطلوب ودخلا إلى الغرفة. لا يجوز القول، بأن النظرة المتمثلة لهما للوضع قد أفرحت سفينتا وديما، وسرعان ما أحدثت انطباعاً قوياً. كانت نُفايات شتى منشورة بكل أرجاء الغرفة - أوراق ما، أغلفة، أكياس مُمزقة لشركة. في وسط الطاولة بوضوح وقفت تقريباً قنينة فارغة لشراب الكونياك، المُحاطة بدبق بني. الأكثر إثارة للشفقة بدا الفراش الفاخر. كان مُمكن أن تعتقد، بأن مخلوقات وحشية هائجة ما قد مارست الحبّ عليه بعنف، على هذا النحو كان الفراش مخربطاً مُبعثراً ومُدعكاً. لكن الأمر الأكثر حُزناً تلخص في ذلك، عندما تطلعا إلى الفراش، بيسر كان مُمكن رؤية قائمة طعام العشاء الاحتفالي ليوم أمس. في الحقيقة، يوم أمس رائحة هذه المأكولات الفاخرة كانت شهيةً.

- من أين جاءت فحسب؟ - قال ديما باندهاش، مُشيرًا بهدوء إلى القنينة المتلاثلة.

- وأين هي نفسها؟ - سألت سفينتا بصُورة قلقة، مُتطلعةً في الغرفة بحثاً عن فيكا.

بدل الجواب أشار ديما إلى رسالة، التي بالضبط أسندت إلى القنينة:
- الآن سنعرف.

أخذ الوريقة وقرأ بصوت مسموع:

«وداعاً، يا ديما! سامحني! أنتَ شخص رائع، لكنني أحب شخصاً

آخر وسأعود إليه في بيتير. انقل سلامي لسفيتا!ف».

عندما وضع دميتري الرسالة، تنفس الصعداء - كل شيء قد حل بنفسه، دُون فضائح، دُون تفسيرات هستيرية وعتاب مُر. نظر إلى سفيتا واقترح أن يُغادرا الغرفة - والمرأة الشابة وافقت بسرور.

- ماذا أنتِ تنوين أن تفعلي في الوقت القادم؟ - اهتمّ هو، حين ظهرها في الممر.

- بوجه عام إزاء ذلك، حين التقيتك، كُنْتُ ذاهبة لتناول وجبة الفطور.

- فكرة مُمتازة! - فرح دميتري - أنا أيضًا أودُّ الآن بسرور أن أتناول الطعام. أأنذهب؟ أنا أعرف مكانًا في شارع ميسنيتسكايا...
- أخشى، أنا ببساطة أن لا أصل حتَّى إلى ميسنيتسكايا، - ضحكت سفيتلانا في ردّها.

- لماذا؟ هذا ليس بعيدًا مِن هُنا.

- بكل الأحوال. أاعترف، أنا أريد أن أكل للغاية، وكما يبدو، في أي لحظة يمكن أن أموت مِن الجوع. مُمكن، أن نأكل في مكان ما أقرب، ما رأيك؟

- حسنًا، طبعًا! أنتِ مُحققة للغاية، لم علينا أن نذهب إلى مكان ما، حين هُنا الفندق مُمتلئ بالحانات والمطاعم؟ انتظري لحظة، أنا فقط سأدفع أجر غرفة فيكا - وسأكون تحت أمرك كليًا.

كانت حانة صغيرة تقريبًا فارغة في هذه السّاعة الباكّة، قد أرضتهما

كليهما. حين دخلا، تطلّع الزوار القليلون إلى سفيتا، وهي على نحو ملحوظ ابتسمت بتأثير واضح. ومع ذلك، كما يبدو، لم تخطئ بانتقاء هذه الفانلة النسائية القصيرة، والأفراط تناسب لونها.

ديما، بصراحة، لم يلحظ تمامًا كل هذه التفاصيل المزعومة لملابسها. ببساطة تعجبه هذه المرأة كثيرًا. كان فيها إغراء كهذا، بأنه بالضبط قد ذاب بها، على طول عموده الفقري سرت قشعيرة مُدغدغة وهاج الخيال هنا حتى أقصى الحدود.

جالسين إلى طاولة في الزاوية، طلب ديما وسفيتانا فطورًا مُشبعًا وأصبحا يستمتعان بالأكل وبالحديث فيما بينهما. تحدثا هكذا، وكأنهما يعرفان بعضهما البعض منذ مائة عام، لم يريا ببساطة بعضهما البعض منذ مُدة طويلة. وها هو ذا أخيرًا اللقاء قد جرى وممكن أن يستمتعا بالحديث كشخصين مُتفاهمين كليًا. طلب ديمتري من النادل أن يخفض الموسيقى كي لا يعيقه شيء عن الحديث مع سفيتا. هو اغتبط وذاب، وبالنسبة لسفيتانا أعجبها هذا الرجل غير المُتمرس على هذا النحو في الأمور الحياتية أكبر وأكبر بصورة مُنافية للعقل، لكنه لطيف للغاية وفاتن. أفضيا بكل شيء لبعضهما البعض عن نفسيهما، عن ماضيهما، فرحا، حين وجدا فيه شيئًا ما مُشتركا، اندهشا، حين اكتشفا، بأنهما يدركان بصورة مُختلفة، كما بدت، حقائق بينة.

- قولي لي، من فضلك - قلنا قليلًا ومُرتبكا، اهتم ديما: هل أنت مُتزوجة؟

- كلا، أنا منذ مُدة طويلة قد تطلقت، - باختصار أجابت سفيتا.

وَسَاكْتَةً، أَضَافَتْ: لَكِنْ لَدِي ابْنٌ. جِينِكَا...

- يَا لَهُ مِنْ أَمْرٍ رَائِعٍ! وَكَمْ عَمْرُهُ؟

- مِنْذُ مُدَّةٍ وَجِيزَةٍ بَلَغَ الثَّامِنَةَ.

- أَوْه، هُوَ بَالِغٌ تَمَامًا...

- مَاذَا دِهَاكَ، أَيُّ بَالِغٍ هُوَ...

بَدَأْتُ سَفِيْتَلَانَا بِنَفْسِهَا فَجَاءَتْ تَتَحَدَّثُ لَهُ عَنْ جِينِكَا، الَّذِي لَحَقْتُ
أَنْ تَتَشَاتِقَ إِلَيْهِ كَثِيرًا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا لَمْ تَرَهُ لِبَضْعَةِ أَيَّامٍ وَتَحَدَّثَتْ
مَعَهُ لِلتَّوَّ بِالْهَاتِفِ. اسْتَمَعَ دِيمَا لَهَا، غَيْرَ مُقَاطِعٍ إِيَّاهَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَشَارَ،
بَأَنَّهُ دَائِمًا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِ أَطْفَالٌ، خَاصَّةً ابْنٌ. مَلَّ بِصُورَةِ فَطِيْعَةِ حَيَاةِ
الْعَزُوبَةِ. شَرَعَ بِكُلِّ هَذِهِ الْفَوْضَى بِحِفْلِ الْخُطْبَةِ بِصُورَةٍ اسْتِثْنَائِيَّةٍ لِأَجْلِ
الْحَيَاةِ الْعَائِلِيَّةِ. وَهِيَ هُوَ ذَا الْآنَ كُلُّ شَيْءٍ قَدْ انْهَارَ. هُوَ اقْتَنَعَ كَلِيًّا، أَنَّ
فِيكَ لَيْسَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ تَمَامًا، الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا. هُوَ اخْتَارَهَا، مِثْلَ سَلْعَةٍ
جَيِّدَةٍ، ذَاتِ جُودَةٍ فِي مَتَجَرٍّ، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا.

ابْتَسَمَتْ سَفِيْتَا بَمَرَارَةٍ وَاعْتَرَفَتْ، بِأَنَّ لَدَيْهَا تَجْرِبَةٌ مُحْزَنَةٌ لِعَلَّاقَاتِ
مُشَابِهَةٍ.

- زَوْجِي السَّابِقُ أَيْضًا أَرَادَ أَنْ يَرَى فِيَّ فَقْطَ دُؤْمِيَّةٍ جَمِيلَةٍ. وَبِصُورَةٍ
مُفْزَعَةٍ كَانَ قَدْ خَابَ أَمَلُهُ، فِي حِينٍ أَنَا ظَهَرْتُ كَشَخْصٍ مَفْعَمٍ بِالْحَيَاةِ،
بَاهْتِمَامَاتِي وَأَمْنِيَاتِي...

- نَعَمْ، - بِصُورَةٍ مُتَأَمِّلَةٍ أَوْمًا دِيمَا- يَتَوَجَّبُ عَلَيْكَ الْبَحْثُ عَنْ
إِنْسَانِكَ؟ الْقَلْبُ يُوْحِي، أَنَّهُ يَظْهَرُ بِالْقُرْبِ مِنْكَ. نَظَرُ إِلَى سَفِيْتَا نَظْرَةً

ذات مغزى. وهي ابتسمت وَنظرتْ إلى الاتجاه الآخر.

في زاوية الحانة على خشبة مسرح ليست كبيرة يقف بيانو. بصورة غير مُتوقعة نهضتْ سفيتا وَاتجهتْ نحوه. خلال لحظة تدفقتْ من تحت أصابعها أصوات متواصلة لفالس من مقطوعة سفيريّداڤ^(١٠٤) «العاصفة الثلجية». ديما كان مُندهشًا: صدحتْ واحدة من الألحان المحبوبة بالنسبة إليه. هُوَ بطريقة ما وضع فيكا محلها، بيد أن ذلك لا يحدث انطباعًا صغيرًا. بينما سفيتا بشكل غامض أحستْ بكل شيء وَحزرتْ تمامًا.

كلا، هذا في الحقيقة علامة القدر، الذي يتحدّث عن ذلك، بأنهما خُلقا لبعضهما البعض!

عندما خرجا من الحانة، ارتبك ديما، غير عارف، كيف يتصرف فيما بعد. لكن سفيتانا بسهولة حلتْ هذه المُشكلة.

- أيمكن، أن تعرج عليّ؟ - اقترحتْ هي.

أيتوجّب التوضيح، بأنها احتاجتْ إلى وقت طويل لإقناع دميتري؟ بهذه الصورة، الرجل والمرأة، اللذان سرعان ما أدركا أن أحدهما يُعجب بالآخر، اكتشفا أن لديهما الكثير من الأمور المُشتركة، اللذان، في نهاية الأمر، لم يكونا شُبانًا ساذجين عديمي خبرة، بل شخصين،

(١٠٤) غيورغي فاستيلفيتش سفيريّداڤ (وُلِدَ في فاتيش التابعة لمقاطعة كورسك ٣ [١٦] كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٥ وتوفي في موسكو ٦ كانون الثاني ١٩٩٨) - موسيقار، عازف بيانو، شخصية اجتماعية سوفيتية. حاز جائزة لينين (١٩٦٠). فنان الشعب (١٩٧٠). بطل العمل الاجتماعي (١٩٦٨، ١٩٨٠). حاز جائزة الدولة الروسية (١٩٩٤). (المُترجم).

الذين رأيا في هذه الحياة الكثير، ها هما الآن قد ظهرا في غرفة واحدة. مُمكن أن تتخيل، ما الذي حدث بينهما. لم يحدث أمر جيّد كهذا لا لديما، ولا لسفيتا أبداً. على كل حال، حين فتحا أحضانهما أخيراً، فكليهما لم يشكّ أبداً على الإطلاق، بأنهما لم يكونا يُحبان بعضهما بصدق فحسب، بل كان مُقدراً أن يكونا معاً من الله. والأكثر من ذلك، هما كانا واثقين، بأنهما ببساطة خُلقا للحياة المُشتركة - من الطبيعي، حياة - طويلة وسعيدة.

في الحقيقة، حياتهما المُشتركة، الطويلة والسعيدة - قد بدأت. بعد الغزل الرقيق والواضح لكليهما ديما بتأوه قد شغل بالكاد هاتفه، الذي سبب نغمته في الحال صوتاً مُزعجاً.

- حقاً؟ - هتف هو في سماعه الهاتف، بلا رغبة كبيرة مُبتعداً عن سفيتلانا. - تبا، وأنا قد نسيت... في أيّ وقت؟ والآن كم الوقت؟ أحيان الوقت؟ يا ترى؟ طيّب... نعم، جيّد، جيّد... سأحضر.

مُنهيّاً الحديث، عاد إلى حبيبته وقال بأسف كبير:

- تعرفين، غاب ذلك عن ذهني تماماً، بأن اليوم في السّاعة الثالثة حددوا لي لقاء عمل. هذا مُهم جدّاً، لكن، لحسن الحظّ، سأغيب عنك لمُدّة قصيرة. لا أودُّ أن أفترق عنك، لكن العمل عمل... أنتِ كما يبدو ستنتظريني، أليس كذلك؟ لا تختفي، مثل حلم جميل.

- لن أختفي، - أكدت سفيتا بجذّ كامل.

- أعديني؟ - مرّة أخرى ضمّها إليه وقبّلها.

- أجل...-

أخيرًا ديمًا مع ذلك غادر، مؤكدًا بوعده قاطع، بأنه سيعود في الحال، حالما يُنهي العمل. مُشيعَةً إياه، سفيتا كانت لا تزال تنعم قليلًا بنعاس هانيء، بعد ذلك نهضت، قررت أن تستحم وآليًا نظرت في حقيبة أندريه. بعد ذلك، ما حدث لها مع ديمًا، قد أنسى سفيتلانا تمامًا الحاجيات المخلوطة. والآن، ما دام أنه لا مفر بكل الأحوال من فعل شيء، قررت أن تتفحص أمتعة أندريه بصورة أفضل. سحبت الملف، فتحته، وألقت نظرة سريعة في الوثيقة الأولى، والثانية... وفجأة همهمت، مُعبرةً عن الأسف، تأملت لوقت قصير، بعد ذلك بدأت تُطالع الأوراق باهتمام أكبر.

لفترة من الوقت، حين كانت سفيتلانا لا تزال مُتزوَّجة وجلست في البيت مع جينكا الصغير، هي من جراء الضجر أنهت محاضرات مُساعدي كاتب العدل، وبدأت تُطالع مُستندات شركة زوجها وتعلمت أن تتدبر هذه المسألة نوعًا ما. بالتالي الآن هي أدركت نوعًا ما، جوهر المسألة، وبالتالي مجموعة الوثائق في ملف أندريه أربكتها كثيرًا.

اكتشفت في داخله شهادتين لأسهم شركة «ام كا اي»، بنسبة واحد بالمائة لكل واحدة منهما، وإضافة إليهما - تصديق كاتب العدل، بأن لا أندريه كوليكوف، ولا دميتري سالاب يمتلكان شيئًا إزاء نقل هذين السهمين لشخص ثالث ما. تبع بعد ذلك وثيقة أصلية، التي تؤكد تأسيس شركة «ام كا اي» في عام ١٩٩٣ بشروط الحصص المُتساوية للملكية لكلا المؤسسين، لهذين، كوليكوف وسالاب، حصة الملكية التي

تتألف من تسعة وأربعين بالمائة لكل واحد. وأتم هذا الاختيار لأمر شيق للغاية - بضع أوراق مطبوعة دُون توقيع وأختام، كما يدو، مسودات لمُستندات مُستقبلية، مثلما خَمَّنتُ سفيتلانا. الورقة الأولى تمثل هبة لهذين السهمين، المنسوخة باسم فيكتوريا اوليغوفنا كورابليفا. الورقة الثانية بدتْ هبة أيضًا، وطَبَّقًا لها، فيكتوريا اوليغوفنا كورابليفا نقلتْ بلا مُقابل ما تملكه من أسهم شركة «ام كا اي» لأندريه كوليكوف. ومن الثالث، الأكثر سمكًا، المسودة أصبحت واضحة، بأن أندريه كوليكوف ذاته، مالك الحصة المهيمنة لأسهم شركة «ام كا اي» (واحد وخمسون بالمائة)، تلخص بصفقة تجارية مع سيد ما، معروف اسمه لسفيتا، الذي يعيش في بيتربورغ، كان معروفًا بصورة جيّدة جدًّا. حدث، بأن أندريه كوليكوف سيبيع للموظف الحكومي شركته لقاء ثلاثمائة مليون دولار. لقب سالاب في هذه الوثيقة لم يكن مذكورًا في أيّ مكان. وفي المُقابل ذُكر في مكان آخر - ورقة جديدة رسميّة عليها أختام، وتواقيع بكل شعارات الملك، - التي تؤكد، بأن دميتري بارييسافيتش سالاب موافق على بيع شركته.



الفصل السادس عشر

قرار غير متوقع

جلستُ سفيتلانا بصمت لبعض الوقت، مُتأملَةً تارة مُستندًا، وتارة أُخرى مُستندًا آخر موضوعًا عَلَى ملاءة السرير. وَبعد ذلك فجأةً كل تفاصيل هذه الحكاية أَصبحتُ تتجمع في رأسها، عَلَى وجه الدقة مثل قطع أُحجية بازل ذات الصور المقطوعة، قطعة واحدة كاملة.

ها هُوَ ذا الأمر! وَهي أَذابتُ عصارة رأسها لتفهم، لِمَ أُنذريه هكذا ركز جُل اهتمامه عَلَى حفل الزفاف الأحمق هذا. وَكما يبدو فيكا تحدّثتُ لها عن هذين السهمين وَنقلهما من شخص لآخر - لكن وقتئذ لم تعر سفيتا انتباهًا خاصًا لثرتها. وَالأمر، كما يبدو، قد خُطط له...

كان الفعل الأوّل لها أَن تُشغل الهاتف في الحال وَتتصل بِسرعة بديما، لكن، مُتأملَةً، قررتُ سفيتلانا، أَنه لا يجب أَن تتصرف عَلَى هذا النحو. لأسباب كثيرة في الحال. أَوَّلًا، ديما الآن في مُحادثات مُهمّة ما، وَلَا يجب أَن تشغله بِصورة واضحة. ثانيًا، إِن شغلت الهاتف، هي في الحال ستظهر سهولة الوصول لاتصال أُنذريه، الذي، كما يبدو، يتوجّب

عليه أن يبحث عنها بصحبة الكلاب والمصاييح. طبعًا، مُمكن ببساطة أن لا تُجيب على اتصاله، حين يظهر رقمه على شاشة هاتفها، لكن بكل الأحوال بطريقة ما سيكون الأمر مُخيفًا... ليكن من الأفضل أن يبقى هاتفها صامتًا. وثالثًا، من المُحتمل، هي بوجه عام يملكها الخوف. على الأقل، أي أعمال يمكن أن تكون لديهم في الشركة... هي لا تفهم في عمل كهذا بصورة جيّدة، يمكن من لا شيء فهمت كل الأمور بصورة غير صحيحة وستزيد الاضطراب... من المُحتمل فكروا مع ديمًا بهذه الصفة، كما يبدو يوجد ضمن الوثائق موافقة سلاب مُصدّقة من كاتب العدل... أقنعتُ سفيتا نفسها بالضبط بالأمر الأخير، لكن الحدس أوحى لها أمرًا مُغايرًا. من المؤسف أن بدت كل هذه الوثائق مُثيرة للشكّ.

تأخر انتظار ديمًا، انقضت خمس ساعات، بعد ذلك ست، ومن ثم سبع ساعات، ولم يأت. وماذا، إذا هو لم يأت مُطلقًا؟ لم هي هكذا دون قيد أو شرط وثقتُ، بأن مشاعرها المُلتهبة فجأة تجاه هذا الرجل بدت مُتبادلة؟ يمكن، هو ببساطة يتسلى معها، وسيهجرها في الفندق الفاخر؟ أندريه كان يستطيع أن يتصرف كليًا على هذا النحو، وهما كما يبدو ابنا خاليتين، بل حتّى مُقربان...

بقيت داخلها أفكار أيضًا بشأن أندريه بصورة مُضطربة جدًّا. إذا كان الأمر يسير بالضبط هكذا، كما هي تعتقد، فأندريه، عندما يكتشف اختفاء الوثائق، سيتحتم عليه الأمر أن يشتاظ غضبًا. سيسعى للعثور عليها مهما كلف الأمر... وماذا سيفعل؟

إذن، بهدوء، فقط بهدوء! نهضتُ سفيتلانا وسارتُ في الغرفة، دورياً توقفتُ عند النافذة ومُتطلعةً إلى المنظر المُطل على شارع تفيرسكايا. أندريه سيرغد ويزبد بسبب ذلك، لأنها عرفتُ سرّه، - هذا الأمر الأول. وهوَ حتمًا يود الحصول على الوثائق - هذا الأمر الثاني. يعني، هي يمكن بطريقة ما أن تخفي هذه الوثائق وأن تعدّه أن تعيدهن إليه مقابل سلامتها... أو لا يمكن؟ أهكذا هذه الوثائق ذاتها ثمينة؟ كما يبدو هي لا تمثل أي قيمة، لكن، في الحقيقة، هذه مجرد أوراق. وأيّ أوراق يمكن أن تضيع، تُسرق أو تختفي، يعني، يجب أن يصدروا نسخًا جديدة. وإذا هي هددتُ أندريه، بأنها لن تعيد الأوراق له، هذا لن يُخيفه، هو سيقول، بأن يمكنه أن يطلب إصدار نُسخ جديدة. يعني لا توجد لديها أي أسلحة ضدّ أندريه، عدا إمكانية أن تبوح بكل شيء لديمّا. وماذا لدى أندريه ضدّها؟ كيف بسرّعة، وبصُورة شيقة، يمكنه أن يعثر عليها؟ طبعًا، ذلك، بأنها في فندق «Ritz Carlton»، ليس من المُؤكد أن يخطر بسرّعة بباله، ربّما، هو سيعتقد، بأنها مع ذلك قد أبدلتُ التذكرة وسافرتُ إلى البيت، ويبحث عنها في بيتير. أيمن أن يعتقد ذلك؟ ماذا يعرف عنها؟ نظريًا - لا شيء، سانت بيتربورغ مدينة كبيرة، وهي لم تخبره لا بعنوانها، ولا بلقب عائلتها. لكن المُصيبة في ذلك، بأن أندريه سيغادر للبحث عنها عبر الاستوديو - وفي الاستوديو يمكنهم كليًا أن يعطوه كل معلوماتها، ومن ضمنها رقم الجواز وعنوان الإقامة...

حين دوتُ طريقة على باب الغرفة أخيرًا، فرحتُ سفيتلانا بها، مثل سجين أُفرج عنه.

- وَأَخِيرًا! - عانقتُ ديمًا، الواقف عند عتبة الباب وفي يده باقة كبيرة من الزُّهور - أنا قد أُنْهكت كليًا!..

- أنا اشتقت لك أيضًا، اعترف هُوَ، مُسلمًا الزُّهور لسفيتنا ومُعانقًا إياها بيدين فارغتين - أردتُ أن أترك كل شيء وأركض إليك، وهذا اللقاء، للنكاية، رغم ذلك قد طال وطال... اسمعي، لنذهب إلى مكان ما لتناول الطعام، ها؟

- طبعًا، - وافقتُ سفيتلانا - لكن ليكن هذا فيما بعد، تمام؟ لا يزال لديَّ حديث لك. مُهم للغاية.

- أنا أسمعك. - جلس ديمًا في الحال على الكرسي. كل مظهره عبَّر عن التركيز والاستعداد للإصغاء بانتباه.

- قُل لي، من فضلك، أصحيح هذا، بأنكم تعتمزون بيع شركتكم؟
- نبيع؟ - ارتفعت حواجب ديمًا باندهاش. - كلا، طبعًا، ما هذا الهراء! لم يكن في فكري هذا. على الرغم من أن في الآونة الأخيرة، بعد ذلك كـ «يديناميشليتيكي» قد توسعت وأصبحت من الشركات المُمْتَازة، تنهال علينا عروض الشراء من كل حذب وصوب. أندريوشكا أحيانًا يستمع إليهم، هُوَ حتَّى لبضع مرات تحدّث معي في هذا الموضوع، لكنني رفضتُ رفضًا قاطعًا.

- في الحقيقة، لم أتوقع شيئًا من هذا القبيل - أومأت سفيتلانا - قُل لي، وها هُوَ ذا اسم كهذا - هي بسرعة كتبت لقب الموظف على ورقة - هل تحدّث معك عن شيء ما؟

- من الطبيعي. كما يبدو هوَ لديكم، في بيتير، شخصية بارزة جدًّا.

- وفقط هذا ما تعرفه؟

- فقط. وماذا بعد؟

- ألا توجد لديكم أعمال مُشتركة معه؟

- لا توجد أي أعمال! أنا لا أعرفه ولم أره أبدًا في حياتي، ربّما في

التلفاز فقط. لكن لمَ كل هذه الأسئلة الغريبة؟

- تفهم، يا ديما- شدتُ سفيتلانا من جراء القلق على أصابعها التي

أصبحت بيضاء، - أنا يجب أن أتحدّث لك بأمر ما مُهم للغاية. ومن الممكن، غير سار جدًّا.

- سفيتا، أنتِ تُخيفيني- تطلع دميتري إليها باضطراب- قولي لي

إذن بسرعة. لا تقلقيني.

- حسنًا، أولًا... نبدأ من ذلك، بأنني لست صديقة فيكا خاصّتك.

- لمَ تقولي أنتِ هذا؟ - تغضن ديما- هي الآن ليست خاصّتي...

- حسنًا، ليست خاصّتك. ببساطة فيكا، لن تُغيّر هذه الحقيقة. الأمر

في ذلك، بأن يوم أمس في الحفل أنا رأيته للمرّة الأولى في حياتي. وفي الحقيقة آمل أن تكون المرّة الأخيرة.

- يعني كيف هذا - في المرّة الأولى؟ إذا أنتِ لستِ صديقتها -

فمَن أنتِ؟

- كما قلت أنا - مُمثّلة. المُمثّلة سفيتلانا ميخائيلينكو، ابنة يفغيني

ميخائيلينكو، أم جينيتشكا... هذا كل ما أحدثك به عن نفسي، -
الحقيقة. عدا ما هو مرتبط بفيكا.

- لكن لِمَ أنتِ... - لم يستطع ديما أن ينتقي الكلمات - لِمَ أنتِ
خدعتني؟

- استأجرني لهذا الدور ابن خالتك.

- أندريوشكا؟ يا له من أمر تافه... لماذا؟

- هُوَ لم يقل لي هذا. قال فقط، بأنني يجب أن أكون في الحفل أودي
دور فتاته وصديقة العروس في شخصية واحدة. وأثناء ذلك أحاول أن
أوحي لك بالثقة بكل الحقائق والأكاذيب، بأن فيكا - هذه ببساطة كنز،
التي أنت يجب بسرعة أن تتزوجها.

- لم أفهم شيئاً! - نهض ديما من الكرسي وأقبل يذرع الغرفة ذهاباً
وجيئة - ما دخل أندريه في ذلك، أن أتزوج أنا فيكا أو لا أتزوجها... هي
كما يبدو ليست شقيقته، وليست قريبته، لا أحداً هُوَ تقريباً لا يعرفها!

- حسنًا، لنفترض، أنت في هذا تُخطئ - أو مأت سفيتلانا برأسها -
يعرفها هُوَ، من المُحتمل، منذ مُدة وجيزة، لكن أفضل للغاية، مما أنت
تعتقد. هُما تعارفا في نهاية أيار/ مايو في بيتير، وقتئذ أصبحتا عشيقين.
وأشك، منذ ذلك الوقت لم ينقطعا أن يكون...

- هذا أسلوب أندريوشكا تمامًا - لم يعترض ديما - لكن بكل
حال من الأحوال لا أستطيع أن أفسر لنفسني، لِمَ كان بحاجة إلى هذه
الكوميديا بحفل الزفاف. أراد هكذا بحماقة أن يضحك عليّ؟

- كلا، يا ديماتشكا، هنا كل شيء أكثر جدية، من مزحة حمقاء-
أومأت سفيتا برأسها- ها هُو ذا، انظر لهذا الملف.

ترك ديما على سفيتلانا نظرة مُدهشة، لكنه أخذ الملف من يديها،
مرّة ثانية جلس على الكرسي وباشر بمطالعة الأوراق.

- هذه وثائق إثبات شركتنا! - استغرب هُو- فضلاً عن ذلك
الوثائق الأصلية. كيف وصلت إليك؟ هي محفوظة في المكتب، في
الخزانة، صعب الحصول عليها... يا إلهي، ها هي ذي وثائق المؤسسة،
وها هي ذي الشهادات الخاصّة بأسهمنا «الذهبية»، وها هي ذي...
دقيقة، وما هذا؟ أوه! يا للعجب! الآن عرفت لم أنتِ سألتِ عن
الموظف البيتيربورغي...

صمتت سفيتا فحسب، مانحة إياه الوقت وإمكانية أن يطالع محتوى
الملف كما ينبغي. عندما أطلع أخيراً على جميع الوثائق، رفع دميتري
عينيه اتجاهها. كان مظهره كالمقتول كلياً ومنهكاً.

- نعم... أندريوشكا يعطي... - تتمم هُو بهدوء - توقعت الكثير
من ابن الخالة هذا... لكن لم أتوقع أن يفعل هذا، طعنة في الظهر...
وبدقة تزييف توقيعي، وكأن من الصعب عليّ حتّى ان أُميزه!.. سفيت،
قولي لي لخاطر الله، كيف وصلت إليك هذه الوثائق؟

- محض صدفة - أجابت سفيتلانا- لديّ مع ابن خالتك حقائب
سفر مُتشابهة. يعني لديه حقيبة أصلية، ولديّ تقليد - لكن في المظهر
الخارجي متشابهتان. وعد أندريه يوم أمس أن يقلني إلى الطائرة، لكن
بدلاً عن هذا قرر صب جام غضبه عليّ بسبب ذلك، بأن حفل الخطبة

قد فشل، ورماني من السيّارة في مكان ما في الشارع، وسأقتله أخطأ في الحقائق...

- وها هو ذا الحقير! - انقبضت يده. - أنا سأقتله!

كانت كلمات سفيتلانا هذه القطرة الأخيرة، التي أفاضت فنجان صبره. كان ديما مُستعداً أن يتقبل ذلك، بأن ابن خالته حاك ضده مكيدة صعبة، ساعياً للاستحواذ بنفسه على شركتهما وأن يخذعه، بائعاً الشركة من خلف ظهره. لكن لم يتقبل، أن يرمي أندريه امرأته الحبيبة ليلاً في الشارع لوحدها - لن يستطيع أن يغفر ديما هذا بأي شكل من الأشكال. هنا أخرج هاتفه وأراد أن يطلب الرقم، لكن سفيتا أوقفته.

- ماذا تنوي أن تفعل؟

- كيف - ماذا أنوي أن أفعل؟ أتصل على ابن الزنى هذا! حسناً،

ليواجهني...

- ديما، أرجوك للغاية، لا تحتدم غضباً! - صاحت سفيتلانا بصوتها المهني، بصوت مُدرب بصورة جيّدة، الذي كان يجب أن يكون مسموعاً حتّى الصفوف الأخيرة لصالة العرض - في البداية فكر بكل شيء كما ينبغي، وبعد ذلك افعل.

نظر ديما إليها باندهاش.

- أنتِ تتحدّثين بدقّة مثل أمي. حتّى بتلك الكلمات ذاتها. هي أيضاً كانت تقول هكذا، عندما أنا... طيّب، أنا فيما بعد سأروي لك هذا. أما الآن الأفضل أن أتصل بالمحامي. أنتِ مُحقّقة، يجب في البدء أن أفكر

ملئاً بكل شيء بصورةٍ حسنةٍ وبعد ذلك فحسب أتصل بأندرية.

ضغط على زر إنهاء المكالمة، وتنفست سفيثا الصعداء. الآن هي لن تقلق من شيء.

وصل المحامي في الحال، كما استطاع فحسب. ما إن بدأ الحديث مع ديما في المقهى، ذهبت سفيثانا إلى سبا صالون لإجراءات تجميلية. هذه أفضل طريقة للمرأة للتخلص من الضغط النفسي - بعد التسوق، طبعاً.

- ماذا أستطيع أن أقول لكم، يا دميتري بارييسافيتش... - حك المحامي تقريباً رأسه الأصبع كلياً بيده المكتنزة، بأصبع الخنصر الذي زينه بخاتم من عمل عتيق- إني أرى الحل الآتي للمشكلة - يتحتم عليكم أن تضرب ابن خالتك بسلاحه.

- كيف يعني هذا؟ - لم يفهم ديما.

- أن تفعل حسب خطته الموضوعة. خذوا أي امرأة، التي في الحقيقة تثقون بها، ولتكن هذه سفيثانا نفسها- واذهبوا بها إلى دائرة الأحوال المدنية للزواج. أنا سأتفق، لكي يُسجلوا عقد قرانكم على وجه السرعة...

- لكن لماذا؟.. - حملق ديما عليه بحيرة.

- انتظروا، لا تقاطعوني. دعوني أوافق. وبالتالي، أنتم تسجلون زواجكم بالصيغة ذاتها. وبعد هذا - فقط بعد هذا بالتحديد، وليس قبل، اسمعوا، هذا مهم للغاية! - أنتم ستعطيان هذه الخاصية، الأسهم

«الذهبية»، كهدية الزواج. على هذا النحو، من جديد العائلة المتكونة كلياً ستمتلك الحصّة المهيمنة لأسهم «ام كا اي». وابن خالتكم لن يؤنّبكم بشيء.

- اسمحوا لي، أنا لأمر ما لم أستطع أن أفهم شيئاً بكل حال من الأحوال... - باعدَ ديمًا بين يديه. - لماذا لأجل هذا يتوجّب عليّ أن أتزوَّج بسرعة؟ يعني أنا من حيث المبدأ أفكر بذلك، لكي أتزوَّج سفيتلانا... لكن ليس بهذه السرعة! الزواج - حدث مُهم، يتوجّب أن نستعد له بكل جدية... وأنا حتّى لم أتعرف بعد على جينيا، ابن سفيتلانا...

استمعَ المحام المُسنّ لهذيانه الشغوف بابتسامة مفهومة. لكن بعد ذلك نظر إلى السّاعة، وأصبح وجهه من جديد جدياً.

- اسمحوا لي أن نعود إلى الموضوع الرئيس لحديثنا. إذن، أنتم مُهتمون، لأجل ذلك يتوجّب التسجيل العاجل للزواج مع الأشياء المُهداة. أفسر. في تلك الحالة، إذا أنتم أهديتُم الاثنين بالمائة ببساطة لشخص ثالث ما، أنتم لن تكسبوا شيئاً مُطلقاً. عدا ظهور شخص واحد بعد في المُستقبل، الذي سيحصل على حقّ التدخل في أعمال شركتكم مهما كلف الأمر. في خُطة ابن خالتكم امتلك على أقلّ تقدير فقرة ضعيفة واحدة. لو أن خاصية، التي تُهدي الأسهم، رفضت أن تعود إليه، لن يكون في وسعه أن يفعل شيئاً بها. هي ستبقى مالكة الملكية، تكون، كما أنا أفهم، أموالاً ليست قليلة.

- وفي حالتنا؟

- وَفِي حَالَتِنَا، كَمَا أَنَا قَلْتُ، الْحَصَّةُ الْمُهِمَّةُ لِلْأَسْهُمِ سَتَبْقَى فِي الْعَائِلَةِ. وَإِذَا أَنْتُمْ بِذَلِكَ السَّبَبِ أَوْ بغيرِهِ تودُونَ فسخَ عَقْدِ الزَّوْاجِ، فَالْأَسْهُمِ سَتَعْتَبَرُ بِصُورَةٍ مُشْتَرَكَةٍ مِلْكِيَّةٍ مُكْتَسَبَةٍ، الَّتِي، أَسْتَعْجِلُكُمْ أَنْ تَتَذَكَّرُوا، عِنْدَ الطَّلَاقِ تُقَسَمُ بِالتَّسَاوِي. وَمِنْ الْمُمْكِنِ، أَنْ تَحْصَلَ زَوْجَتُكُمْ فَحَسَبَ عَلَى وَاحِدٍ فِي الْمِائَةِ. وَوَاحِدٍ فِي الْمِائَةِ تَذْهَبُ لَكُمْ، وَفِي الْمَحْصَلَةِ مَعَ مَا تَمْتَلِكُونَهُ تِسْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ سَيَكُونُ خَمْسُونَ فِي الْمِائَةِ.

- مِنْطَقِيًّا... - أَوْماً دَيْماً بِرَأْسِهِ. - أَنَا بِطَرِيقَةٍ مَا لَمْ أَفَكِّرْ هَكَذَا بِكُلِّ شَيْءٍ...

- فِي تِلْكَ الْحَالَةِ، إِذَا لَمْ تَكُنْ تَوْجَدُ لَدَيْكُمْ أَسْئَلَةً أَكْثَرَ، أَنَا مُسْتَعِدٌّ فِي الْحَالِ أَنْ أَبْدَأَ بِتَنْفِيزِ خُطَّتِكُمْ. كَمَا يَبْدُو الْأَمْرَ، كَمَا أَنَا أَفْهَمُ، لَا يَحْتَمِلُ التَّأْجِيلَاتُ...

- نَعَمْ، طَبْعًا. لَا أَمْتَلِكُ الْحَقَّ أَنْ أَبْقِيَكُمْ أَكْثَرَ.

غَادَرَ الْمُحَامِي، بَيْنَمَا اسْتَمَرَّ دَيْماً بِالْجُلُوسِ فِي الْمَقْهَى، فَقَدْ اتَّفَقَ هُوَ وَسَفِينَا أَنْ يَلْتَقِيَا هُنَا. لَكِنْ سَفِينَا قَدْ تَأَخَّرَتْ، بِفَضْلِ هَذَا مُنَحَ إِمْكَانِيَّةِ أَنْ يَتَأَمَّلَ كُلُّ شَيْءٍ بِصُورَةٍ حَسَنَةٍ.

خُطَّةُ الْمُحَامِي أَرْضَتْ دَمِيتْرِي، وَحَتَّى أَكْثَرَ. الْيَوْمَ لَيْلًا هُوَ سَيَتَّخِذُ قَرَارًا حَاسِمًا، بَأَنْ لَا يَبْدَأُ أَنْ يَتَزَوَّجَ سَفِينَا. بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ أَنَّهُمَا قَدْ تَعَارَفَا قَبِيلَ يَوْمٍ فَقَطْ، كَانَ لَدَيْهِ إِحْسَاسٌ كَهَذَا، كَأَنَّهُ يَعْرِفُ سَفِينَا طَوَالَ حَيَاتِهِ. يَحْدِثُ أَمْرٌ كَهَذَا، عِنْدَمَا تَلْتَقِي أَنْاسًا، الَّذِينَ فِي الْحَقِيقَةِ قَدَرُ الْقَدْرِ أَنْ يَجْمَعَكَ بِهِمْ. الْأَمْرُ ذَاتَهُ حَدَثَ مَعَ وَالِدِيهِ. وَالْأَمُّ، وَالْأَبُ

تحدّثا للابن، بأنه عندما التقيا للوهلة الأولى، هذا كان في مكان تجميع الخضار، فكل واحد منهما في الحال فهم - ها هُوَ ذا، أمامي، الشخص ذاك ذاته، الذي أرغب أن أكمل حياتي معه... إذن بقي فقط الحصول على موافقة سفيتلانا. أن ترغب أن تصبح زوجته، كان ديمًا، بأسلوبه الخاص يرأوده الشكّ باستمرار، ولم يكن واثقًا في نفسه.

هذه المسألة أفلقت ديمًا بشدة، لكن أقلقه أمر آخر بشدة أكبر - كيف سيكون الأمر مع أندريه؟ حيا ل هذا النوع للتصرف لا يجب أن يفلت هؤلاء دون عقاب. حتّى لو كان ابن خالته. حتّى الشركاء في العمل التجاري، الذين يمتلكون لمدة عشرين عامًا تقريبًا بالتساوي شركة واحدة. الشركة، الذين استطاعوا بأيديهم أن يوسعوها بالضبط من الصفر ورفعوها حتّى أعلى السحاب. لكن الحقيقة هذه لا تُخفف من ذنب أندريه، بل على العكس - تبرز أكثر كل خسارة مكيدته.

مُرتشفًا القهوة في انتظار سفيتلانا، ديمًا فكر لوقت طويل بكل هذه المشاكل وفي النتيجة توصل إلى استنتاج مُتباين. لا ينوي الثأر من ابن خالته، لم يود أن ينزل إلى هذا المستوى. لكن لا يمكن الحديث عن العمل المُشترك معه بعد الآن. عندما يفعل الشخص أشياء كهذه، الأشخاص المُحترمون، عارفين بهذا، لن يمدوا له أيديهم أكثر.

في هذه اللحظة الرجال، الجالسون في المقهى، بدأوا يتطلعون إلى الباب. ابتسم ديمًا. هُوَ عرف، بأن هذا فآل محقق، فقد ظهرت في المكان سفيتلانا. سفيتلانتته.

- أعذر، أجبرتكَ على الانتظار- قالت هي مُقبلةً إياه- لم

أعتقد، بأن كل هذه الإجراءات ستستمر لوقت طويل كهذا... هل جاء المحامي؟ تشاورت معه في أمر ما؟

- نعم، - أوماً ديما، الذي ابتهج عند ظهورها. - أتى، وتشاورنا.
- وماذا قال؟

- بأن عليّ أن أتزوج بسرعة.

- يتوجّب، يا له من محامٍ جيّد لديك، - ضحكتُ سفيتلانا.

- سفيتا، لكن هذه ليست مزحة! - أكد ديما. - لكي أتدبر أمر
أندريوخا، يتوجّب علينا أن نضربه بسلاحه... بوجه عام، اسمعي،
الخُطة هي...

خلف نوافذ المقهى تلاشى الغروب الصيفي، ولمعان الشمس
المغيب، مُنقسمًا، تجزأ إلى آلاف التكررات في نوافذ المباني، تلالأت
وتلوّنت بألوان مُتنوعة، متحوّلاً في لمعان مُتألّئ بوقت المساء للمدينة
المضاءة. شارع تفيرسكايا عاش حياته - بضجيج، وصخب، مملوء
بالانتصارات والهزائم، بالضحك والدموع، وبخيّبات الأمل في الماضي
وآمال على المُستقبل. المُستقبل، الذي حتمًا سيحمل السعادة لكل من
يؤمن به، ومن يسير نحوه بطريق ليس سهلاً، يتعثر، أحيانًا حتّى يسقط،
لكن بكل حال من الأحوال يحافظ على الإيمان في الخير والأمنية أن
يحمل هذا الخير للناس...

- وها هو ذا بطريقة ما على هذا النحو، - أنهى ديما قصّته - يعني،
كما أنت تفهمين، ليكن في يوم آخر بعد هذا أنت، إذا تريدن، يمكنك

أن تنفصلي. في هذه الحالة الأسهم ستبقى عندك. أنتِ يمكنكِ أن تبيعيها أو تحصلي على أرباح مُنتظمة، وهذه أموال جيّدة، أوكد لكِ... - ديمكا، يا لكِ من مُضحك، - ابتسمتُ، غير مانحة إياه أن يكمل حديثه - مَنْ قال لكِ، بأنّي أرغب أن أنفصل عنكِ؟ لا شيء من هذا القبيل! أنا أريد أن أعيش طوال حياتي معكِ. حياة طويلة وسعيدة. - حقاً؟ أنتِ حقاً تريدين هذا؟ - أصبح ديمكا في حالة قلق بالغ. وضع يده في الجيب لأجل المنديل وتحسس فيه شيئاً ما قائم الزاوية وصلباً. حسناً، طبعاً! هذا الخاتم! ها هُو ذا في وقته... - يا سفيتا! - بدأ ديمكا بابتهاج، لكنه هُنا ارتبك، بحرج دس يده في الجيب وسحب العلبة، حيث وضع بداخلها خاتم الألماس الوردي. - أرجوك، اقبلي هذا الخاتم كعربون لحُبّي، وأيضاً اقبلي يدي وقلبي... أخذتُ سفيتا العلبة، حضنته وبرقة قَبَلته.



الغاية

ذهب أندريه إلى اللقاء، الذي حدده له ابن خالته دون رغبة كبيرة. خُطّته، التي بدت رائعة هكذا ومُنفذة بسهولة، قد فشلت فشلاً ذريعاً مدوياً، لم تبقى أي شكوك. كانت المسألة فقط في ذلك، بَمَ ستنتهي كل هذه الحكاية الآن؟

وكما يبدو قد بدأ كل شيء على هذا النحو بصورة جيّدة! وَحَتَّى بعد ذلك، عندما بدأت فيكا تشمل وأُفشلت حفل الخطبة، بقي لدى أندريه أمل، بأن يفلح بتصليح كل شيء. رُبّما، فجأة ديمكا يثوب إلى رشده، ويكف عن فقدان صوابه، ويستمع لصوت العقل، يعني أن يستمع إليه، لصوت أندريه، ويتصالح مع فيكا...

كل شيء قد انهار في تلك اللحظة، عندما رمى في الشارع المُمثلة الداهية، قفل راجعاً إلى البيت وفتح الحقيبة. مُكتشفاً بدلاً عن ملفات المُستندات ملابس داخلية لهذه المرأة الحقيرة، شعر أندريه بصدمة حقيقية. بدأ، من الطبيعي، الاتصال بشكل مزعج على سفيتا، لكن هاتفها لم يكن متاحاً. أقام الدنيا وأقعدها، مرّة ثانية اتصل في الاستوديو، لكي يعطوه عنوانها... كل هذا البحث استغرق وقتاً

طويلاً. أخيراً نجح في الحصول عَلَى العنوان وَهاتف المنزل، لكن تبين، بأن سفتينا لم تعد بعد إلى البيت. وَمَا إِن كَانَ أَنْدريه يُفكر جدًّا بترويع المُمثلة مِن خلال أَقربائها وَيَجبرها أَنْ تعطيه الملفات، اتصل ديمَا عليه. ابن الخالة لم يقل شيئًا مُحدَّدًا، ببساطة طلب لِقَاءه، لكن مِن صوته فهم أَنْدريه - بأنه يعلم. يعلم كل شيء. كما يبدو، المُمثلة في الحقيقة فعلتْ ذلك، بأن هددته بما لديها- ذهبتْ إلى سلاب وَقالتْ له كل شيء. خطرتْ لدى أَنْدريه حَتَّى بباله فكرة في الحال بعد المكالمة الهاتفية مع ابن الخالة بأن يتوارى عن الأنظار، لكي يخرج مِن المُشكلة، لكنه سرعان ما أدرك، بأن هذا ليس مخرجًا. عَلَى أَقلِّ تقدير، لا يزال. في بداية الأمر يجب أَنْ يلتقيا وَأَنْ يناقشا كل شيء. في المكتب منذ ذلك الوقت مِن باب الاحتياط لم يظهر، تظاهر، بأنه مِن جديد سافر في إِجازة.

شد أَنْدريه ما شاهده عندما رآهما في المطعم، حيث حُدد مكان اللقاء. كان هذان الاثنان الجميلان، المُتغزلان هكذا، كَأَن كل العالم المحيط بالنسبة لهما ببساطة غير موجود. حَتَّى أَنْدريه شُد. تعسًا، مِن المُقرف لي مُشاهدة غزل الحمامات أيضًا!

اقترب أَنْدريه إلى طاولتهما، حياديًّا أومأ لسفتيلانا وَمَدَّ يده لديمَا. بيد أَنْ ذلك لم يرد عَلَى المُصافحة، وَمِن جِراء ذلك فهم أَنْدريه، بأن تخوفاته السيئة قد تأكدت. الأمر في الحقيقة ينذر بشيء غير سار.

- اجلس - أشار ديمَا إلى الكرسي المُقابل. وَعندما جلس أَنْدريه عليه، وجه ديمَا كلامه دُونَ أي مقدمات وَمُجاملات اضطرارية، مواجهًا

المُشكلة مِن أساسها في الحال: أندريه، أنا أعلم كل شيء. أعطتني سفيتلانا ملفك. وأعتقد، أنتَ تفهم، بأن لا جدوى هُنا مِن الإنكار والتبرؤ بطريقة ما.

أوماً أندريه فقط بصمت ردًا على ذلك. في الحقيقة كان الكلام هُنا لا معنى له. وابن الخالة في أثناء ذلك استمر:

- أنا فكرتُ ملياً واستتجتُ، بأن عرضك لبيع شركتنا لم يكن بهذا السوء... ولأن الأموال المقدمة لِقائها في الواقع جيّدة، ولأن التخاصم مع أشخاص لذلك المُستوى، مثل أولئك الذين يهتمون بنا، في الحقيقة أمر خطير، وأنتَ مُحقّق بهذا. لكن هذه ليست الأسباب الرئيسة. السبب الرئيس يتلخص في ذلك، منذ الآن أنا لا أتمنى أن أقود معك العمل التجاري المُشترك فحسب، بل حتّى لا أريد أن أسمع اسمك. لهذا نحنُ قررنا بيع الشركة.

- وَمَن هؤلاء نحنُ، اسمحوا لي أن أعرف؟ - اعترض أندريه بشدة.

- نحنُ - المالكون للأسهم المُهيمنة للشركة، واحد وخمسون بالمائة - أنا وزوجتي سفيتلانا - أشارَ إلى المرأة الجالسة بجواره، التي طوال هذا الوقت لم تتدخل في الحديث بكلمة، لكن أصغتُ إليه بانتباه شديد.

- هكذا مُباشرةً أصبحتُ زوجتك؟ - امتقع وجه أندريه - أنتمُ بسرّعة. ومتى لحقتم أن تتزوجوا؟

- لقد لحقنا - ردّ دميتري، بكل مظهره مُعطيًا الفهم، بأنه لا ينوي أن يُناقش حياته الشخصية الآن مع شريكه السابق - الآن اسمع. نحنُ سنبيع الشركة للمُشتري ذاته ذاك من بيتربورغ، الذي أجريت أنتَ معه المفاوضات. وكل واحد من المالكين سيحصل على حصته.

- ماذا؟ أنتَ مُوافق على إعطائي مائة وخمسين مليونًا؟

- ليس مائة وخمسين، بل مائة - صحح لابن خالته - لا تنس، بأن المالكين الآن ثلاثة. نعم، أنا مُستعد أن أعطيك هذه الأموال - بشرط، أن تختفي إلى الأبد من حياتنا وحياة سفيتا. أأنتَ مُوافق؟ أو تُفضّل أن تذهب لقطع أشجار الغابة جراء تزويرك المُستندات؟

- من الطبيعي، أنا مُوافق! - نطق أندريه بعجلة. لكن رغم ذلك لم يكف عن الأسئلة: ديمون، ألا تتأسف على بيع الشركة؟ على الرغم من ذلك أنتَ كم من القوّة، والروح قد وضعت في «يديناميشلينكي»...

- كلا، لا أتأسف - أجاب ذاك - بالأموال المُكتسبة أنا مع سفيتلانا سنبداً مشروعًا جديدًا، أكثر مُتعةً. موقع تواصل اجتماعي جديد، مُشابه «ليديناميشلينكي»، للنساء فقط.

في هذا الوقت رن الهاتف لديه. أجاب ديمو ولبعض من الوقت انصرف إلى الزاوية البعيدة للصالة، لكي يتحدث بهدوء. مُستغلًا غيابه، اتجه أندريه إلى سفيتلانا:

- يا لكِ من امرأة ساقطة مُحتمالة! اشكري الله، لأنني لم ألحق أن أعثر عليك، وإلا...

- هذا أنت الذي يجب أن تشكرني! - ردَّت سفيتلانا. - كما يبدو أنا أقنعتُ ديمًا أن يعطيك حصتك. هُوَ نوى أن يتصرف معك بشكل مُغاير تمامًا، لكنني قلت، بأن لا يتوجَّب أن يفعل هذا. يتوجَّب عليك هكذا، مِن دُوننا، أن تتحمل مسؤولية كل ما اقترفته. يجب عليك أن تدفع كل شيء لقاء هذه الحياة.

ردَّ أندريه عليها مُتظاهراً بالضحك.

عندما خرج من المطعم، بالبداية أحس بنفسه بصورة مُفرّعة، لكن، مُفكراً مليّاً، استنتج، أن كل شيء لم ينته على نحو سيئ بالنسبة له. مائة مليون دولار - ليس بالنتيجة الأسوأ للانطلاق. بأموال كهذه ممكن أن يفعل الكثير من الأمور...

أوقفت إشارة مُفاجئة لبوق سيّارة تأملاته، الذي دوى مُباشرةً خلف ظهره. جفل أندريه والتفت. زَمَرَتْ له سيّارة واقفة عند قارعة الطريق نوع «فيات» حمراء صغيرة ذات طراز قديم، التي قادتها دينا قبيل بضع سنوات.

نزل الزجاج المُعتم للسيّارة، وَمِن النافذة أطلت فتاة شقراء فاتنة.

- اوي! - قالت بصوت قصير. - أعتذر لكم... أنا ظننت من ظهركم أنكم فتى معروف لي، وهأنذا قد زَمَرْت...

- لا شيء يدعو للخوف، - ابتسم أندريه لها. الفتاة الشقراء كانت ببساطة فاتنة، ترتدي اللون الوردى، ملابسها من التريتر وقطع حجر الراين. فتاة مليحة وفتية، عمرها تقريباً ثمانية عشرة، لا أكثر.

- حدث هذا بصورة مُخرجة... - أكملتُ هي - أنا اعتقدت، أنتم شخص معروف بالنسبة لي... وتبين أنكم لستم من معارفي.
- حسنًا، هذا بسهولة مُمكن أن يتم إصلاحه، - أكد هو - اسمي أندريه، ما اسمكم؟
- اسمي جانّا - ابتهجتُ الفتاة الشقراء.



